معلومات تحتاجها لـ:

# سفر الآخرة

رحلة علمية ومواعظ تربوية حول الآفاق الأخروية
التي ما منا إلّا واردها


جمعها ورتبها
عبد العظيم المهتدي البحراني





مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

# سفر الآخرة



معلومات تحتاجها لـ:

# سفر الآخرة

## رحلة علميّة ومواعظ تربويّة

## حول الآفاق الأخرويّة التي ما مِنّا إلّا واردها


جمعها ورتّبها

عبد العظيم المهتدي البحراني



منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى



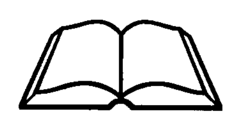
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت ـ شارع المطار ـ قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور- ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦- فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.



## شعار المؤلف

قد تقْرأُ الكتابَ الجيّد مرّة

ولكنّكَ ستتحدّثُ عنهُ مرّات

وتعْملُ بهِ طولَ الحياة

# الإهداء

- إلىٰ روحي التي بين جَنْبَيَّ ..
- وإلىٰ أرواح المؤمنين من السابقين واللاحقين
- عسىٰ أن ينفعي هذا وإخواني في سفر الآخرة

إلىٰ جنّات نعيم.

# حمد وثناء وصلاة ودعاء

* الحمد لله الذي لم يصبح بي ميّتاً ولا سقيماً ، ولا مضروباً على عروقي بسوء ، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي ، ولا مقطوعاً دابري ولا مرتدّاً عن ديني ، ولا منكراً لربّي ، ولا مستوحشاً من إيماني ، ولا ملتبساً عقلي ، ولا معذّباً بعذاب الأمم من قبلي . أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي ، لك الحجّة عليّ ولا حجّة لي . ولا أستطيع أن آخذ إلّا ما أعطيتني ، ولا أتّقي إلّا ما وقيتني .

* اللهمّ صلِّ على محمّد وآله كما هديتنا به ، وصلِّ على محمّد وآله كما استنقذتنا به ، وصلِّ على محمّد وآله صلاة تشفع لنا يوم القيامة ويوم الفاقة إليك .

* اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك ، أو أضلّ في هداك ، أو أُضام في سلطانك ، أو أُضطهد والأمر لك ! اللهمّ اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي ، وأوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي ! اللهمّ إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك ، أو أن نُفتتن عن دينك ، أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك *!

---

* نقلاً عن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة والإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية .

أمّا بعد : فقد قال الله عزّوجلّ :



﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه ﴾ .

## وقال رسول الله ﷺ :

(إنّ الله تبارك وتعالىٰ يبغض كل عالِمٍ بالدّنيا وجاهل بالآخرة).

وقال أيضاً: (تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فانه مَن كانت الدنيا أكبر همّه أفشىٰ الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه، ومَن كانت الآخرة أكبر همّه جمع الله تعالىٰ أمره وجعل غناه في قلبه ) * .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا أنفسكم، فإنكم قد جرّبتموها في مصائب الدنيا فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تُحرقه، فكيف إذا كان بين طَبَقَيْن من نار، ضجيج حَرّ، وقرين شيطان ! أعَلِمْتُم أنّ مالكاً إذا غضب على النار حطّم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثّبتْ بين أبوابها جزعاً من زجرته».

وقال عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : (يا بُني أكثِرْ من ذِكْرِ الموت وذِكْرِ ما تهجم عليه وتُفْضي بعد الموت إليه حتى يأتيك وقد أخذتَ منه حِذرك وشددتَ له أزرك، ولا يأتيك بغتةً فيبهرك»**.

---

* نهج الفصاحة / ج١ ص٣٦ و ٣٧.

** نهج البلاغة وصية الإمام لولده رقم ٣١.

# المقدّمة أوّلاً ..

شئتَ أم أبيتَ، الموتُ من أمامك !

أحببتَ أم كرهت، فأنت مُرغَم على دخول قبرك!

تريد أو لا تريد، انك ميت وانهم لميّتون !

فالموت حق واقع لي ولك وللجميع ...

ولكن هناك فرق بين أن تموت واعياً، وبين أن تموت على المجهول. والفرق في الأول هو الاستعداد لعالَمٍ جديد قد أرسلت اليـه جـميع متطلبات راحتك، والفرق في الثاني فهو الحسرة والندامة .

فأيهما تختار ؟

الموت بعد الوعي للمطلوب والعلم بما تحتاج اليه ؟

أم الموت الأسود المزعج المفاجئ المرعب ؟!

بالتأكيد توافقني مبدئياً على الموت الواعي، وإنْ وافقتني لخوفك من الموت الثاني، فهذا كذلك لا بأس به !

المهم أن تقرّر قراءة هذا الكتاب بدافعٍ يثبّتك على الحق ويجعل لك قدم صدقٍ عند الله عزّ وجل .

فما أريده لك أيها العزيز القارئ ـ وأنت يا عزيزتي القارئة ـ هو أن لا نموت إلّا ونحن مسلمون حقاً وصدقاً واذا عرفتَ السرّ في ذلك بعد مطالعتك لهذا الكتاب فقد صحّ اعتبارك ذكياً فطناً وكيّساً ناجحاً وإنساناً قد زرع دنياه ليحصد في آخرته كل الخير والفلاح.

سُئِل الرسول الأكرم ﷺ مَنْ أكيسُ الناس ؟

فقال ﷺ «**أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم استعداداً له**».

ولعلّي بمثال واحد أبيّن لك ما يحثّك على أن تجعل دنياك مزرعة خير لآخرتك. أنظر لمّا يوفّر لك ولداك ـ مثلاً ـ جميع الإمكانات التي تساعدك على دراسة العلم لتقرّ عينك بثمرة جهودك وتقرّ عين والديك ومَن حولك ببناء شخصيتك واكتساب المعيشة الهنيئة دنيوياً .

فإذا أعرضتَ عن تلك الامكانات ولم تستفد منها في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل، أو رميت تلك الامكانات في الهدف المغاير، فماذا تستحق من التسميات؟!

تأمّل جيداً في المثال ثم أجبني على السؤال التالي:

ماذا لو عرفتَ أن ربّك الخالق الكريم قد وفّر لك اكثر من ذلك لتستعين بما أنعمه عليك من الإمكانات كي تقرّ عينك بالجنة والفوز بالسعادة الأبدية، فهل اذا استفدت من نعم الله في سبيل مغاير للهدف منها، أو لم تستفد منها أبداً، تكون هنالك انساناً جديراً بالاحترام

والتقدير أم تستحق التسميات التي تُطلَق على الخائنين بالأمانات والفاشلين في الحياة وما أشبه ؟!

الجواب واضح كما الجواب علىٰ السؤال الأول.. ولكن لكي لا تسقط في هذه العاقبة السيئة «**إنتهزْ خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**»(١).

هذا ما وعظ به النبي محمد ﷺ صحابيه الجليل أبا ذر الغفاري ووعظنا لكي نكون مثله.

وكان ابو ذر هذا الصحابي الجليل الوفي الزاهد المجاهد يطبق وصية الرسول الاعظم ﷺ تطبيقاً دقيقاً، حتى «أنّه لما قدم مكة المعظمة فوقف عند الكعبة وقال: أنا جندب بن سكن، فاكتنفه الناس فقال: لو أن أحدكم أراد سفراً لاتخذ فيه من الزاد ما يصلحه، فسفر يوم القيامة، أما تريدون فيه ما يصلحكم؟

فقام اليه رجل فقال: أرشدنا؟

فقال: صُم يوماً شديد الحَرّ للنشور، وحِجّ حجةً لعظائم الأمور، وصَلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور»(٢).

هذه من صفات الكيّسين، وإن التأسيس لهذه الكياسة يكون بحُسن إدارة الفرص من أمامك، وقد أمرك به ربك العزيز المتعال حينما قال: **﴿وابْتَغِ فِي مَا آتَاكَ اللهُ الدّارَ الآخِرَةِ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا**

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٧ ص٧٥. (٢) بحار الانوار / ج٧٨ ص٤٤٨.

**أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**(١) .

وعن هذا الكتاب، فلقد دفعني إلىٰ تأليفه:

أولاً: حبّي لمعرفة أهم زاوية لسعادتي. ورغبتي في سعادتك أيضاً، لأن القيم الأخلاقية في ديننا تحثنا علىٰ أن نحب لغيرنا ما نحبه لأنفسنا.

ثانياً: واجب التبليغ الديني والقيام بزكاة العلم .

ثالثاً: الحالة التي وصل اليها اكثر المسلمين في زماننا (كثير من المحسوبين على الدين والدعوة).. وهي حالة الارتزاق بالدين لأجل الدنيا في هؤلاء، وبالدنيا لأجل الدنيا نفسها في أولئك.

ولقد عنَاها رسول الله ﷺ في وصفه للناس في آخر الزمان حينما قال: «**لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً: يظهر النفاق، وتُرفَع الأمانة، وتُقبض الرحمة، ويُتّهم الأمين، ويُؤتمن غير الأمين، يحيط بكم الفتن كأمثال الليل المُظلم**»(٢).

وهذه أساس الهزائم والدمار والفساد والتخلف والنفاق وتعاسة الحياة وتكالب المستعمرين علينا في عصر الانتكاسات .

فتأليف مثل هذا الكتاب يُعَدُّ خطوةً هامة نحو اصلاح النفس والاصلاحات الأخرىٰ التابعة له في حياة الانسان.

ولقد طُبع هذا الكتاب قبل عامين ( سنة ١٤٢٣) في ثلاثة آلاف

---

(١) سورة القصص / ٧٧.

(٢) نهج الفصاحة / ج١ ص٣٤.

نسخة ونفدت حتىٰ جاءني الطلب لإعادة طباعته. ولكني قـررت له إضافات أحدثتْ تغييراً جذرياً فـي خـارطته، فأصـبح بـعدها هـو الكتاب الذي بين يديك،

متمنّياً أن يكون هو المطلوب النافع لي ولكم. أشكركم جميعاً لو ذكرتموني في صالح دعواتكم، سيّما بعد وفاتي، فإن لنا ربّاً كريماً، وإلهاً رحيماً، وخالقاً حكيماً، ومعبوداً غفوراً وعزيزاً، وعلى كل شيء قادراً وقديراً نجتمع عنده غداً وصحائف أعمالنا منشورةٌ بين أيدينا.

راحِـلٌ أنت والـليالي نـزولُ ومُــضِرٌّ بك البـقاءُ الطـويلُ
لا شجاعٌ يبقىٰ فيعتنق البيض ولا آمِــــلٌ ولا مأمـــولُ
غايةُ الناس في الزمان فـناءٌ وكذا غايةُ الغـصونِ الذُّبـولُ
كـلُّ بـاكٍ يُـبكىٰ عـليه وإنْ طالَ بقاءٌ والثاكلُ المـثكولُ

**﴿رَبَّنَا إنّنا سَمِعْنَا مُنادِياً يُنادِي للإيمانِ أنْ آمِنُوا بِربّكُم فآمَنّا رَبّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنّا سَيّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرارِ * رَبّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِك وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إنّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَاد * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أنّي لَا أُضيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وأُوذُوا فِي سَبيلي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَـيّئاتِهِمْ وَلأُدْخِـلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تَجري مِن تَحْتِهَا الأنْهَار ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللهِ واللهُ عِـنْدَهُ حُسْـنُ الثّـوَاب *﴾**

لَايَغرّنّكَ تَقَلُّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَاد * مَتَاعُ قَلِيل ثُمّ مأوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَاد﴾(١) .

اللهم تقبل منّي هذا الزاد القليل واجعله مما يَتَزَوَّدُ به للسفر اليك أولياؤك الصالحون وعبادك المتقون.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

**الفقير الى الله الغني**

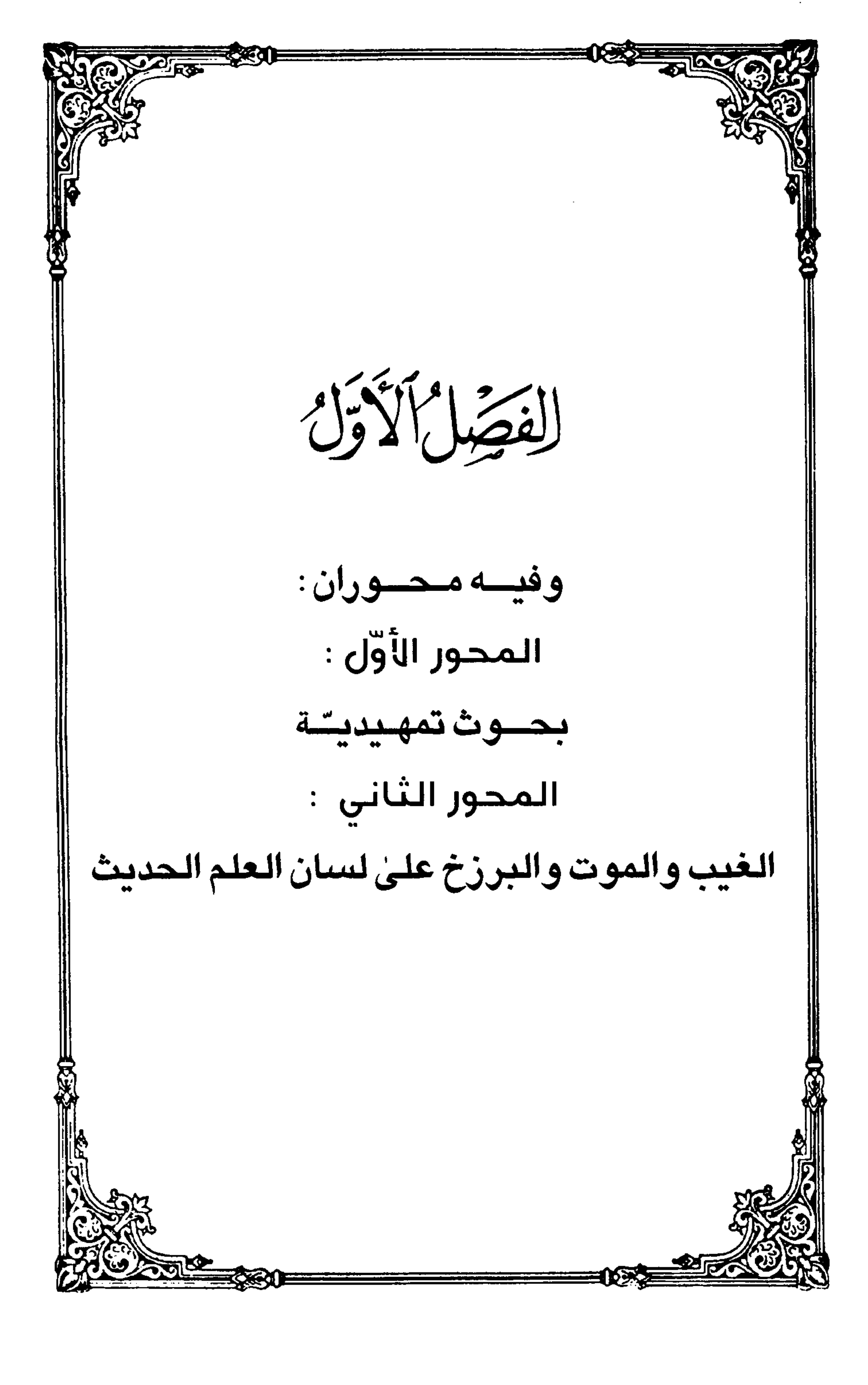
**عبد العظيم المهتدي البحراني**

**البحرين ـ ٩ ربيع الثاني ١٤٢٥**

**ذكرى ميلاد الامام الحسن العسكري عليه السلام**

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣ـ١٩٧.



# الفَصلُ الأوَّلُ

وفيه محوران:

المحور الأوّل :

بحوث تمهيديّة

المحور الثاني :

الغيب والموت والبرزخ علىٰ لسان العلم الحديث

# المحور الأوّل: بحوث تمهيديّة

## ١ـ زماننا الصعب وواقعنا المريض

إنّ في أجواء الدنيا وزينتها وشهواتها وإغراءاتها وما فيها من التجاذبات الاجتماعية المذمومة والصراعات السياسية المحمومة والجدل الديني المفرط المقرون مع التراشق بأرخص التهم...

وفي أجواء اللهث وراء المصالح الذاتية ودهس القيم الأخلاقية وتبرير المواقف حسب الآراء الشخصية بمعزل عن الرقابة الإلهية والخشية من حساب الآخرة والفضائح المعلنة في القيامة...

وفي أجواء الفتن المضلّة وحيرة الإختيار للأصوب والأفضل...

وفي أجواء التعصّب الفئوي والصنمية للقيادات الدينية وغلق الآذان عن الاستماع إلى الرأي الآخر...

وفي أجواء ضياع الأولويات والإرهاق النفسي والأمراض العصبية وضنك العيش والطبقية العالمية...

وفي أجواء الاستعمار العولمي الجديد وتحدياته المصيرية على الاسلام ومستقبل الأمة ومنطقة الشرق الاوسط ـ كما أسماها الاستعمار البريطاني منذ سنة ١٩٤١ ـ

نعم .. في هذه الأجواء لابدّ من نفي اليأس ونفض غبار الهوىٰ

بالبحث الجاد عن الخلاص والتطلّع الهادف إلى نافذة النجاة والتفكير السديد لأجل الخروج الى الحلول المشرّفة على مستوى الدنيا وعالَم الآخرة ، وهذا حقّ طبيعي للإنسان الراغب في السعادة والهارب من الشقاء. ولا أظنك تكون غيره!

### ٢ ـ من أين نبدأ ؟

يرى بعض المهتمّين الاسلاميين والتربويين أنّ معالجة الأزمة الفكرية والكارثة الأخلاقية والأوضاع السياسية المتردية التي عصفت بأكثر قطاعات الأُمّة ـ كما ذكرنا ـ إنما تتنجّز في دراسة أوضاعها الدنيوية كنقطة البداية للحل ، وأرى ـ كجمع آخر ـ وعلى ضوء الأدلّة التالية أنّ المعالجة الحقيقيّة تكمن في دراسة الحقائق الأُخروية أولاً، ذلك لأنّ الانسان إذا وعىٰ نهايته فسيقرر كيف تكون بدايته، بعد ذلك يأخذ إنطلاقه السليم في رحاب الإصلاحات الشاملة، فردياً، عائلياً، اجتماعياً، سياسياً و...

نعقتد أنّ هذا المنهج التربوي في الانقاذ هو ما أرشدنا إليه الإسلام من خلال آياته القرآنية وكلماته المأثورة على لسان النبي محمّدﷺ وأهل بيته عليهم‌السلام وهكذا كان الذين أخذوا معارفهم من هذه المدرسة أخذاً واعياً وعميقاً، فانهم قد عرفوا طريقة بناء حياتهم الفكرية والعملية، وعرفوا كيف يرسموا طريقهم لكي يخرجوا من الأزمات المادية والنفسية الخانقة، وبالتالي يكسبوا الصراع والمعركة الىٰ الفوز بالجنة.

والى هذا المنهج الأصحّ قد أشار الإمام الكاظم عليه السلام حينما حضر الىٰ مقبرة المسلمين يوماً فوقف عند مدفن أحدهم كانوا لا زالوا مشغولين بالمراسم ، فقال لهم : « **إنّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يُزهَد في أوّله، وإنّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يُخاف آخره** »[١].

هذه هي النظرية التربوية في مدرسة الإسلام التي تؤكّد على نقطة النهاية لإصلاح البداية . فإنّ مَن يؤمن بالآخرة سوف يصلح نفسه في دنياه ويسوّي ما بداخله من رغبات وميول، وينظّم سيره العملي إلى الجنّة من غير تهاون وانحراف . أترى يتهاون في ذلك من يعتقد صِدْق كلام النبي محمّد صلى الله عليه وآله : « **شبرٌ من الجنّة خير من الدنيا وما فيها** »[٢].

وروي عن البراء بن عازب وهو من معروفي الصحابة أنه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فراى جماعة في مكان قريب فسأل: علام اجتمعوا فقلنا: على قبر... وعندما سمع صلى الله عليه وآله ذكْر القبر أسرع في الذهاب نحوه ثم جلس بجواره على ركبتيه.. فوقفتُ أنا في المقابل لوجهه صلى الله عليه وآله لأنظر ما يصنع، فبكىٰ حتى بلّتْ دموعه الثوب ثم قال: «**يا اخواني لمثل هذا اليوم فاستعدوا**»[٣].

وفي خطبةٍ لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام «**وبادروا الموت في غمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله، فإنّ الغاية القيامة وكفى بذلك واعظاً لمن عقل، ومعتبراً لمن جهل، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس، وشدّة الإبلاس، وهول المطّلع، وروعة الفزع،**

---

(١) كتاب تحف العقول ، كلمات الإمام الكاظم عليه السلام .

(٢) بحار الأنوار / ج٨ ص١٤٨. (٣) منازل الآخرة / ص٤٤ .

**واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظُلمة اللّحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح»**(١).

ولا نظن يتهاون في معرفة هذه النهاية مَن أخذ مِن الإمام علي عليه السلام قوله: **« لن يفوز بالجنّة إلّا الساعي لها ، ولن ينجو من النار إلّا التارك عملها»**(٢).

وكيف يتهاون الانسان المعتقد بذلك وهو أمام أروع كلمة قالها عليٌّ بن ابي طالب عليه السلام، ونعم ما قال : **« عجبتُ لمن يعلم أنّ للأعمال جزاءً كيف لا يُحسِن عمله »**(٣).

ونلاحظ كثيراً في التعاليم التربويّة الاسلاميّة تأكيداتٍ علىٰ وعي النهاية لاصلاح البداية، مثلاً.. روىٰ الامام الرضا عليه السلام عن الامام الصادق عليه السلام قوله: **«وُجِدَ لوح تحت حائط مدينة من المداين فيه مكتوب: لا إله الّا الله، محمد رسول الله، عجبتُ لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن اختبر الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب»**(٤).

## ٣ـ يقظة النفس وتغييرها

نجد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام حثّاً وتأكيداً لإصلاح حالنا في

---

(١) بحار الانوار/ج٦ ص٢٤٤.
(٢) غرر الحكم / ٥٨٩.
(٣) غرر الحكم / ٤٩٥.
(٤) جامع الأخبار ص١٥٣.

الدنيا ثقافياً واجتماعياً وسياسيّاً واقتصادياً ولكن من موقع الهجوم على أنفسنا (لا على الآخرين!!) ومن موقع جَلْد الذات (لا جَلْد الناس!!) ، وهذا خطأ الكثيرين عندما لم يتدبّروا فيما قاله الله تعالى بصريح البيان **﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾**(١) لا أن يغيروا الآخرين وهم أوْلىٰ بالتغيير فينطبق عليهم قول ربنا تعالى: **﴿يا أيّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ اَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾**(٢).

وهذا ما وقع فيه بعض الاسلاميين الذين غلبتهم الاهتمامات السياسية ونسوا أنفسهم والموازين الدينية والغيبية في زحمة الصراعات والصراع على الزعامات!

فالعلاج الناجح والمضمون يبدأ في اعتقادنا من ضمير « الأنا » ويستمر حتّى يصل إلى ضمير « الجمع » حيث ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام : « **مَن أصلح بينه وبين الله ، أصلح الله بينه وبين الناس** ».

فيا أيها المسلم.. فلنبدأ من وعي التحذير الوارد عنه صلى الله عليه وآله كذلك حيث قال : « **ويلٌ لِمَن غلب عليه الغفلة فنسي الرحلة ولم يستعد** ».

فهذا كلام العارف بأهوال السفر الطويل ـ سفر الآخرة ـ الذي ما منّا إلّا ويُساق إليه يوماً ، شاء أم أبىٰ.

فلنتّخذ هذا المنهج التربوي سبيلاً في حياتنا قبل موتنا ، فلقد نادىٰ

---

(١) سورة الرعد / ١١.　(٢) سورة الصف / ٣.

فينا هذا الإمام أيضاً وبكل حنان وحبّ وإخلاص قائلاً : « **إنّك مخلوق للآخرة فاعمل لها** » . وقال : «**ينبغي لِمَن أيقن ببقاء الآخرة ودوامها أن يعمل لها** ».

والىٰ هذا دعانا الاسلام الحقيقي الجامع للرؤية الدنيوية المتوازنة والمتصلة بروح الآخرة والتي تعني الدخول في الدنيا بوعي الآخرة، لا تَرْك الدنيا وقضايا الحياة والعلم والسياسة والمال والأسرة بحجة العمل للآخرة!

ذلك ما بيّنه لنا الأئمة المعصومون عليهم السلام حينما قالوا: « **ليس منّا مَن ترك دنياه لآخرته وليس منّا من ترك آخرته لدنياه** ».

ومن روائع الادب الاسلامي في الحثّ علىٰ ايقاظ النفس وتغييرها ما أنشده العالم الربّاني المرحوم الشيخ حسن الدمستاني البحراني:

خُذ رُشدَ نفسِك مِن مرآةِ عقلِك لا
بالوهْمِ مِن قَبْلِ أن يغتالَك الأجلُ

فالعقلُ مُعتصِم والوهمُ متّهم
والعمرُ مُنصرِمٌ والدهرُ مرتَحلُ

إن الأنام مطيّ الايام تَحمِلهم
إلى الحِمام وإنْ حَلّوا أو ارتحلوا

لا يولَد المرءُ إلا فوقَ غاربِها
يحدو بهِ للمنايا سائِقٌ عَجَلُ

يا مُنفِقَ العُمر في عصيانِ خـالِقه
أفِقْ فإنك مِن خَمرِ الهـوىٰ ثَـمِلُ
تعصيه لا أنت في عِصيانه وَجِـلٌ
مِن العقاب ولا مِـن مَـنّه خَـجِلُ
أنفاسُ نفسِك أثمانُ الجِنان فـهل
تشري به لهباً في الحشرِ يشــتعلُ
تُشِحُّ بالمال حرصاً وهـو مـنتقلٌ
وأنت عـــنه بـرغمٍ مـنك مُـنتقِلُ
ماعذرُ مَن بَلَغ العشرينَ إنْ هجعتْ
عيناه أو عاقه عن طاعةٍ كَسَلُ(١)

## ٤ ـ رأي الغربيين في هذا الحلّ

يقول (السير راسل والاس) الذي اشترك مع (داروين) في تأسيس قانون «التنازع من أجل البقاء وانتخاب الأصلح» في كتابه «عجائب عالم الأرواح»: «كنت إنساناً مادياً صرفاً، ولم يكن في ذهني موضع لقبول مسألة وجود الروح، ولكني التفت أخيراً إلى أنَّه لا يمكن إنكار المشاهدات الغيبية والإحساسات وردّها بلا دليل، لقد غطّت هذه المشاهدات والإحساسات تدريجياً مساحة من تفكيري وتصوراتي

(١) راجع ترجمته في كتابنا (علماء البحرين دروس وعبر).

إلى درجة أنني لم أستطع تفسيرها بغير عامل الروح»(١)

وكتب في هذا الحلّ فضيلة الشيخ الدبّاغ صاحب كتاب (آيات الله في الآفاق والأنفس):

لطالما شغلت المفكّرين والمتأمّلين مسألة الآخرة .. ولطالما احتار فيها العلماء والمتعلّمون .. حتّى طلّ علينا العصر الحديث فإذا النداء يأتينا من الغرب بضرورة مراجعة الفكر الإنساني للإلتفات إلى مسألة الحياة الأُخرى .

فأقرّها فطاحلة العلماء ممّن لا ينتمي إلى دين أو يتحيّز إلى فكر.. أمثال (كير كجارد) و (برجسون) و (دوكاس) . وكل قضية عادلة تعرض على مسرح العقل البشري يؤيّدها العقلاء ويتنكّر لها الجهّال والمتطفّلون على العلم .. وكانت الآخرة من إحدى الفكر التي هزأ بها المتغافلون عن البراهين الساطعة . ولم نسمع من هؤلاء دليلاً مقنعاً لإنكار الآخرة فاستنتجنا سبباً لهذا الإصرار ، هو التمادي في تخدير الضمير للتخلّص من وخزه وتأنيبه ، ومحاولة التهرّب من رقابة الخالق والتملّص من الالتزام بالمباديء والقيم السامية ، وإطلاق العنان للأهواء والرغائب الشيطانية الطائشة .

وإزاء كل هذا الطمس لهذه الحقيقة الملحّة .. فقد دلّت الأبحاث على ضرورة الآخرة ...

فمن الجانب النفسي شوهدت النفس الإنسانية وهي تشتاق إلى

---

(١) عالم الأرواح العجيب / ص٤٢ .

عالم آخر طالما انتظرته بفارغ الصبر .

ومن الجانب الأخلاقي فقد أكّدت الأدلّة العقلية بأنّ كل شيء في الكون يدلّ على العدل فكيف يموت الظالم وهو ظالم ، والمظلوم وهو مظلوم بدون حساب ؟ إذاً لابدّ أنّ هناك عالماً آخر يثاب فيه المحسن ويعاقب فيه المسيء . وإلّا فإنّ التاريخ البشري يفقد كل معنى .

أمّا الضرورة الكونية فقد تحقّقت بالأدلّة القطعية لدى علماء الطبيعة بنفي صفة الأزلية عن المادّة ، ولابدّ لهذا العالم من نهاية حتمية ، وقيامة كبرى تكون خاتمة للقيامات الصغرى التي تمرّ بها عوالم الإنسان والحيوان والنجوم والحضارات المتلاشية والحقب الزمنية الفانية .

وأخيراً تحقّقت علمية إثبات الآخرة عن طريق الشهادة التجريبية فإنّ الحياة التي ظهرت مرّة واحدة يمكن أن تعيد نفسها ، وأنّ الخالق ـ بالتأكيد ـ يستطيع من جديد خلق الحياة التي أنشأها للمرّة الأولى، وهذا الدليل قد صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ولذلك قال البروفسور (دوكاس): إنّ بقاء الحياة بعد الموت لعلّها الوحيدة من عقائد الدين الكثيرة التي يمكن إثباتها بالدليل التجريبي .

---

(١) سورة الأحقاف / ٣٣.

وتظلّ مشكلة الضبط الاجتماعي محيّرة لعقليّات الفلاسفة ورجال السياسة وعلماء النفس والاجتماع .. وعلى امتداد التاريخ تبقى معضلة السلوك الاجتماعي مادّة تفكير المفكّرين ، لا سيّما وإنّ جميع وسائل الإرهاب والتحذير والاغراء قد فشلت في تحقيق المهمّة . حتّى انتبهت الأبحاث الاجتماعية إلى سلوكيات شريحة إجتماعية واعية عُرفتْ بالالتزام الديني والتفكير الأُخروي وافتراض الرقابة الدائمية على الذات ومحاسبة النفس بوازع الضمير المتيقّظ .

وهذا هو الحلّ الوحيد الذي يستطيع معالجة التدهور الحضاري بصورة صحيحة محافظاً على إنسانية الإنسان ودافعاً إيّاه نحو الخير والإخاء .. وإلّا أصبحت الحياة مسرحاً مأساوياً بشعاً . وهذا ما اعترف به أحد مفكّري الغرب وهو (برتراند رسل) حيث يقول : «إنّ حيوانات عالمنا يغمرها السرور في حين كان الناس أجدر من الحيوان بهذه السعادة ، ولكنّهم محرومون من نعمتها في عالمنا الحديث» .

ولأجل تحقيق السعادة الدنيوية أسدل الباري عزّوجلّ عناية واهتماماً بعرض الآخرة وتبيانها للناس كي يفيقوا من غفلاتهم ويتّبعوا الحكمة في أُمورهم ، ولتكون الدنيا دار أمل كبير في نيل رضوانه وثوابه عزّوجلّ، وكما قال الإمام علي عليه السلام : « **إنّ الدنيا دار صِدْقٍ لِمَن صدّقها ودار موعظة لِمَن اتّعظ بها ، ودار عافية لِمَن فهم عنها ، ومسجد أحباب الله ، ومتجر أوليائه ، إكتسبوا منها الرحمة ، وربحوا منها الجنّة** » ..

والآخرة أصل من أُصول ديننا ، وقد حذّر الله سبحانه وتعالىٰ منها كلَّ مَن ألقى السمع وهو شهيد ، فقال عزّ من قائل : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾(١) وقال عزّوجلّ أيضاً : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلىٰ اللهِ**﴾(٢)، وكذلك قد أمرنا بالاستعداد لها : ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾(٣) وبيّن (العملة) المتداولة في ذلك العالم، حيث قال: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾(٤). ولذلك أجاب الإمام علي عليه السلام رجلاً يهودياً كان يسأله : ما الصعب وما الأصعب ؟ قائلاً له : الصعب : القبر، والأصعب : الذهاب بلا زاد(٥).

وجاء في تصريحات الذين اعتنقوا الاسلام ما يؤكد صحة العقيدة بالغيب وأهميّة الايمان باليوم الآخر:

* روجيه دوبا سكويه

كاتب وصحفي سويسري، اعتنق الإسلام مع زوجته الهولندية، من أهم كتبه (تحدي العصر) و(إظهار الإسلام)، يقول فيه:

«تقتضي شهادة «أن لا إله إلا الله» الامتثال الضروري والتسليم لمشيئته عزوجل، ثم تأتي الخطوة الثانية «محمد رسول الله» فتُقرّر أنه لتحقيق الامتثال والتسليم لله، لا توجد وسائل أفضل من اتباع رسوله صلى الله عليه وآله فقد عاش الرسول وأنجز مهمته بالاعتبار الكامل للدنيا والآخرة، وأعطى المثل الأعلى في إمكانية تحقيق الحالة الإنسانية

(١) سورة الحج / ١.
(٢) سورة البقرة / ٢٨١.
(٣) سورة الحشر / ١٨.
(٤) سورة البقرة / ١٩٧.
(٥) انتهى كلام الشيخ الدبّاغ.

على الأرض بدون إغفال ـ ولو للحظة ـ البعد الروحي، وأقام الاتزان الرائع الذى يميز المسلم والذي يسمح له بالتمتع بالحياة الدنـيا، دون أن ينسىٰ أننا كلّنا راجعون إلى الله عزّوجل وماثلون أمامه.. ويساعد الإسلام المرء على العيش بدون أن يفقد نـفسه، إذ يـجمع طـمأنينة الروح مع التوافق في العلاقات البشرية مع تحقيق الغاية العظمى التي خلقنا الله لها».

* **الدكتور ياسين باينز**

طبيب بلجيكي، يتكلم اللغة العربية، ويحفظ القرآن الكريم. يـقول د. ياسين:

«كُنت قبل الإسلام أرىٰ أنه إذا كان لا بد من دين، فإن هذا الدين لا بد أن يكون شاملاً لكل تصرفات الإنسان في الحياة، فلا يمكن أن يكون الدين الصحيح لساعات قليلة من حياة الإنسان، وكُنت أرىٰ أن الله لا بد أن يمنح الإنسان هذا النظام الشامل، ووجدت في الإسلام وحده نظاماً شاملاً لحياة الإسلام، إذ الإسلام يشمل حـاجة القـلب والنفس والعقل ولكن دخولي في الإسلام كان مبنياً على الفكر أولاً».

## ٥ ـ المستهزؤن بهذا الحلّ

وهم كثيرون، لأن الدنـيا ولذاتـها وبـهارجـها وألوانـها الجـذابـة وأطعمتها (اللذيذة) وشهواتها (الجنسية البهيمية خـاصة) قـد حـالت دون أن يتفكروا فيغيرها. فـعالَم المـال والتـجارة وعـالَم الظـهور

والسياسة وعالم اللهو والبذخ، عالَمٌ مثير للكثيرين الا القلة الواعية التي آمنت بجوهر الحياة ولم تستهزء برسالات الأنبياء كما استهزء الكثيرون بهم وبنبينا العظيم ﷺ **﴿والَّذين كَذَّبُوا بآياتِنا سَنَسْتَدرِجُهُم مِنْ حَيثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إنّ كَيدي مَتين * أَوَلَم يتَفَكَّروا ما بِصَاحِبِهِم مِن جِنَّةٍ إن هو إلّا نَذيرٌ مُبين﴾**[1].

ونحن لمّا ندعو إلى الحلّ المذكور (أي التفكير في الآخرة لإصلاح أُمورنا في الدنيا) أو بتعبير آخر (التفكير في النهاية لعلاج البداية) ، فإنّما نتوجّه به إلى الذين لم تتجذّر فيهم صفة الاستبداد بالرأي والعجب بالنفس وحبّ الأنا والتعصّب للذات ، لأنّها صفات تمنع عن رؤية الحقيقة وتحول دون تأثير الحلّ والعلاج . وهي من صفات الحمقىٰ الذين قال فيهم الإمام الصادق عليه السلام : « **مَن أعجب بنفسه هَلَك ومَن أعجب برأيه هلك ، وأنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال : داويتُ المرضىٰ فشفيتُهم بإذن الله ، وأبرأتُ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وعالجتُ الموتى فأحييتُهم بإذن الله ، وعالجتُ الأحمق فلم أقدر على إصلاحه. فقيل : ياروح الله وما الأحمق ؟ قال : المعجب برأيه ونفسه ، الذي يرىٰ الفضل كلّه له لا عليه ، ويوجب الحقّ كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقّاً ، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته** »[2].

وهذه مع الأسف صفات المسلمين من أهل الدنيا والغارقين في كبائر المحرّمات ، وكذلك صفات أكثر الحدّيين في تجارة الخلافات ـ

---

(١) سورة الأعراف / ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(٢) كتاب الأنبياء والحكماء / للشهيد آية الله السيّد حسن الشيرازي / ص ٢٢١ .

الدينية ـ وعمليات التناطح السياسي!! اولئك الذين يتنافسون بسلوكياتهم النزاعية مع البهائم والحيوانات حينما تتنازع!!

ونتمنّى باستفادتك من الحلّ الوارد في هذا الكتاب أن تثبت خلوّك عن هذه الآفات والأمراض التي عدّها الإسلام من صفات الحمقىٰ (أعني صفة العُجْب بالنفس وحبّ الأنا والتعصّب بالرأي) .

لعلّك تسألني : إنّه لا أحد يخلو من شيء من هذه الصفات إذن، فهل كل الناس حمقىٰ وبالتالي هل نسدّ باب الهداية بوجههم؟

أقول: ما تجذّر منها في الفرد هو ما نقصده وقصده الإمام الصادق عليه‌السلام من الحديث المذكور. وأما الحالة السطحية منها ربما عالجتها موعظة واحدة من مواعظ الأولياء أو أكثر. ولعل الآية في قوله تعالىٰ تقصد هذا المعنى: **﴿وسواءٌ عليهم ءأنذرتَهم أمْ لَم تُنذِرهم لايؤمنون * إنّما تُنْذِرُ مَن اَتبع الذّكْرَ وخَشِي الرَّحمٰنَ بالغَيبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وأجْرٍ كَرِيم﴾**[1] ونحن نأمل في أنفسنا والقرّاء الراغبين لإصلاح أنفسهم أن نكون من هؤلاء الذين يتواضعون للعلم واكتشاف الحقيقة كي يتّبعوا الذكر ويخشوا الله تعالى.

فشتّان من الفرق بين من يحمل في داخله استعداداً للانتقال الىٰ واقع آخر وبين الذي يستبد بموقعه ويكابر على الحقيقة ويتصور أن (الرجل كلامه واحد لن يتغير)! بينما نرىٰ الإمام زين العابدين عليه‌السلام وهو المعصوم الكامل هكذا يقول في دعائه :

---

(١) ـ يسٓ / ١٠ ـ ١١

**« اللهمّ متىٰ وقَفنا بين نقصيْن فـي ديـنٍ أو دنـيا فأوقِـعْ النـقص بأسرعهما فناءً ، واْجعَلِ التوبةَ في أطولهما بقاء » .**

أجل.. فـفي الوقت الذي يسـتهزء الغـافلون اللّاهـون فـي الدنـيا بالحلول التربوية الاسلامية الأصيلة فإن هناك من الطيبين الغـافلين الذين توقظهم مثل هذه الكلمات:

يا ابن آدم ! أنت في الدنيا غريب مهما التفّ حولك الناس . وأنت فيها فقير ، مهما جمعت من أموال . وأنت فيها عاجز ، مهما امتلكت من وسائل الحياة . وأنت فيها ضعيف مهما امتلكت من قوّة. فلا وطن لك في النهاية إلّا قبرك . ولا مـال لك إلّا كـفنك . ولا نـهاية لك إلّا الموت . و **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**[1].

ومَن توقظه هذه الكـلمات لا يسـتهزء بـالحل الجـذري لواقـعنا المريض في هذا الزمان الصعب. **«اللهم نبِّهْنا مِن نومةِ الغافلين»**.

## ٦ـ في الطريق الىٰ عرس المتّقين؟

نعمْ إن في القيامة حفلُ عرسٍ عـظيم، يـقيمه الله للـمتّقين حـيث جاؤوا بمهر مقبول عنده تعالى هو التقوىٰ الذي قـال فـيه ربـنا عـز وجل: **﴿وَتَزَوَّدوا فإنَّ خَيرَ الزّاد التّقوىٰ﴾**[2]، وجاء الإعلان عن ذلك على لسان الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : **«القيامة عرس للمتّقين»**[3].

---

(١) طرق مختصرة الى المجد / لآية الله السيد هادي المدرِّسي .

(٢) سورة البقرة / ١٩٧.

(٣) عن كتاب (الحكم الزاهرة) بحث المعاد .

والطريق إلى هذا العرس يمرّ عبر محطّات ومفارز عديدة ، لابدّ لك من وعيها قبل الحركة ، وإنْ وعيتَها وعملتَ بالتعليمات اللازمة والتي هي التقوىٰ فستصل إلى عرسك من غير عناء وتـدخل الجـنة بـغير حساب ، لأنّك عانيت في الدنيا وجاهدت نفسك الراغبة في التّثاقل الى ارض الشهوات، وصفّيت حسابك في هذه الحياة، والله أكرم من أن يُخضِعك للعناء والحساب مرّتين، وقد أخـبرنا نـبيّه الكـريمﷺ : **«حاسِبوا انفسَكم قبل أن تُحاسَبوا».**

فاذا مارس الانسان تقواه مـمارسة واعـية وصـحيحة فسـيجتاز محطّات الطريق الىٰ هذا العرس ويتجاوز مواطن الوحشة بسلام، كما قال عنها الإمام الرضاعليه السلام: **« إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق فـي ثـلاثة مواطن ، يوم يولد ويخرج من بطن أُمّه فيرى الدنيا ، ويوم يموت فيرى الآخرة وأهلها ، ويوم يُبعَث فيرى أحكاماً لم يرها في الدنيا ... »**[(١)].

من الواضح ـ كما أثبته علماء النـفس والاجـتماع ـ أن الانسـان يتأثر من محيطه ويحاول إنجاز راحته في الدنيا، ولكن الدين يـقول انه لن يجدها، ويدفعه الشيطان على هذا السراب، ولن ينتصر الشيطان علىٰ الواعين لخططه وهم المخلصون من عباد الله. وهـذا الاعـتراف بالعجز صدر من الشيطان مسبقاً. **﴿إلّا عِبادَكَ مِنهُم المُخلَصِين﴾**[(٢)].

فيخطأ كل مَن يهرول خلف الدنيا براحته وسـعادته، إنـها سـرابٌ وخيال.

---

(١) الخصال /ج١ ص١٠٧.

(٢) سورة الحجر / ٤٠.

يقول الإمام الصادق عليه السلام مبيّناً هذه المعادلة: « **مَن أصبح وأمسىٰ والدنيا أكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه وشتَّتَ أمره ولم يَنَلْ مِن الدنيا إلّا ما قُسِم له ، ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همّه جعل الله تعالى الغنىٰ في قلبه وجمع له أمره**»(١).

ويؤمن بهذه المفاهيم من انفتح قلبه للايمان وشاهد الغيب بالتقوى وانشرح صدره للاسلام فصار يتحمّل ألوان البلاء حتى تنقضي هذه الدنيا الدنية. فتبدأ سعادته الابديّة.

وليس من شروط هذه السعادة كثرة التعلّم بل من شروطها كثرة التفكر في عظمة الله ورحمته ولطفه وحكمته والتضرّع اليه وطلب التوفيق منه.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: «**ليس العلم بكثرة التعلّم، وإنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يحبّ فينفتح له، ويشاهد الغيب، وينشرح صدره، ويحتمل البلاء.**

قيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟

فقال صلى الله عليه وآله: **التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخُلُود، والاستعداد للموت قبل نزوله**»(٢) .

وهذا النوع من العلم النوري ينقلك الى درجة الأولياء الذين قال عنهم الامام علي عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار / ج٧٣ ص١٧.

(٢) تفسير الصراط / ج٢ ص٤٨.

**«إنَّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أنَّه سيتركهم...»**[١].

انها درجات مفتوحة للساعين اليها، فهذا كتاب الله العظيم بأيدينا وبصائره تنادينا.. هلمّوا الى الايمان بالغيب وبكل ما احتواه الغيب **﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلمُتَّقِينَ﴾**[٢].

فليس التقوىٰ باختزان المعلومات ولو كانت اسلامية وحوزوية (مطنطنة) بل التقوىٰ بجهاد النفس الأمارة بالسوء وترويضها بالخشية الإلهيّة وتهذيب النفس بالأخلاق الإسلاميّة لكي لا تحسد وتتآمر وتكفّر الآخرين وتسقيطهم في الطريق إلى الزعامة الأوحدية! قال رسول الله ﷺ: **«أكثر ما تلج به أُمتي الجنة تقوىٰ الله وحُسن الخُلق**[٣]**»**.

وقد ذكر العلامة المجلسي ﵀ في توضيح هذا الخبر قال: التقوى حسن المعاملة مع الربّ، وحُسن الخُلق حسن المعاملة مع الخَلق، وهما يوجبان دخول الجنة.

وعن أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: **«ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن**[٤]**»**.

وعنه ﷺ قال : **« معاشر الناس التقوى التقوى ، إحذروا الساعة ، كما**

---

(١) نهج البلاغة / الحكمة ٤٣٢.

(٢) سورة البقرة ١ ـ ٢.

(٣) بحار الانوار / ج٦٨ ص٣٧٥.

(٤) بحار الانوار / ج٦٨ ص٣٨٣.

**قال الله عزّوجلّ : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي ربّ العالمين والثواب والعقاب ، فمن جاء بالحسنة أُثيب عليها ، ومن جاء بالسيّئة فليس له في الجنان نصيب »**[١].

وصدق الله عز وجل حيث قال: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنيا قَليلٌ والآخِرَةُ خَيرٌ لِمَن اتّقىٰ وَلَا تُظْلَمُون فَتيلاً * أيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُّمُ المَوتُ وَلَوْ كُنتُمْ في بُرُوجٍ مُشيّدةٍ﴾**[٢].

## ٧ـ ما مِن حركة إلّا و أنت...

نعم.. **«مامن حركة إلّا وأنت محتاج فيها الىٰ معركة»** ـ هكذا قال أمير المؤمنين عليه السلام فانظر كيف تفهم نفسك وتعرف حياتك وترىٰ مستقبلك.

إنّ طبيعة فهمك وموقفك من حياتك في الدنيا ومستقبلك في الآخرة تحدّد لك مسارك في توجّهاتك الفكرية والعملية ، بمعنى أنّ مستقبلك الأُخروي تصنعه أنت من نظرتك إلى حياتك في الدنيا ومعرفتك للهدف من بعد الموت.

فهذا مولانا الإمام علي عليه السلام هتف بندائه الموقظ فينا قائلاً : « **أيّها الناس إنّما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند مَن يعلم أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها أختُبِرتُم ولغيرها خُلِقْتُم ،**

---

(١) الاحتجاج / ج١ ص٨٢. (٢) سورة النساء / ٧٧ـ ٨٨.

**إنّ المرء إذا هلك قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم؟ لله آباؤكم، فقدّموا بعضاً يكن لكم ؛ ولا تخلّفوا كلاً فيكون عليكم »**(١).

وهذا ما يعلّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء يوم الثلاثاء : **«اللهمّ أصلح لي ديني فإنّه عصمة أمري وأصلح لي آخرتي فإنّها دار مقرّي وإليها من مجاورة اللئام مفرّي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كلّ شرّ »** .

وكم قال رائعاً في مناجاته المعروفة بمناجاة الزاهدين **«إلهي أسكنتَنا داراً حَفرتْ لنا حُفَرَ مكْرِها، وعلّقتنا بأيدي المنايا في حبائل غَدرِها، فاليك نلتجىء مِن مكائد خِداعها، وبك نعتصم مِن الاغترار بزخارف زينتها، فانها المُهلِكةُ طلابَها... إلهي فزهِّدْنا فيها وسلِّمنا منها بتوفيقِك وعصمتِك... وأخْرِجْ حُبَ الدنيا مِن قلوبِنا كما فَعَلْتَ بالصالحين مِن صفوتك...»**(٢).

إن الاسلام من خلال القرآن وأقوال العترة النبوية الهادية يؤكد على هذا الحل. والانسان العاقل ولو من باب الأخذ من ذوي التخصص عليه أن يأخذ منهم.

«فاعرف إذن أنك مجرّد نزيل .. وهذا العالم مجرّد فندق .. فمهما عشت فيه ، فلابدّ أن تغادره في يوم من الأيّام . ومهما استخدمت فيه من الأشياء، فلابدّ أن تدفع ثمنه في نهاية الأمر . ومهما كنت محترماً

---

(١) نهج البلاغة ، صبحي الصالح / ص ٣٢٠.

(٢) مفاتيح الجنان / مناجاة الزاهدين.

وعوملت بفخامة ، فلابدّ أن تُحاسب على كل صغيرة وكبيرة صرفتَ منها، وأن تدفع فاتورة الحساب كاملة غير منقوصة . وكما لا تحاسَب أوّل ما تدخل الفندق ، فأنت لا تحاسَب على شيء من الدنيا فيها، بل يترك لك الخيار في أن تستخدم كل إمكانيات فندق العالم، من دون أن يمنعك مانع ، ولكن لابدّ في النهاية من أن تدفع الثمن عند مغادرته. فالدنيا «**في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشُبهات عِتاب** »[١].

## ٨ـ سفرات إختيارية وسفرات إجباريّة

إنّ العقلاء لا يُقدِمون على أمرٍ حتّى يجمعوا حوله وحول عواقبه ونتائجه معلومات دقيقة وشاملة، يقرؤون بها نسبة النجاح والخسارة والنفع والضرر فيه، ثم يُقدِمون أو يحجمون. ففي السفرات الاعتيادية مثلاً تراهم يقومون فيها باستقصاء معلومات عن البلد الذي يقصدونه، فيسألون مثلاً عن أهم قوانينه المتعلّقة بالواردين ، ومتى هو الطقس المناسب فيه، وكيف هي اللغة والتعامل ودرجة الأمن والراحة، وعن مستوى الغلاء والمبلغ المطلوب حمله من المال ونوع العملة.

وهذا ـ كما تعلم أيّها القارئ اللبيب ـ إنّنا مخيَّرون في القيام بمثل هذه السفرات ، إنْ شئنا قمنا بها، وإنْ لم نشأ لم نَخْطُ إليها خطوة واحدة.

---

(١) طرق مختصرة إلى المجد / ص٦٢ ـ ٦٣ تأليف آية الله السيّد هادي المدرّسي.

ولكن يوجد سفرٌ نحن منقادون إليه جميعاً وبلا استثناء شئناه أم لم نشأه ، فإذا كان العاقل يمهّد لتلك السفرات الاختيارية ويجمع لها تلك المعلومات فكيف يكون تمهيده للسفرات الاجبارية ؟!

وبهذه المناسبة أذكُر أحد المهجّرين من دولة خليجية أنه سرعان ما رتّب معيشته في ايران ، حيث اشترى منزلاً في مدينة قم المقدسة، وأثّثه واشترى سيارةً وانطلق يعمل في التجارة ويستثمر أمواله وكأنّه لم تحدث له ولعائلته أيّة مشكلة تُذكَر ، وكان بين المهجّرين أكثرهم مرحاً وفرحاً وبشاشة وحيوية ، حقّاً كان في حياته رجلاً ناجحاً على هذا الصعيد رغم خسائره المالية في بداية انطلاقته في التجارة، سألتُه ذات مرّة كيف استقررت بهذه السرعة وأنت صاحب عيالٍ كثيرة؟

قال : منذ اندلعت الثورة الإسلامية في ايران بدأت أجمع شتات أموالي وأبعثها إلى حساب مصرفي في ايران تحسّباً للطوارئ، لأنّني كنت أقرأ الأحداث بشكل دقيق لا بطريقة العواطف والسطحيات فماذا يضرّ إذا مهّدت لتسفيري المحتمل بمال ينفعني هناك، وقد نفعني بالفعل ، حيث هجّروني بملابسي التي كانت عليّ من السجن إلى السفينة إلى ميناء (بوشهر) ، والآن كما ترى فلم أخسر شيئاً وخير البلاد ما حملك.

وكذلك يكون العاقل الذي يرسل إلى حسابه في الآخرة قبل اللحوق إليها، هذا إذا كان يريد العيش بهناء وسعادة في ذلك الوطن الأصل (الآخرة). والعجب ممّن يرىٰ سفر الآخرين ولا يستعدّ له!

وكيف اطمئنّ إلى الحياة وهو يرىٰ من حوله كثرة الأموات؟!

كان الزهري من علماء البلاط الأموي في المدينة المنوّرة، رأىٰ ذات مرةٍ مولانا وامامنا زين العابدين ﷺ في ليلة من الليالي وعلى ظهره يحمل شيئاً.

فسأله الزهري: الى أين؟

فقال الامام ﷺ: **عندي سفر اهيئ له !**

فقال الزهري: دعني أحمل عنك.

فقال الامام ﷺ: **أنا أحقّ بحمله** ـ وكان متاعاً يحمله الامام لمساعدة الفقراء والأيتام ـ.

وبعد أيام إلتقىٰ الزهري الامام زين العابدين ﷺ وسأله عن سبب عدم سفره!

فأجاب الامام ﷺ: **ليس السفر الذي تعنيه، وإنّما سفر الآخرة!!**

وكذلك كان إمامنا زين العابدين ﷺ إذا أقبل عليه فقير فيعطيه ويقول له: **مرحباً بمن يحمل زادي الى الآخرة .**

وقد لايصدّق الانسان الغافل أنه كغيره من الأموات مرشَّح للموت وأنه ينقل الى دار المقابر قسراً!

ولكي يصدّقهم فليسألهم إن كانوا قبل موتهم بساعة او حتى دقيقة يعرفون عن قرب النهاية، ودون أن يتكلموا معه فان جوابهم واضح من غير تصريح، خاصة في زماننا حيث كثُر موت الفجأة وموت

حوادث السير وموت سقوط الطائرات وموت التفجيرات والاغتيالات والزلازل وموت السرطان والحرائق وغير ذلك، فمن يا ترىٰ يضمن لنفسه السلامة في هذا العصر؟ إلّا أن يكون كاذباً اذا ادّعاها!.

ومن عجائب الموت ما قرأته في الصحف الايرانية قبل أيام: أنّ صقراً خطف ثعباناً ومضىٰ به الىٰ الهواء لكنه أُفلت منه فسقط على سيارة (وانيت) سائرة في الطريق فلسع ركابها الأربعة، فقتل منهم إثنين فوراً وجرح الآخرَيْن!

وأنا أكتب هذه السطور أيضاً وردني نبأ إصطدام طائرة ركّاب روسية بأخرى أمريكية راح ضحيتها عدد كبير من نخبة الأذكياء والمتفوقين الروس[1].

نعم.. آلاف الحوادث في العالم تقع يومياً و تزهق مئات آلاف الأرواح، والجميع يعرف ويعترف أن الحوادث لا تخبر ضحاياها قبل وقوعها.

إذن أليس من الجدير أن نعيش على جناح الاستعداد للموت قبل وقوعه؟ ألا يجدر بنا أن نصلح أنفسنا ونعمل صالحاً لوجه الله قبل أن يتخطّفنا الموت.

---

(١) واكتب هذه السطور من الطبعة الثانية للكتاب وأخبار العراق وتفجيرات العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة تحتل مقدمة نشرات الأخبار العالمية. والعالم في زماننا ملتهب بالحوادث.

وكم قاله الشاعر جميلاً:

يـــامن بـــدنياه اشــتغل قــد غــرّه طــول الأمــل

المـــوت يأتـــي بــغتةً والقــبر صـندوق العـمل(١)

فيا أخي القارئ وأُختي القارئة .. (الموت قفزة عـظيمة إلى عـالَم أعظم لقضايا عظمىٰ. والدنيا مقبرة كبيرة ، فبينما ترى مبانيها جميلة فإنّ مخابيها قبيحة ، وبينما الحياة بدايتها لذيذة فإنّ نـهايتها أليـمة، وبينما لم يخرج المرء من أفراح الولادة حتّى تفاجئه أحـزان الوفـاة وهكذا فنحن في قافلة واحدة ، تسير باتّجاه واحد ولا يشذّ عنها أحد و ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ويبقىٰ وجهُ ربِّكَ ذوالجَلالِ والإكرام﴾ ومـع أنّ المـوت خروج حتمي إلى عالَم الغرائب فإنّ كثيرين يحاولون أن لا يصدّقوه إلّا لغيرهم (وكأنّ الموت علىٰ غيرنا كُتِب)(٢)

لا أبداً.. كلّنا على أبواب سفرٍ ليس منه مفرّ . أَمِن العقل أن لا نعلم عن هذا السفر شيئاً ممّا ينفعنا ويصبّ في راحتنا؟

وهل من الحكمة أن لا نهيّئ أنفسنا لمفارزه الصعبة، وأن لا نبعث إلى كل مفرزٍ مفرزٍ منه زاداً ينفعنا حين الوصول إليه؟

فهذا كتاب الله تعالى يخبرنا عن أهم تلك المـفارز وهـو أصـدق الصادقين : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ

---

(١) من الأشعار المنسوبة إلى الإمام علي عليه السلام في ديوانه المعروف .

(٢) طرق مختصرة الى المجد / لآية الله السيد هادي المدرسي .

**سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾**(١).

وقال أيضاً : **﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾**(٢).

أجل .. إنّ الموت سفر إجباري لا خيار لنا فيه وهو من أصعب الحوادث في حياة البشر ، تصوّر نفسك، قد توقّف فيك كل نبض ونشاط وحركة، وستنقطع عن علائقك الدنيوية بعد لحظات او دقائق أو حتىٰ ساعات ، فلا تكون في بيتك ولا عند أحبتك، ولا كل ما جمعتَه ورتّبتَه وأسّستَ عليه آمالك، كل شيء سينتهي وتنفصل عنه وتُدفَن أنت بجسمك تحت التراب، وفيك الشعور والإحساس بالروح حينما تُدخَل في القبر، أفلا يرهبك هذا الموقف ؟

ولِمَ لا وأنت ستقع على بداية طريق مليء بالأهوال والشدائد ولا تدري ما الذي يحدث لك في القبر وبعده.

فهذا إمام المتّقين علي ﷺ هل كان يبكي ويناجي الله إلا لحقيقة كانت أمامه، قد عرفها حق المعرفة؟ يقول: « **مولاي يامولاي .. أي الأهوال أتذكّر ، وأيّها أنسىٰ ، ولو لم يكن إلاّ الموت لكفىٰ ، كيف وما بعد الموت أعظم وأدهىٰ**».

---

(١) سورة الحجّ / ١ ـ ٤.  (٢) سورة الإنسان / ٢٧ ـ ٢٩.

إنه يقول هذا ليعلّمنا ويدفعنا للتفتيش عمّا يُريحنا في تلك الساعة الثقيلة وما بعدها من الساعات الموحشة ؟

إنّه لطريق وعِرٌ حقّاً ، قد نبّهنا منه أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ، وها هو كذلك حينما كان يتهجّد في آناء الليل ويجود بنفسه ويلتوي ويبكي شوقاً الى رضوان الله الاكبر، دافعاً عن نفسه خطر الدنيا : «**يـادنيا ، يادنيا، إليكِ عنّي ، أبي تعرّضتِ أم إليّ تشوّقتِ ، لا حان حينك ، هيهات ! غُرّي غيري ، لا حاجة لي فيكِ قد طلّقتُكِ ثلاثاً لا رجعة فيها ! فعيشكِ قصير ، وخطركِ يسير ، وأملك حقير ، آهٍ آه مِن قلّة الزاد وطول الطريق وبُعد السفر وعظيم المورد** »[1].

ومثل جدّه علي عليه السلام كان الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام يبكي في سجوده ويقرأ : « **اللهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت ، والمغفرة بعد الموت ، والعفو عند الحساب** » .

لقد أراد الأئمّة عليهم السلام بسلوكياتهم العبادية وكهذه الأقوال والمواقـف أن يبعثوا فينا اليقظة ويزيلوا منا الغفلة، فنحن مع كل ما قالوا وفعلوا لا زلنا نيام وفي سبات عميق ، فكيف بنا إن لم يقولوا شـيئاً حـول أصعب سفر حتمي في حياتنا هو الموت ؟

وكم تحمّلوا (صلوات الله عليهم اجمعين) من الأذىٰ ليعلّمونا طريق الجنة.

يقول الشاعر :

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة / ص١٠٨.

لا تــــركنّن الى الحــياة إنّ المــصير الى المــمات
واعــمَلْ وكُــن مــتزوّداً بــالباقيات الصــالحات
واغــنَم لنــفسِك فــرصةً تــنجو بـها قـبل الفـوات
واذكُــر ذنــوبَك مــوقِناً أن لا ســبيلَ الى النــجاة
إلّا بــحُبّ بــني النــبي المــصطفى الغُــرّ الهــداة
جــار الزمــان عــليهِمُ فــرماهمُ بــالفادحات
هــذا قــضىٰ قــتلاً وذاك مشــرَّداً خــوف الطــغاة
بــعضٌ بــطيبة والغــريّ قــضىٰ وبــعضٌ بـالفرات

**٩ـمن هنا نصنع الغد:**

بناءً على ما تقدّم لا نعتقد في القراء مازال مَن يسأل:

ما نَفْع الكلام عن الموت ونحن أحياء ؟!

أليس الحي يُقَدَّم إليه كلام عن الحياة ؟

وهل المعيشة السعيدة في الدنيا يـنحصر تـحقيقها بـذكر المـوت والتفكّر في الآخرة فقط ؟

فهذه أسئلة لا يعيدها القاريء الذي وعىٰ ما ذكرناه الىٰ الآن ولكنّنا نؤكد عطفاً على ما سبق: بأنّ موقف المؤمن من الموت هو الموقف الذي يتعلّمه من أهل البيت عليهم السلام إنّهم (صلوات الله عليهم) يكونون في

لحظات الموت في أحسن حالاتهم وأسنىٰ بهائهم، يُقبِلون عليه فرحين مستبشرين لأنّهم مطمئنّون إلى دينهم وربِّهم وآخرتهم وهم قد تحمّلوا الظلم والاضطهاد لأجل دين الله وهداية عباد الله. إنّنا في مدرسة هؤلاء الأطهار نتعلّم السعادة الدنيوية من إيماننا بالله الحق والإعتقاد باليوم الآخر ، لأنّ الذي يفني السعادة الدنيوية هو حبّ الدنيا والتعلّق المفرط بها وقد اعتبره أئمة أهل البيت عليهم السلام رأس كل خطيئة، ودلّت على ذلك التجارب والشواهد والصراعات والاحداث.

فعقيدتك بالآخرة وما يجري عليك منذ ساعة الموت هي ما تفني فيك حبّ الدنيا المسبِّب للخطيئات. وبالتالي فإنّك بهذه العقيدة والعمل على ضوئها تعيش سعيداً وتموت سعيداً وتخلد في نعيم الجنّة لا محالة.

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **ذكر الموت يُميت الشهوات في النفس ، ويقطع منابت الغفلة ، ويقوّي النفس بمواعد الله ، ويرقّ الطبع ، ويُكسر أعلام الهوى ، ويطفىء نار الحرص ، ويحقّر الدنيا. وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه وآله : «فكر ساعة خير من عبادة سنة » وذلك عندما يحلّ أطناب خيام الدنيا ويشدّها في الآخرة ... ومَن لا يعتبر بالموت وقلّة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيّره في القيامة فلا خير فيه**»[1].

بالله عليك ـ أيها القاريء المحترم ـ لو كان الظالمون والمجرمون ـ

(١) مستدرك الوسائل / ج٢ / ص١٠٥.

كبارهم وصغارهم، سواءً بحافز الدين أو بحافز السياسة ـ لو كانوا يخافون الموت وعذاب القبر ونار جهنم، هل كانوا يرتكبون الظلم والجريمة بحق الآخرين ويرمون الناس والحياة في هذه الويلات؟ بالطبع كلا.

فذكر الموت ونصب العواقب أمام العين من أهم اسباب السعادة الدنيوية، فضلاً عن الراحة الدائمة في الآخرة.

وبهذا قد عرفتَ أيضاً بأنّ في منهج أهل البيت عليهم السلام ليس المطلوب أن تفكّر في الموت تفكيراً سلبيّاً ، بل المطلوب أن تفكّر به تفكيراً إيجابيّاً ، لينعكس على سلوكك في الحياة ايجابياً كذلك، لأنّك إذا كنتَ مؤمناً بالموت وبأنّ هنالك عالَم آخر تنتقل إليه حتماً، وأنك فيه تُحاسَب حتى بمقدار وزن مثقال ذرة، فإنّ هذا الإيمان حينئذ يدفعك إلى انتهاج سيرة الصالحين والحذر من السقوط في وحل الفاسدين، وهنا ستوزِن كل شيء في حياتك بميزان الآخرة لا بميزان المصالح الذاتية.

وما أجمل كلمة قالها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه البصيرة الهادية : « **الناس في الدنيا عاملان : عامِلٌ عَمِلَ في الدنيا للدنيا ، قد شغلته دنياه عن آخرته ، يخشىٰ على مَن يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه ، فيفني عمره في منفعة غيره . وعامِلٌ عَمِلَ في الدنيا لما بعدها ، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل ، فأحْرَزَ الحظّين معاً ، ومَلَكَ الداريْن**

**جميعاً ، فأصبح وجيهاً عند الله ، لا يسأل الله حاجة فيمنعه »**[١].

وهذا ما تريده لك الآية الكريمة : **﴿وَمِنْهُمْ مَن يَقُول رَبَّنا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنة وفِي الآخِرَة حَسَنة وَقِنَا عَذابَ النّار﴾**[٢].

وهذا ما يريده لك الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث قال: «**إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً**»[٣].

فالذي ينتهج في حياته هذه العقيدة لا يخاف الموت خوف النعامة من قبضة الصيّاد ، ولا يموت موت الأذلّاء في مقصبة الجزّار.

وقد سأل أحدهم أبا ذرّ الغفاري : « ياأبا ذرّ لماذا نخاف الموت، قال : لأنّكم عمّرتم دنياكم وخرّبتم آخرتكم ! » .

وهذا ما أجاب به الامام الحسن المجتبى عليه السلام ذلك السائل الذي سأله: يابن رسول الله ما بالنا نكره الموت ولا نحبّه؟

فقال الحسن عليه السلام: **إنّكم أخربتم آخرتكم وعمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب**[٤].

والجهل ايضاً يساعد الخوف البائس من الموت، فقد قيل للامام الجواد عليه السلام : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: «**لأنّهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزّ وجلّ لأحبّوه ولعلموا**

---

(١) نهج البلاغة / كلمة ٢٦٩ من كلماته القصار.

(٢) سورة البقرة / ٢٠١.

(٣) تحف العقول كلمات قصار الإمام الحسن عليه السلام .

(٤) بحار الانوار /ج٦ ص١٢٩.

**أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا...».**

والبخل أيضاً ممّا يساعد علىٰ كره الموت وحب الدنيا فقد روىٰ الامام الصادق عن أبيه عليه السلام قال: أتىٰ النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: مالي لا أحبّ الموت؟ فقال له: **ألك مال؟** قال: نعم، قال: **فقدّمته؟** قال: لا، قال: **فمِن ثمّ لا تحبّ الموت**(١).

أجل ، فالذي آمن وعرف واستيقن بالحق يعمل لجنته الباقية ويجعل دنياه مزرعة للآخرة، فلن يخاف الموت خوفاً سلبياً ولن ترتعد فرائصه منه حائراً ذليلاً ولن يحاول الفرار منه ولا فرار.

فيا أيّها المؤمن تأمّل في قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: **«شيئان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة، ويكره قلّة المال وقلّة المال أقلّ للحساب(٢)».**

تظهر آثار هذه العقيدة على حياة الإنسان من خلال معاملته مع نفسه وعائلته وجيرانه وأرحامه وقضاياه الاجتماعية ومواقفه السياسية وكيفية ادارته للتنافس مع الآخرين. حيث تستقيم معاملته حينئذ على أساس الحقّ والمحبّة والعدل ، وهذه المعاملة الطيّبة تكون زاده الذي يحمله في سفره إلى عالم الآخرة .

وهكذا ـ عزيزي القارئ ـ ثبت لديك بأنّ الحياة الحقيقية التي من أجلها خُلقنا تصنعها أعمالنا الصالحة في هذه الدنيا ، فالموت بداية

---

(١) الخصال /ج١ ص١٠، بحار الانوار /ج٦ ص١٢٧.

(٢) بحار الانور /ج٦ ص١٢٨.

الوفود على تلك الحياة في الدار الآخرة بعد ابتلاء حسن وامتحان ناجح ومواقف حكيمة ، حيث قال ربّنا تعالى : **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾**(١).

### ١٠ ـ إكتشِفْ موضع قدميك

أُنظر من حولك، أين تقف من اللهو واللعب والجلوس الطويل لمشاهدة الفضائيات المخلّة بالآداب ومتابعة المسلسلات المفسدة للأخلاق والقيم والعادات الطيبة، وحرق العمر والأوقات في مجالس البطالين والضحك والغيبة واستعمال المخدرات، وممارسة الزنا واللواط والسحاق في الغرف المغلقات! وحضور المراقص والديسكوات! هذه مزابل الدنيا ومراتع الشياطين؟

إنّ مشكلة أكثر الناس نسيانهم موضع أقدامهم في هذه الحياة أو تناسيهم، فعشقوا اللذّات من حولهم ويقولون هل من مزيد؟!

أما أنت فلا تكن منهم إنْ أردتَ النجاة ، بل عليك أن تكتشف أين موضع قدميك والى أين تضعه بعد ذلك.

فاعلم أنّك الآن في دارٍ إسمها الدنيا التي وصفها أمير المؤمنين عليه السلام وصفاً دقيقاً عندما قال واعظاً لمن يتّعظ وناصحاً لمن يستنصح:

---

(١) سورة المُلك / ١ ـ ٢.

**« دارٌ بالبلاء محفوفة ، وبالغدرِ معروفة ، لا تدوم أحوالها ، ولا يَسْلَم نُزّالها، أحوالٌ مختلفة ، وتارات متصرّفة ، العيش فيها مذموم ، والأمان منها معدوم، وإنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها ، وتفنيهم بحِمامها. واعلموا عباد الله أنّكم وما أنتُم فيهِ من هذه الدنيا على سبيل مَن قد مضىٰ قبلكم ، ممّن كان أطول منكم أعماراً ، وأعْمَرُ دياراً ، وأبعد آثاراً ، أصبحتْ أصواتُهم هامدة ، ورياحُهم راكدة ، وأجسادُهم بالية ، وديارُهم خالية ، وآثارُهم عافية . فاستبدلوا بالقصور المشيَّدة والنمارق الممهَّدة ، الصخور والأحجار المسنَّدة ، والقبور اللّاطئة الملحَّدة ، التي قد بُنِي على الخراب فناؤها ، وشُيّد بالتراب بناؤها ، فمحلّها مقترب ، وساكنها مغترب، بين أهلِ محلّةٍ موحشين ، وأهلِ فراغٍ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان ، ولا يتواصلون تواصُلَ الجيران ، على ما بينهم مِن قُرب الجوار ودنوّ الدار . وكيف يكون بينهم تزاورٌ ، وقد طحنهم بكلكله البِلىٰ ، وأكلتْهم الجنادل والثرىٰ!**

**وكأنّ قدْ صرتُم إلى ما صاروا إليه ، وارتهنكم ذلك المضجع ، وضمّكم ذلك المستودَع . فكيف بكم لو تناهتْ بكُمُ الأمور ، وبُعثرت القبور : ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ » .**

وعمليّاً فقد اتّخذ أمير المؤمنين ﷺ من هذه الدنيا موقفاً في قمّة السلامة فوضع قدميه في الموضع الصحيح ولذلك خلد في قمة الخالدين على كل المستويات ، وهنا نستمع إلى قصّة تكشف لنا ما

كان عليه الإمام عليه السلام وما يجب أن نتعلّمه منه ولو بعض الشيء.

عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال : كنّا جلوساً في مجلس ، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدرداء : ياقوم ألا أُخبركم بأقلّ القوم مالاً ، وأكثرهم ورعاً ، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا : مَن ؟ قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلّا مُعرض عنه بوجهه . ثمّ انتدب له رجل من الأنصار فقال له : ياعويمر لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها ، فقال أبو الدرداء : ياقوم إنّي قائل ما رأيت وليقل كل قوم منكم ما رأوا. شهدتُ علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات النجّار ، وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى ممّن يليه ، واستتر بمغيلات النخل ، فافتقدتُه وبَعُدَ عليّ مكانه ، فقلت : لَحِقَ بمنزله . فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول :

**« إلٰهي كَمْ مِن موبقةٍ حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك ، وكم مِن جريرة تكرّمتَ عن كشفها بكرمك !**

**إلٰهي إنْ طال في عصيانك عمري ، وعظُم في الصحف ذنبي ، فما أنا مؤمّل غير غفرانك ، ولا أنا براجٍ غير رضوانك » .**

فشغلني الصوت واقتفيتُ الأثر ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه ، فاستترتُ له وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل الغابر ، ثمّ فرغ إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوىٰ ، فكان ممّا ناجىٰ الله به أن قال :

**« إلٰهي أفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي ، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي » .**

ثمّ قال :

**« آهٍ ، إنْ أنا قرأتُ في الصحف سيّئةً أنا ناسيها وأنت مُحصيها ، فتقول : خذوه ! فياله مِن مأخوذٍ لا تُنجيه عشيرتُه ، ولا تنفعه قبيلتُه ، ولا يرحمه الملأ إذا أُذِنَ فيه بالنداء » .**

ثمّ قال :

**« آهٍ مِن نارٍ تنضج الأكباد والكِلىٰ ، آهٍ مِن نارٍ نزّاعة للشوىٰ ، آهٍ مِن غمرةٍ من مُلهبات لظىٰ ! » .**

قال : ثمّ أنعم في البكاء ، فلم أسمع له حسّاً ولا حركة ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، أُوقظه لصلاة الفجر .

قال أبو الدرداء : فأتيتُه فإذا هو كالخشبة الملقاة ، فحرّكته فلم يتحرّك وزويته فلم ينزوِ، فقلت : **﴿إنّا لله وإنّا إلَيهِ رَاجِعُون﴾** مات والله علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : ياأبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصّته ؟ فأخبرتُها الخبر، فقالت : « **هي والله ياأبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله** » .

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ، ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال : ممّا بكاؤك ياأبا الدرداء ؟

فقلت : ممّا أراه تُنزله بنفسك . فقال عليه السلام:

**« يأبا الدرداء فكيف ولو رأيتني ودُعِيَ بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتْني ملائكةٌ غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفتُ بين يدي المَلِك الجبّار ، قد أسلمني الأحبّاء ، ورحمني أهل الدنيا ، لَكنتَ أشدّ رحمةً لي بين يدي مَن لا تخفىٰ عليه خافية » .**

فقال أبو الدرداء : فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله [١].

وتناسب المقام أبيات المرحوم السيد رضا الهندي «رحمه الله»:

يا سَعْدُ دعْ عنك لَهْوَ الجِدّ والهَزَل
وتُب الىٰ الله مِن جُرم ومِن زلل

أفنيتَ عمرَك بالتسويف في أملِ
ولم تَخَفْ حين تعصي بغتَةَ الأجل

وتجمعُ المالَ حرصاً لا تنالَ به
حُسْنَ الثناء ولا مِن صالحِ العمل

تبني القصورَ وعنها أنتَ مرْتَحِلٌ
الىٰ القبورِ بلا شكٍّ ولا خِيَل

(١) بحار الأنوار : ج ٤١ ص ١٣ .

فابكي لنفسِك واستغفرْ وتُب ندماً
واصرُخْ الىٰ الله في الإبكارِ والأصَل
أين الملوكُ الأُلىٰ قد عمّروا وبنوا
لهم قصوراً وشادوها علىٰ القُلَل
ساروا علىٰ الرغمِ منهُم فهي بعدَهم
دوارسَ لا يُرىٰ منها سوىٰ الطُلَل
واحذَرْ مِنَ الدّهر إنْ أبدىٰ بشاشتَه
يوماً اليكَ فإنّ (السُّم بالعسل)
فكيف يُؤمَن دهرٌ غالَ حادِثُه
آلَ النبيِّ وأبكىٰ سيِّدَ الرسل
أردىٰ علياً لدىٰ المحرابِ في دمِه
مخضَّب بحُسامِ الكافرِ النّذِل
وجَرَّعَ البضعةَ الزّهراءِ فاطمة
صابَ المصائبُ والأحزان والعلل
والمجتبىٰ قد تقيّا قلبُه قِطَعاً
بالسم حتىٰ قضىٰ فيها بلا مهل
وخَلْني عن حسينٍ لا تَهُجّ حزني
فإنَّ في ذِكْر ما قد ناله أجَلي[١]

---

(١) ديوان شعراء الحسين / ج٧ ص٧٥.

## ١١ ـ وعيك بهذه المعلومات حاجتك الماسّة

أعتقد ـ بعد النقاط المذكورة ـ قد وصلنا الى ما نستطيع التأكيد عليه بأنّ سعادة العيش في هذه الدنيا تبدأ من وعيك لمنازل آخرتك والمحطّات العديدة التي تبدأ معك من ساعة الاحتضار والموت والقبر، وتمرّ بك على ساحات الحشر والحساب والميزان، وتنتهي معك على الصراط فإمّا إلى الجنّة وإما الى النار ـ لا سمح الله ـ فإذا وعيتها جيّداً فقد عرفت كيف تعيش في الدنيا، وكيف تتصرّف مع الأشياء والأشخاص، كل ذلك لئلّا تفوتك سعادتك الأبدية بعد موتك. وهذا ما تمنّاه لك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال لك: «**إجْعَل همّتك لمعادك تَصْلُح**»(١).

فاذا كان بعض الناس يكره الموت ويعاديه لأنّه يجهله ولأنه يتصوّره باباً على المجهول، فأنت غيّر نفسك واعرف الموت وما بعده لتهوّن على نفسك ساعة حلوله والمفاجئات التي سوف تنفتح عليها في ذلك العالم. واذا بلغتَ هذه الدرجة في علمك ومعرفتك وايمانك وتسليمك، تحرّك أيضاً لنشر هذا الوعي والعلم والمعرفة بين الناس، وقُل لِمَن تريد لهم الخير وحسن العاقبة:

ما رأيك أن نتصادق مع الموت بالتعرّف عليه والوعي بما يرفع الجهل والعداء منّا تجاهه، فأن نموت ونحن نطلب المعرفة ونعرف الىٰ أين ذاهبين، فهذا شيء عظيم حقّاً .. ولكن الأعظم منه أن نموت

---

(١) غرر الحكم / ١١٢.

ونحن نعمل بمعرفتنا عملاً يرضي الله تعالىٰ.

فلابدّ من الوعي، ولابدّ من الإيمان، ولابدّ من التسليم، ولابدّ من العمل، ولابد من الدعاء: **﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾**[1].

فمن يعترف بالموت ويتوقّعه ويعمل بشروطه سيكون الموت عليه سهلاً حين اللقاء به . فهو لن يخاف سواء وقع على الموت أم وقع الموت عليه، وأمّا الذي يتجاهله ولا يتوقّعه ولا يستعدّ له فسوف ينزل عليه مثل الجبل والعذاب الاكبر.

إذن فلنبدأ بالوعي لهذا المصير المحتوم ، ولنتذكّر أنّ الله تعالى قد خلقنا وهو العالم بكل ما يحيط خلقه من جميع الجوانب وأدق الخفايا ، ولقد أخبرنا أنبياؤه الأُمناء وأولياؤه الصادقون بأهمّ ما نرِد عليه بعد هذه الحياة الزائلة ، فلنتأمّل في المعلومات الهامّة التي جمعناها من الكتاب العزيز والسنّة الشريفة وهما المصدران الأساسيّان لتزويد الإنسان عمّا في عالم الغيب وما قاله العلم الحديث دعماً لمعتقداتنا ، فلنقرأها بتمعّن ودقّة فإنّنا سنحتاج إليها عن قريب أو بعيد (عِلْمه عند الله).

المرءُ يحسبُ أنّه مأمونُ
والموت حقٌ والفناءُ يقينُ

---

(١) سورة آل عمران / ١٩٣ ـ ١٩٤.

لا تأمـن الدنـيا فـانّ غـرورها
خَـدَعَ الأوائـل والزمـانُ خـؤونُ

مـا مـرّ آنٌ مـن زمـانِك لحـظَةً
إلّا وعـمرك بـالفنا مـرهون

واذا بكـيتَ عـلىٰ فـراق أحـبّةٍ
فـلتبك نـفسك أيّـها المسكـين

لابـد مـن يـوم تـفارق مـعاشراً
كـنتَ الوجـيه إليـه وتـهون

والناس منهم شـامت لم يكـترث
فـيما دهـاك ومـنهم مـحزون

وتـرىٰ مـن الهـول الذي لأقـلّه
تُذرىٰ الدموع محاجرٌ وعـيون(١)

هذا ما وفّقنا الله إليه من خدمة يسيرة نمهّد بـها لأنـفسنا ودنـيانا وآخرتنا ، ونقدّمها للذين ينتفعون بها لإصلاح دنياهم وآخرتهم جيلاً بعد جيل، سائلين من الله القبول بأحسـن مـا يـتقبّل بـه مـن عـمل الصالحين وأن يسعدنا بـعاقبة المـتقين ، بـجاه سـيّدنا مـحمّد وآله الطاهرين.

---

(١) القصيدة للسيد هاشم كمال الدين / عدة الخطيب ـ ص٢٢٣.

# المحور الثاني:

## كيف نثق بالمعلومات الغيبيّة

نجيب على هذا السؤال الذي يشكّل الركن الأساسي لدىٰ نوع من القراء الكرام، بثلاث مقالات علميّة وتمهيداً لها نقول:

حينما يخبرنا الله تعالىٰ في كتابه الكريم عن الايمان به عزّ وجل ويُقرِنُه بالايمان باليوم الآخر ويكرّر ذلك في القرآن كجناحين لرسالة الانبياء في البشرية جمعاء..

وحينما يخبرنا الانبياء والرُسل والصادقون وعقلاء البشر علىٰ امتداد التاريخ بوجود عالم آخر وأهوالٍ ومخاطر في الطريق ..

وحينما يُخبروننا عن سبُل النجاة، وتقرّ فطرتنا الايمانية بذلك كلّه وترفض منطق الكافرين والمنكرين للغيب، حينه لايفترض بقاء شكٍ في قضية الآخرة والمفاهيم الغيبية المتعلقة بها.

وهل عاقلٌ يشكُ في كلام الناصحين (أو مسؤولي الطرق وشرطة المرور) إذا كان يقود سيارته وأخبروه بتساقط صخور أمامه علىٰ بُعد مسافة وسدّ الطريق وما أشبه ذلك؟!

أبداً، إنّ العاقل لن يكفر بتلك النـصائح ولن يـخالف التـحذيرات، أليس كذلك؟

ولكن مع كلّ هذا ومن باب (ليطمئن قلبي) نحاول هـنا الحـديث بلغة المثقفين الذين يتعاطون المقاييس العلميّة الحـديثة فـي القـبول والرفض للمعلومات الميتافيزيقية.

**المقال الأول: فلسفة ما وراء الطبيعة (١)**

إن الاسلام تأكيد حافل بالبراهين، على أن هذه الحياة، مـرحـلة تربويّة، يلبث فيها الانسان سنوات من عمره الطّويل، في طريقه إلى مصيره الأبدي الخالد، في حياة يسمّيها الاسلام بالحياة الآخرة، حيث يقوم النّاس من مراقدهم للحساب فيجدون كل ما عملوا حاضراً.

وهناك ملحدون، يزعمون أنّ الحياة وجدت صـدفة، وسـاد فـيها النّظام صدفة، وتكون فيها الإنسان صدفة، وهو يعيش فترة زمنيّة، ثمّ يموت فيفنىٰ ويُباد، من غير أن تكون عليه رقابة هنا، وحسـاب أو جزاء هناك، ويعززون رأيهم بأننا علمانيون، لا نعترف إلا بما تكتشفه التجارب في مختبراتنا ومـعاملنا، ولم تـتوصل تـجاربنا إلى رقـابة مفروضة من السماء على الإنسان، ولم تكشف مجاهرنا جنة ولا ناراً في الفضاء.

---

(١) أُذيع هذا المقال من إذاعة بغداد صباح يوم الأثنين الموافق (١٣٨٤/٤/٨هـ) لكاتبه الشهيد آية‌الله السيد حسن الشيرازي.

وهذا الرأي يعني: أننا ننكر كل ما لا نلمسه بحواسنا الظاهرة. ومن الخطأ: أن يبني الانسان تفكيره على تكذيب مالم يجده بنفسه، فهناك كثير من الحقائق الّتي يؤمن بها كلّ انسان، رغم أنّ المختبرات والمعامل لاتستطيع إخضاعها للتجربة والتحليل، كالفرح، والاستياء، والمحبة، والكراهة، والعلم والإيمان، والبخل، والجبن، والحسد.

على أننا نجد لكل عمل هدفاً يحاول تحقيقه، وتبدو هذه الحقيقة في أعمالنا الخاصة، فنحن نأكل لنشبع ونشرب لنرتوي، ونلبس لنصون أجسامنا من طوارئ الجو، بل لا بدّ أن يكون لكل عمل هدفاً مشتركاً، فمثلاً: نحن نرى في عملية «التغذية» أن للطعام ارتباطاً بالشبع، وارتباطاً بالشخص الّذي يتناول الطعام، حيث ان كيان الإنسان لايملك مقومات البقاء، بل هو يتبخر بالحرارة الحية في باطنه، فيحتاج إلى تحصيل أجزاء صالحة للانضمام إلى كيانه، لتكون بدل ما يتحلل، والطعام يؤدي هذا الدّور، فالإنسان عندما يقوم بعملية « التّغذية » يهدف إلى تلبية نداء الجوع ، وتكميل ذاته.

وكما وجدنا «الهدف المزدوج» في عملية «التغذية» نجده في كل عمل يصدر من ذي شعور، ونعرف: أن لا عبث في الوجود، كلما هنالك، أن الأهداف قد تكون جديرة بالاهتمام، وربما تكون تافهة، وحتى عندما يؤدي الإنسان عملاً انسانياً لا ينتفع به، كأن يتصدق على فقير، يستجيب لعاطفته المتألّمة من منظر الفقير، ويحاول توفير الراحة على ضميره.

ومن هذا الفحص العاجل نستنتج: أن لكل عمل نتاجاً مباشراً، ينتهي اليه العمل، وكمالاً يطارد نقصاً من الفاعل، بل نَستطيع أن نؤكد على أن كلّ حركة في الكون، لابد أن تقصد نتيجة تنتهي اليها الحركة، وتكمِّل نقصاً في المتحرّك.

ومتىٰ استعرضنا أي فرد من أي نوع تحت الفحص، كانسان، أو حشرة أو شجرة برتقال، أو طاقة ريحان، أو قطعة حديد، أو جزء أو كسجين، رأينا: ان طاقاته الخاصة، منسجمة مع محيطه، للتحرك نحو هدف يجيب حاجاته، ويضمن كماله.

ولو فحصنا أسر الأنواع الحية، كنوع الانسان، ونوع الفرس، ونوع شجرة البرتقال، لوجدناها سائرة في حركات موجهة، لتحقيق أهداف تكمل نواقصها، وتمدها بعناصر البقاء. والكون الكبير، بما في أجزائه من ترابط وثيق لا ينفصم على الدّهر، و بما في جميعه من قوانين عامة ترفض التمزق والانفراط، وتنسق كافة الموجودات، من اصغر ذرة حتى أكبر سديم، في هوية واحدة، وخطة واحدة، هذا الكون كله منطلق ومتطور، يسعى بلا فتور، فلا بد أن يكون موجّهاً إلى هدف، فور بلوغه يستقر، ويهدأ كل ما فيه، من وحركة وضوضاء، وتتكامل جميع نواقصه، ويزود بعناصر الخلود.

فلابد أن لا يكون في عالم الغد حاجة ونقص من حاجات ونقائص عالم اليوم، لابد أن يكون عالم الغد هادئاً مستقرّاً لايعرف السّعي والانتقال، والتكوّن والزّوال. وذلك العالم الّذي عبّر عنه العلم هذا التعبير، هو الّذي حدّده الإسلام بالجنّة، الّتي لاتكون في دور

السّعي، والنّقص، والزّوال، بل تكون في دور الاستقرار، والكمال، والخلود.

اذن فالعلم المجرد من جميع الاعتبارات الدينيّة، يقرر: أن هذه الحياة المتحرّكة، تنتهي يوماً إلى حياة مستقرّة كاملة، ولكن العلم يعجز عن تحديد خصوصيّات الأشياء، فمثلاً عندما يدخل الإنسان غرفة، ويجد فيها مروحة معلّقة بالسّقف، يدله العلم: على أنّ انساناً علّق هذه المروحة بالسّقف، ولكن العلم لايستطيع أن يفهم: أن ذلك الانسان، كان رجلاً او امرأة، طويلاً كان أم قصيراً، مُكْرَهاً فعل ذلك أن مختاراً، فهنا يأتي دور الأنباء الّتي تُلجئ الإنسان إلى أن يسأل، عمّن عاصر تعليق المروحة، ليخبره بهذه الخصوصيات، وهكذا بالنسبة إلى الحياة الآخرة، ان مدى نشاط العلم أن يدرك: أن العالَم ينتهي يوماً إلىٰ حياة مستقرة خالدة، وأما المعلومات الكافية عنها، فلايوجد إلّا عند الأنبياء، الّذين اقتبسوها ـ بدورهم ـ عن الله، وليس لنا إلّا أن نصدّق الأنبياء فيما يقولون، لأننا جرّبناهم، فوجدنا الصدق في الأنباء الّتي عاشت فحوصنا العلميّة، رغم أنّهم أعلنوها في فترات مظلمة، لم يكن لهم منفذ إلى بصيص من العلم التجريبي الحديث، فمثلاً أخبر الأنبياء عن الروح، وعن بقائها بعد فناء البدن، في الوقت الذي كان الناس يحسبون: انّ الروح ليس سوى الحرارة الغريزيّة، أو بخار الدّم، ومضت على ذلك قرون ملؤها السخرية والازدراء برأي النبيّين، حتّى أثبت «التنويم المغناطيسي» و «المكالمات الروحيّة»: انّ الروح حقيقة حيّة، تعايش البدن فترة الحياة، وبعد الموت تعيش

الأرواح في طبقات فوق الأرض، فتجتمع وتتفرق، وتتصل بهذا العالَم متى شائت ذلك، و ظهرت في دراسة الروح مدرسة وكتب وعلماء، منهم مؤلف كتاب «على حافة العالم الأثيري».

وكان الأنبياء يحرمون الخمر والدّم، ولحم الخنزير، والميتة، والمباشرات الجنسية غير المشروعة، فكان الناس يعتبرونه تقشفاً، ناتجاً من كره الحياة، حتى اكتشف العلم ان كلّ واحد من هذه المحرمات، مصدر لأمراض خطيرة مستعصية.

وكان الأنبياء، يأمرون بالزّكاة والصّدقات، فكان الأغنياء يقولون: **﴿أنُطْعِمُ مَن لو يشاءُ اللهُ أطْعَمَه * إنْ أنْتُم إلّا في ضَلالٍ مُبين﴾**[1] .

فأثبتت الحياة: أن الأغنياء إذا بخلوا بقسط من فائض ثرواتهم على المشاريع العامة، واعالة المعوزين، ينفجر الفقراء، بحركة انتفاضية لتجريد الأغنياء من جميع أموالهم.

وكان النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ينبّئون بمئآت المغيّبات الّتي كانت تناقض طبيعة جري الحوادث، فيتسائل الناس باستنكار: أَوَ كائنٌ ذلك يا رسول الله؟! فيجيبهم بالإيجاب، ثمّ وقعتْ جميعها في غضون التاريخ.

فمن هذه البراهين، نستدل على أن الأنبياء، كانوا يحصلون المعلومات الكونية والتشريعيّة، عن طريق أصدق وأقرب من الطرق التجريبيّة، وبلغوا في النبي المكرم ﷺ أقصى الكمال والنضوج، حتى

١. سورة يس: الآية / ٤٧.

أتى بالصّيغة النهائية للتشريع، بينما العلم الحديث لا زال رهن التبلور والتطور، وقد أثبت بالأمس ما نفاه اليوم، ويثبت اليوم ما ينفيه في الغد، فاذا جاء في الإسلام ما لا يفهمه العلم، فليس لنا أن نكذبه، بل لابد أن نؤمن به، أو نُرجئ البتّ في شأنه، فعسى أن يبلغه العلم بعد أمد، كما أنّ آبائنا تلقوا معلومات مناقضة لثقافتهم، ولكنهم صبروا عليها حتى نبغ العلم الحديث، فخطّأ ثقافتهم وأيّد الإسلام.

فالأنبياء ـ بعلمهم الواسع المباشر ـ كانوا يستشفّون الحقائق العميقة، الّتي لا تستطلعها عقولنا وعلومنا، فعرفوا العلاقات الخفية بين أشياء لا نفهم بينها علاقة أبداً، فمثلاً، كانوا ينادون:

«إن الايْمان الكاذبة تهدم البيوت، وإنّ الزنا يسبّب الفقر وقصر الأعمار وموت الفجأة، وإنّ سوء الخُلق يوجِب ضغط القبر».

ولكن الناس حيث لم يفهموا الارتباط بين هذه الأشياء، ضحكوا ملء أفواههم، وكلّما ظهر نبي على ملأ مِن قومه سخروا منه، وتفكهوا بأقواله، وتندّروا بها في الندوات، ولكن الواقع: انّ مَثَل الناس مثل البدوي إذا دخل مدينة، ورأى شاشة التلفزيون تعرض الصور والأصوات مادامت متصلة بالكهرباء، فهو يستطيع أن يفهم أن لتيّار الكهرباء علاقة بالصور والأصوات، ولكن إذا قيل له ان في مدينة تبعد مئات الكيلومترات، أجهزة تتلقط المشاهد وهنالك هوائية تبثها في الفضاء، ليلتقطها الأريل، وتعرضها الشاشة، لايهضم هذه الأقوال، ثمّ إذا كان متكبّراً مغروراً بوعيه، يبدأ بالسخرية والاستهزاء، وكذلك الأنبياء كانوا يؤدون ضريبة الوعي، ويشترون أنفة الجاهلين فالأنبياء،

عرضوا على الناس فلسفة الحياة وما بعد الموت، بينما كان الناس في دور المراهقة الفكرية، الّتي لا تؤمن إلّا بما تحويه الأبصار، فكانت مصيبتهم بالناس عظيمة، لأنّهم حاولوا قيادة قوم لا يفهمون ولا يعلمون أنهم لا يفهمون.

**المقال الثاني: لماذا الموت والحياة؟**

نقتبس (هنا وبالمعنىٰ) مما كتبه الشهيد آية الله المطهّري في كتابه (العدل الإلهي)[1]:

- **ظاهرة الموت:**

إن من الأفكار التي عذّبتْ الإنسانية باستمرار فكرة الموت وانتهاء الحياة، فكل إنسان يسأل نفسه: لماذا جئت الىٰ الدنيا؟ ولماذا منها أذهب؟ ما هو الهدف من هذا البناء وهذا الهدم؟

وهكذا كان الخوف من الموت واحداً من أسباب تكوّن الفلسفة التشاؤمية وبروز فلاسفة وأناس متشائمين، يتصورون الحياة عبثاً والوجود خالياً من الهدف والحكمة، وقد أوقعهم هذا التصوّر في انحرافات خطيرة حتىٰ ألقىٰ ببعضهم الىٰ قبول فكرة الانتحار. وينسب الىٰ الشاعر الايراني عمر الخيّام وهو أحد المتشائمين والمنحرفين، شعره:

---

(١) الفصل الخامس (الموت والغناء).

لو كان مجيئي باختياري ما جئتُ ولو كانت صيرورتي بأمري ما صرتُ.

ويقول: لما كان عائد الإنسان من هذه الأرض المالحة ليس سوىٰ الغصص حتىٰ خروج الروح كان سعيد القلب من أسرع في مغادرة هذا العالم. والأهدأ بالاً مَن لم يجيء إطلاقاً الىٰ هذا العالم!

ويقول:

لو أنني وجدتُ ثمرة واحدة علىٰ غصن الأمل لكنتُ وجدتُ رأس خيطي. فإلىٰ متىٰ أعيش في ضيق سجن الوجود؟!

ليتني وجدتُ طريقي الىٰ العدم.

● **النفور من الموت..**

أمام هذه الروحية المنهزمة والفلسفة التشاؤمية نجد أن فكرة الخوف من الموت هي الغريزة الدافعة لحفظ الحياة والكاشفة عن الرغبة في الخلود والبقاء مما يمكننا الاستناد اليه لوعي الحقيقة التي هي الآخرة وأن حياتنا في الدنيا إنما قنطرة.

فالخوف من الموت يجب أن يبعث فينا غريزة الفرار من الخطر والرغبة في الانتقال الىٰ الأفضل لا كما تصوّره المتشائمون من أمثال الشاعر عمر الخيّام.

فالطفل حينما يفرّ من الخطر إنما يأمل في البقاء، وكذلك اذا أردنا

اثبات بقاء الانسان بعد الموت فإننا نستند الىٰ هذا الدليل، فما دمنا نتعذّب من فكرة العدم، فهذا بنفسه دليل علىٰ أننا سوف لن ننعدم. أليس وجود العطش دليل علىٰ وجود الماء؟!

إذن وجود الرغبة في البقاء دليل علىٰ وجود الآخرة، وأننا لابد لنا من السعي حتىٰ نتكامل فنصل الىٰ حياة الآخرة، كما أن العطشان لا بد له من السعي حتىٰ يبلغ فاه الماء.

فالألم والأمل اللذان يشعر بهما الإنسان تجاه الخلود واللذات يجعلانه مشغولاً بنفسه إنما هما تجلّيان لحقيقة رفض الانسان للعدم.

● **الموت نسبيّ..**

إذن.. فالإشكال في الخوف من الموت ناتج عن تصوّر كونه عدماً، والحال أنه ليس بعدم وانما هو تطوّر وتحوّل نحو عالَم الخلود والبقاء، غروب عن نشأة الدنيا وشروق علىٰ نشأة الآخرة. واذا أردنا مزيداً من الدقة في القول، قلنا أن الموت عدم نسبيّ، أي عدم لنشأة مُعينة هي ما نحن فيه، ووجود لنشأة جديدة هي ما نحن سنكون فيه أو سوف نكون.

● **الدنيا رحم الروح..**

مَثَلُ الدنيا بالنسبة الىٰ الآخرة كمثل رحمٍ يتم فيه صنع وإعداد الأجهزة الروحية للإنسان وذلك لإعدادها للحياة الأخرىٰ.

فالاستعدادات الروحية للإنسان، من بساطة وتجرّد، ورفض

التجزئة، والثبات النسبي «للأنا» الانسانية، والآمال العريضة التي لا تقبل النهاية، والأفكار الممتدّة اللامتناهية، كل هذه قد خُلقتْ متناسبة مع حياة أوسع وأطول وأعرض ولعلّها خالدة أبدية. فالذي يجعل الانسان «غريباً» و «غير متجانس» مع هذا العالَم الفاني هو هذه الإشياء.

فلو كان الانسان بكل هذه التجهيزات لا عودة له نحو الله ونحو الميدان الوسيع والمناسب لهذا الموجود المجهّز لأصبح مثلما لو كان عالَم الرحم لا يتبعه عالَم الدنيا بل تموت الأجنّة جميعاً بمجرّد انتهاء دورة الرحم، كل هذه الأجهزة من سمع وبصر وشمّ وأعصاب وعقل ومعدة مما لا يصلح لدورة الرحم، قد خُلقتْ عبثاً ثم سُلّمتْ الىٰ العدم دون الاستفادة منها.

أجل فالموت بالنسبة الىٰ الدنيا موت، ولكنه بالنسبة الىٰ العالَم الآخر ولادة، كما تكون ولادة الطفل بالنسبة الىٰ الدنيا ولادة وبالنسبة الىٰ دورة الرحم موتاً.

- **الدنيا مدرسة الانسان..**

تعتبر الدنيا بالنسبة الىٰ الآخرة مرحلة تهيؤ وتكميل وإعداد للإنسان، وهي مثل مرحلة الإعداد في المدرسة والجامعة للشباب، فالدنيا في الحقيقة مدرسة ودار للتربية.

ورد في نهج البلاغة أن رجلاً جاء الىٰ الامام علي عليه السلام وبدأ يذمّ

الدنيا وأنها تخدع الانسان وتفسده، وأنها مكّارة وجانية...

ولعل هذا الرجل كان قد سمع أن العظماء يذمّون الدنيا فتخيل أن ذلك يعني ذمّ واقع الحياة علىٰ هذه الكوكبة وأنها بذاتها شرٌّ وسوء. ولم يعلم هذا الغافل أن الله لم يخلق الشرّ وأن الذمّ ينصرف الىٰ حالة العبادة للدنيا والرضوخ للرغبات الهابطة في أيامها القصيرة.

وهكذا أجابه الامام علي عليه السلام بما معناه إنما أنت الذي تنخدع بالدنيا، والدنيا لا تخدعك ما دمتَ لا تجني علىٰ نفسك...

حتّىٰ قال عليه السلام: «إنّ الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها... ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلّىٰ ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله»[1]

ويقول النبي صلى الله عليه وآله: «إن الدنيا حُلوة خُضرة وإنّ الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون»[2].

وهذا مفهوم قول الله تعالىٰ:

﴿الذي خَلَقَ الموتَ وَالحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُم أحسَنُ عَمَلاً﴾[3].

أي أن الدنيا المركّبة من الموت والحياة إنما هي محطّة لاختبار أعمال الانسان، والاختبار يعني إظهار كوامن الانسان الجيّدة ودفائنه واستعداداته وقابلياته، ولا يعني هذا سوىٰ الرشد والتكامل.

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار ـ ١٣١. (٢) نهج الفصاحة / ج١ ص٢٧٣.

(٣) سورة الملك / الآية ٢.

فهذا الاختبار ليس لكشف الستار عن أسرار الموجودات بل لاعطاء الفعلية للقوىٰ الكامنة في داخل الانسان كالأسرار. فكشف الغطاء عنها بمثابة الايجاد وبمثابة الصيقل للصفات الانسانية من مخبئها وإخراجها الىٰ سطح الكمال والظهور والفعلية.

بهذا التفسير الذي قدّمناه لحقيقة الموت وفلسفة الرحيل من الدنيا تصبح الاعتراضات حول هذه الظاهرة اعتراضات خاوية لا أساس لها الا الجهل لمعرفة الانسان والكون.

وقد جاء في رباعية الكاشاني رَدٌّ رائع علىٰ رباعيّة عمر الخيّام في شعره المذكور، وهذا الردّ هو:

عندما التصقتْ جوهرة الروح بصدف البدن، تكوّنتْ صورة الإنسان من ماء الحياة، ولما تكاملتْ الجوهرة انكسر الصدف وطارت الجوهرة لتجلس علىٰ قمة تاج الملك.

ففي هذه الرباعية يعتبر الشاعر المؤمن جسم الانسان كالصدف الذي ينمّي في أعماقه جوهرة ثمينة هي روح الانسان.

وعندما تصبح الجوهرة كاملة فإنه يلزم كسر ذلك الصدف لتخرج الجوهرة من مكانها وترتفع الىٰ القمّة.

فالانسان بجسمه صدف لجوهرة الروح حتىٰ تكتمل فتخرج الىٰ سعة الجنة وقمّة اللذات الأخروية.

وهذا معنىٰ قول الله تعالىٰ: «**إنّا للهِ وَإنّا إلَيهِ راجِعون**».

● **الموت توسيع للحياة..**

في البحث عن فلسفة الموت نجد أن الموت يحقق نظام التعاقب في الحياة، فعندما تموت فئة تتهيأ الأرضية لفئة أخرىٰ أن تدخل الحياة. ثمّ لا تبقىٰ جثث الميّتين تحت الأرض دون نفع، فهي تؤثر في تكوين النباتات وأحياء جديدة. كما أنّ الصدف ينفلق وتخرج منه لؤلؤة مضيئة ثم يتكوّن من تلك المادة صدف آخر جديد وينمّي لؤلؤة أخرىٰ.

وهذا يتكرّر مرّات بلا نهاية وهي وسيلة فيض الحياة بلا نهاية الىٰ يوم القيامة. فلو أن الناس الذين عاشوا قبلنا لم يموتوا لم تصل الينا الحياة، وهكذا نحن نموت لنفسح الطريق أمام القادمين.

مَثَلُنا مَثَلُ الأزهار، فلو لم تقطع مثلاً في العام الماضي لم نجد أزهار العام الحالي شابّةً طريّة.

هذه فلسفة أهل الدين الذين يعتقدون بالحديث النبوي القائل: «كما تنامون تموتون وكما تستيقضون تُبعَثون».

وإنسانٌ يؤمن بهذه الفلسفة ليس لا يهاب الموت فقط بل يشتاق اليه ويعدّه فوزاً وانتصاراً. كما كان الامام علي عليه السلام ينادي حين الضربة السامّة علىٰ رأسه: «فزتُ وربِّ الكعبة».

هذا هو منطلق الذين اطّلعوا علىٰ حقيقة اللؤلؤة المكنونة في أعماق الجسم الانساني. وأما الذين يعيشون في الأفق الفكري الضيّق والسطحية الماديّة فهم يرتعشون من الموت، لأن الموت من وجهة

نظرهم عدم. وهم يتعذّبون من أن هذا الجسم (حيث باعتقادهم أن الجسم هو كل حقيقة الانسان) لماذا يتحطم! فتدفعهم فكرة الموت للنظرة التشاؤمية الىٰ الكون والحياة.

وعلىٰ هؤلاء أن يعيدوا تفسيرهم للحياة ويصحّحوا تصوّرهم الخاطيء للكون حتىٰ يتحقق بالنسبة لهم ما قاله الفيلسوف الالهي الكبير الميرداماد:

«لا تخف من مرارة الموت فإن مرارته تكمن في الخوف منه».

وصدق الله تعالىٰ:

﴿قُل إنّ الموتَ الذي تَفِرّونَ منهُ فإنّهُ مُلاقيكُمْ ثمّ تُرَدّونُ الىٰ عالِمِ الغيبِ وَالشهادةِ فينبّؤكُم بِما كُنتُم تَعملون﴾[1].

**المقال الثالث: ما جاء في العلم الحديث**

ماذا يقول العلم الحديث وغير المسلمين عن الموت والعالم ما بعد الدنيا؟

سنجد في هذا البحث تقارباً عجيباً بين المكتشفات العلمية الجديدة المحايدة وبين ما قاله الاسلام قبل قرون متمادية. وهذه من دون شك واحدة من معاجز الاسلام الخالدة. دقّق فيما تقرؤه لتستيقن بدينك الحق العظيم.

---

(١) سورة الجمعة/الآية ٨.

يقول سماحة السيّد حسين نجيب محمّد في كتابه القيّم (الروح بين العلم والعقيدة) :

ومن أقوال الأرواح عن معنى الزمان والمكان هناك نقتطف هنا ما قالته روح «جاليليو» في الجمعية الروحية بباريس خلال عامي ١٨٦٢، ١٨٦٣م :

« ... وأمّا الزمان فهو كالفضاء لفظة معبرة بنفسها غنية عن التحديد. وقد يسوغ أن ندعوه تعاقب الأشياء باللانهاية... فالزمان يتولّد من تولّد الأشياء وينقضي بانقضائها، وهو بقياس الأبدية سقطت من عباب الجو في البحر. فتختلف الأزمنة على اختلاف العوالم. وخارج هذه التعاقبات الفانية تسود الأبدية وحدها وتملأ بضيائها فلوات الفضاء التي هي غير محدودة. فضاء لا حدّ له وأبدية لا قرار لها هما الخاصيتان العظيمتان للطبيعة العامة. وإذا كان الزمان يمثّل تعاقب الأشياء الزائلة ومقياسها، فإننا إذا جمعنا ألوفاً في ألوف من القرون والأحقاب لا يكون هذا العدد إلّا نقطة زهيدة في الأبدية كما أنَّ الألوف من الفراسخ تعدّ نقطة حقيرة في الفضاء... فالأبدية لا حدّ لها ولا قياس ولا يُعرَف لها بداية ولا نهاية، فإذا كانت القرون كلها لا تعد ثانية بقياس الأبدية فما أهمية عمر الإنسان على الأرض..؟[1].

وقد تلاقتِ المعلومات الواردة من مصادر متعددة من عالم الروح على أمور كثيرة، واختلفت في بعض الجزئيات تبعاً لاختلاف أحوال

---

(١) الإنسان روح لا جسد / ص٤٢١.

الموتىٰ والمناطق التي تقطنها أرواحهم .

ومن الأمور المتفق عليها:

١ ـ إنَّ لعالَم الروح وجوداً حقيقياً صلباً بـالنسبة للأرواح يـماثل وجود العالم المادي بالنسبة للماديين .

٢ ـ أنَّه توجد هناك نفس المناظر الطبيعية التي نشاهدها هنا مـن جبال، وبحار، وحياة نباتية .

٣ ـ إنَّ للعقل هناك تأثيراً مباشراً على المادة، وهو في أوج نشاطه وانطلاقه .

٤ ـ للأجسام هناك نفس مظهرها الخارجي الذي نعرفه هنا، فمن ينتقل إلى هناك في شبابه يظل على هذا الشباب، ومن ينتقل في سن الطفولة فهو ينمو كما لو كان قد ظلّ على الأرض ويجد هناك عناية كافية وقلوباً رحيمة من أقاربه وغيرهم، أمَّا من ينتقل في شيخوخته فإنَّه يرجع هناك إلى شبابه تدريجياً بحكم وجوده في أجواء الأثـير التي لا تعرف الشيخوخة، إذ أنَّ الشيخوخة تلازم الجسد المادي ولا تلازم الروح .

٥ ـ تلتئمُ هناك شمل الأسرة من جديد، وكلما رغب اثـنان فـي العيش معاً كان لهم ذلك .

٦ ـ التخاطب يكون بالتلباثي أي التفاهم بالفكر لا بالأصوات فإنَّها من خصائص الحياة الدنيوية، وبذلك تزول عقبة تفاهم البشر النابعة من اختلاف اللغات واللهجات .

٧ ـ لا يمكن لإنسانٍ أن يخفي نواياه وتصرفاته، لأنَّ ملكة التلباثي تكشف لكل إنسان عن نوايا الآخرين، وهذه العلانية تمثّل هناك عقاب المنافقين، وهي في نفس الوقت ثواب المخلصين.

٨ ـ لا وجود للمرض، والانحلال، والفساد فإنَّها من صفات الجسد المادي(١).

وقد وضّح «آرثر فندلاي» في كتابه «الكون المنشور» بعض ظروف الحياة في العالم الآخر استناداً إلى ما تلقّاه من الأرواح فقال فيه: «إنَّ لكلٍ من هذه العوالم سطحاً وجوّاً وضوءاً، فما يذكر عن إحداها ينطبق على الجميع.

وفي هذه المستويات أرض وماء وشجر ودور وحقول وطرق ومزروعات من جميع الأنواع، وأنهار وجبال ووديان، ولكل ما نشاهد على سطحنا يوجد مثيل على المستويات الأخرى، وإنَّما كلَّما ارتفعنا أو بَعُدنا عن سطح الأرض زاد الجمال وبهاء المنظر..

وعلى هذه المستويات يوجد رجال ونساء وحيوانات تعيش كما نعيش نحن على الأرض، ولما كان الطعام اللازم للتغذية أيسر منالاً، وكان الجوهر هو الذي يستهلك بدل اللحم والخضر اللذين نستهلكهما نحن، فإنَّ الحياة تكون ميسرة هناك، بل إنَّها تكون أيسر منها على الأرض.

أمَّا العواطف التي تجيش بها الصدور فوق الأرض والتي يثيرها في

---

(١) لاحظ كتاب «الإنسان روح لا جسد» / ص ٤١٠.

الصدور الكفاح في سبيل الوجود والخوف من الخطر، فمعدومة في أثيريا. ولا يلحق الجسم الأثيري ضرر أو إيذاء، والموت المفاجئ الشديد غير معروف ... ذلك لأنَّ المعروف هناك هو الانتقال من مستوى منخفض إلى مستوى مرتفع عن طريق فَقْد التجسّد لا فَقْد الجسد. وفَقْد التجسد هذا يجيء عن طريق ارتفاع تدريجي في درجة اهتزاز الجسد الأثيري الخاضع لتأثير العقل بسبب نموّه في المعرفة والخلق. فلا يترك الإنسان وراءه جسداً ترابياً مثل ذلك الذي يتركه هنا، لأنَّ التراب هناك لا وجود له في أية صورة كانت على ما أجمعت عليه كتّاب البحث الروحي.

ثم يضيف «آرثر فندلاي» : ويوجد في «أثيريا» جوّ يحيط بكل مستوى. كما يوجد بها سحب وسماء، وتصعد الرطوبة وتهبط هناك كما تصعد وتهبط هنا، وأحوال المناخ هناك تنتشر كما تنتشر هنا، ولكنها أكثر اعتدالاً، وهناك تتغير الفصول أيضاً، وينطبق هذا كما أنبئت على المستويات الثلاثة الأولىٰ التي تعلو الأرض، وابتداء من المستوى الرابع فما فوق تختفي التغيرات المناخية تماماً.

ولا يوجد ليل فوق أي مستوى من مستويات «أثيريا» كالليل الذي نعرفه هنا، وبدلاً من الليل فوق المستويات الثلاثة الأولى يوجد شفق، وذلك بسبب استضاءة جوّهم، وتوجد سماء في أثيريا كما هي الحال في الأرض... والألوان في أثيريا أجمل كثيراً منها في عالمنا، وأكثر تنوّعاً وتلألأً، ولذا فالمناظر أجمل منها هنا لدينا، وذلك لأنَّ

جوّهم المضيء يكسب كل شيء مظهراً قزحياً»[١] .

وها هي بيانات أخرى عن وصف الحياة هناك ننقلها عن مُـؤلَّف للمسيو «شارل بينزبك» المستشار الفخري بمحاكم الاستئناف الفرنسية تلقاها بطريق الوساطة من أرواح أشخاص سبقوه إلى هناك.

وقد نشر هذه البيانات في مُؤلَّف له عنوان «الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر»، وفيه يتساءل ماذا يمكن أن تؤول إليه الإحساسات الأولى للروح بعد إذ تتحرر من ردائها الجسدي البالي؟

ثم يجيب قائلاً: «تتوقف تلك الإحساسات على ما تكون الروح قد بذلته من جهد خلال وجودها الأرضي. على أنَّه يمكن القول بوجه عام بأنَّها إن لم تكن في غشاوة من أمرها بسبب حياتها الرديئة، وكذلك إذا لم تكن قد وهبتْ نفسها للموت طواعية واختياراً فإنَّها ترى ـ وقد تحررت من جسدها ـ شريط حياتها الأرضية ماثلاً أمام عينيها. وتحضر إلى لقياها الكائنات العزيزة عليها التي سبقتها إلى موت الجسد كيما تساعدها على أن تدرك حالتها الجديدة، وعلى أن تتحرر من الخوف من المجهول الذي ربما يكون قد بدأ لديها أحياناً وهي في دور الاحتضار.

إنَّه ميلادٌ ثانٍ للإنسان. ولعلَّه مما يدهشه أن يرىٰ أن البشر يعيشون هناك في جماعات معينة وأنَّ لهم مشاغلهم الخاصة التي تحدّدها لهم مَلَكاتهم. وأنَّهم يقيمون في مساكن مشيَّدة من مواد تبدو لهم صلبة،

---

(١) الإنسان روح لا جسد / ص٤١٠ .

وأنَّهم يرتدون ملابسهم ولهم أجسام أثيرية جلية واضحة «إنَّ حالتي الحقيقية تجعلني أحسّ أنّي حقيقي في هذه الحياة بقدر ما كنتُه على الأرض بالنسبة لكم» .

وتتبين الروح أنَّه قد صارت لها القدرة بعد تحررها من الجسد على أن تنتقل من مكان إلى آخر في الفضاء بسرعة الفكر، وقد تشعر الأرواح بالتعب وبالحاجة إلى الراحة فتستعيد قواها في أسباب لهوٍ تتفاوت في أنواعها بحسب ميولها، وتتفاوت سعادتها طبقاً لما تستحقه من جزاءٍ عمَّا قدّم أصحابها من خير على الأرض، أو عمَّا ينبغي عليها من إصلاح لأنانيتها وعيوبها الشخصية .

وقد قام الدكتور «ريمون أمودي» في كتابه «حياة بعد حياة» بجمع التقارير التي أدلى بها «المشرفون على الموت» واستنتج بقاء الحياة بعد الموت، ولنقارن الآن بين ما تقدم من الأقوال الدينية وما سيأتي وبين النتيجة التي خلص إليها الدكتور «ريمون أمودي» .

**وخلاصة التقارير:**

الشخص في حالة الاحتضار، وحينما يصل إلى قمة النزع الجسدي يسمع إعلان الطبيب بأنه قد مات..

١ ـ ثم يبتدأ بسماع صوت غير مريح، بصورة طرق عالي أو كأزيز وفي حالات أخرى فإنَّ التأثيرات السمعية تأخذ صورة أصوات موسيقية لطيفة...

٢ ـ ثم يشعر بأنَّه يتحرّك بسرعة خلال دهليز مظلم، وهناك كلمات مختلفة أُستُعملت من قبل الأشخاص لوصف هذا الدهليز كالكهف أو البئر، أو النفق، أو الفراغ أو المجرىٰ[1]..

٣ ـ بعد هذا يجد نفسه فجأة أنَّه خارج جسده المادي إلّا أنَّه لا يزال في البيئة التي حواليه، فيرى جسمه من على مسافة وكأنه «متفرّج» أو «مراقب لجسده وللآخرين» وقد أطلق الدكتور على هذه الحالة «الوجود خارج الجسد» .

وهنا تختلف مشاعر الانتقال لدى المرضىٰ، فمنهم من يشعر بارتياح وسلام وهدوء كما في التقرير التالي :

● «كنتُ مريضاً في حالة خطرة، ووضعني الطبيب في المستشفى، وفي صباح أحد الأيام تجمّع حولي سُدُيم رمادي صَلْد، وتركتُ جسمي، وشعرتُ بإحساس طفوان حينما شعرتُ بأني خرجت من جسمي، ونظرتُ إلى الخلف فإذا بي أرىٰ جسدي على السرير في الأسفل، ولم يكن لدي هناك أي خوف، كان هناك هدوء وسلام وراحة، ولم أكن على أي حال في أدنىٰ تخوّف أو هلع، كان ما يشبه الشعور بالمُهدِّىء، ولم يكن كشيء أخافه، وشعرتُ بأنَّه قد أكون في

---

(١) سمعتُ أنَّ رجلاً من منطقة «دير الزهراني» عثر بموتور الكهرباء فوقع في بركة ماء فصعقته الكهرباء ومات، وبعد ساعات أُخرى من الماء وهو أسود اللون كالخشبة اليابسة، إلّا أنَّه استيقظ من الموت أثناء نقله إلى المستشفى، وقال بعد ذلك: عندما كان المسعفون يحملون الجسد كنت مطلّاً عليهم وأخاطبهم «أنا هنا» ولكن لم يسمعني أحد، وفجأة دخلت في نفق طويل ولما صرت في آخره كان هناك ملائكة سمعتهم يقولون: لم يحن أجله بعد ردّوه وفجأة استيقظت .

حالة احتضار، وشعرت وكأنني سوف لن أرجع إلى جسدي، أو أني ميّت ولن أرجع».

● والكثير يجدون الأمر صعباً ومحيّراً ولا يتمكنون أن يربطوه مع الموت، ولفترة من الزمن يتعجبون لما يحصل لهم، ويرتبكون ويخافون .

تقول إحدىٰ النساء عن تجربتها مع الموت: «فكّرتُ بأني مِتّ، ولم أكن آسفةً بأني مِتّ، إلّا أنّي لم أتمكن أن أعرف بالضبط إلى أين مفروض أن أذهب. إن فكري وشعوري كانا كما كانا أثناء حياتي، إلّا أني لم أكن لأفقه كل هذا. وبقيتُ مفكرة: «إلى أين أنا ذاهبة؟»، «وماذا يجب أن أفعل؟»، «إلهي أني ميتة!»، «إني لا أتمكن أن أصدق هذا!». والسبب يرجع إلى أنك حقيقة لا تعتقد بأنَّك سوف تموت. فهو شيء سوف يحدث للآخرين، وبالرغم من أنَّك تعرفه إلّا أنَّك لا تعتقد به عميقاً. ولهذا فإنّي قررتُ أن أنتظر حتى تخبو الاستثارة ومِن ثَمّ يحملون جسدي بعيداً، ومِن ثَمّ لأفكّر إلى أين سوف أذهب من هنا».

● ومن الأمور التي تختلف من فرد إلى آخر هو موقف الناس تجاه أجسادهم التي تركوها، فمنهم من كان يُبدي اهتماماً بجسده ويتحسّر على فراقه وما يحدث له، ومنهم من لم يتعرّف إلى جسده كليّاً.

ففي كلام لفتاة حصلتْ لها هذه الحالة تقول: «كنت أتمكن أن أرى جسدي وهو محصور في حطام السيارة بين الناس الذين تجمعوا إلّا أنَّه لم يكن لديّ أي مشاعر ومن أي نوع كان، وكأنَّه إنسان آخر

مختلف، كنتُ أعلم أنَّه جسمي إلّا أنَّه لم يكن لديّ أي شعور تجاهه».

● ومما يثير الانتباه أن غالبية الأشخاص أخبروا أنهم وجدوا أنفسهم في جسم آخر بعد انعتاقهم من الجسم المادي، وقد أطلق الدكتور عليه عبارة «الجسم الروحي» وبالرغم من أن الجسم الروحي غير محسوس من قبل الأجسام المادية إلّا أنَّ جميع الأشخاص الذين خبّروه على اتفاق في أنَّ الجسم الروحي هو شيء ما، ومن الصعوبة وصفه، وإنهم في اتفاق على أنَّ له صورة أو شكل كشكل الجسد المادي أو كغمامة وحتى له أجزاء الجسد المادي كالبروزات وغيرها، وله حدود عُليا وجهات سُفلىٰ محدَّدة.

فتقول إحدىٰ النساء: «إنَّها حينما كانت خارج جسمها كانت تشعر بهيئة الجسم بكاملها، سيقان وأذرع وكل شيء..» .

وتقول أخرى: «كنتُ لا أزال في جسم، كنتُ ممتدة وأنظر إلى الأسفل، حرّكتُ سيقاني وشعرتُ أنَّ إحداها أدفأ من الأخرى» .

● إضافة إلى ذلك فإنَّهم أخبروا من دون اختلاف بأنَّ الجسم الروحي عديم الوزن، وأنَّهم وجدوا أنفسهم في طوفان نحو سقف الغرفة أو في الهواء، ووصفوا تلك الحالة بـ «الشعور بعدم الوزن» و «الإحساس بالطوفان» .

وفي تلك الحالة فإنَّهم يستطيعون أن يمرّوا خلال الباب أو الحائط دون مانع منه، وبتعبير آخر تكون لديهم القدرة علىٰ الحركة والانتقال بسرعة مخترقين حاجز المكان والزمان.

يقول أحدهم: «حينما خرجتُ من جسمي المادي كان شبيهاً بخروجي من جسمي والذهاب إلى شيء آخر.. ولكن ليس كجسم آخر اعتيادي، إنَّه يختلف قليلاً، إذ لم يكن على شكل جسم بشري، ولم يكن كأي من كرة كبيرة من المادة، كان له شكل ولكن بدون ألوان.. إني لا أتمكن من وصفه، كنتُ منبهراً جداً بكل شيء حولي، رؤية جسمي نفسه هنا وكل شيء، لذا لم أفكر حول نوعية الجسم الذي أنا فيه، إن كل شيء يظهر وكأنَّه يمرّ بسرعة إنَّ الوقت لم يكن حقيقةً عنصر» .

● وعلى أساس تقرير فريدٍ ومهم يظهر أنَّ التلف في الجسم المادي لا يؤثر على الجسم الروحي، فقدْ فَقَدَ رجلٌ ساقه في حادث أدّى إلى موته السريري وقد عرف هذا، ومع ذلك فإنَّه حينما كان خارج جسده كان يشعر بأنَّ جسده كامل لا نقص فيه .

٤ ـ ويظهر إدراك الإنسان للأشياء بصورة أكثر وأكمل مما هو في الحياة المادية.

يقول أحد الرجال: «أنَّه حينما كان «ميتاً» كان نظره قوياً وبصورة لا تُصدّق».

وتقول إمرأة: «يظهر وكأنَّ الجسم الروحي ليس له حدود فكأني أرى أي مكان وفي كل مكان» .

ومعظم الذين تحدّثوا عن الإدراك قالوا: «إنَّهم لم يسمعوا النطق والأصوات المادية بل كانوا يلتقطون الأفكار بشكل مباشر» .

تقول إحدى النساء: «كانت هناك حركة كبيرة تجري، والناس يركضون حول سيارة الإسعاف وكان كلما أردتُ النظر إلى شخص لمعرفة ماذا كانوا يفكرون، كان وكأنَّ عدسة مكبّرة مقرّبة تجعلني وكأني هناك.. وكان كلما أردتُ أن أرىٰ شخصاً ما على مسافة مني ظهر وكأنَّه جزء مني.. وقد ظهر لي في ذلك الوقت بأنَّه لو حدث أي شيء في أي مكان من العالَم فإنّي أتمكن أن أكون هناك» .

ثم إنَّ وصفهم الدقيق للأحداث التي شوهدتْ حين خروجهم من أجسامهم تؤكد صحة أقوالهم، فقد كان أطباؤهم يصابون بالدهشة حين يسمعون من مرضاهم أدق التفاصيل التي جرت أثناء العملية وفي غرفة العمليات .

تقول إمرأة: «بعدما انتهى كل شيء أخبرني الطبيب بأنَّه قد مرَّ عليَّ وقت عسير وحينها قلت: «نعم إني أعرف وأتمكن أن أخبرك بكل ما حصل» لم يصدقني حتى أخبرتُه القصة كاملة من الوقت الذي توقّفتْ فيه عن التنفّس حتى الوقت الذي صحوتُ فيه، وكانت الصدمة على الطبيب» .

ومما يُعدّ حقيقة، أنّ الجسم الروحي غير مسموع ولا منظور من قبل الأحياء لأنَّه غير مادي، ومن هنا ينعدم الاتصال بالكائنات البشرية المستغرقة في المادة.. ولذا فليس مفاجأة أنْ يتولّد لدى صاحب الجسم الروحي شعور بالانعزال والوحدة .

تقول إحدى النساء التي قاستْ من توقف التنفس وحُمِلتْ إلى غرفة الطوارئ: «رأيتهم وهم يحاولون إنعاشي، كان أمراً

غريباً، وكنتُ مطلّة عليهم، حاولت أن أتكلَّم معهم إلّا أنَّه لا أحد يسمعني ولا أحد يصغي إليّ » .

٥ ـ ويشاهد أرواحاً لأقارب وأصدقاء كانوا قد ماتوا مسبقاً، ومهمتهم تسهيل الانتقال إلى العالَم الآخر، أو إعلام المحتضر بأنَّ وقته لم يحن بعد وأن عليه أن يعود إلى جسده المادي.

يقول أحد الرجال: «قبل بضعة أسابيع اقتربتُ من الموت، وكان صديقي العزيز «بوب» قد قُتل، والآن في اللحظة التي خرجت فيها من جسمي، كان لدي شعور بأنَّ «بوب» واقفاً بالقرب مني، كنت أراه في عقلي ولكن ليس في الصورة المادية... كان وكأنَّه ينتظرني حين أعبر الحاجز النهائي ليخبرني عن تفاصيل الأشياء» .

وفي حالات أخرى تظهر أرواحُ غير معروفة لدى المحتضر أطلق عليها الدكتور لقب «الأرواح الحارسة» أو «المساعدة»، ونقل عن امرأة أنَّها أخبرته بأنها حينما كانت تاركة جسدها اكتشفتْ وجود كائنيْن روحييْن وأنَّهم عرّفوا أنفسهم لها بأنَّهم «المساعدون الروحيون» .

٦ ـ ثم إنَّ روحاً من نوع لم يُشاهَد من قبل يظهر أمام المشرف على الموت... وهذا هو العنصر المشترك بين كل التقارير التي درسها الدكتور وهو الأمر الذي كان له أكبر الأثر على الأفراد.

إنَّه «كائن من نور» ساطع جداً إلّا أنَّه لا يؤذي العيون، ولربما لأنَّهم في تلك الحالة لا يملكون عيوناً ليبهرهم، وزيادة على ذلك فإنَّهم

أجمعوا بأنَّ لهذا الكائن شخصيةمحددة واضحة، وأنَّ له قوة جاذبية بحيث أنَّ الفرد يحسّ بانجذاب مغناطيسي لا يمكن مقاومته.

يبدأ هذا الكائن بالاتصال مع الشخص الذي هو في حالة موت (والاتصال هو من النوع المباشر بلا توسط الألفاظ ولا اللغات) فيسأله عن قيمة الحياة وعن استعداده للموت، ويطرح بين يديه منشوراً يعرض فيه حياته من بدايتها إلى تلك الساعة، ويستعرضها بشكل سريع فوق العادة.

واللافت في كلام المحتضرين أنَّهم قالوا: إن المراجعة كانت للصور المرئية، وكانت حقيقية بصورة لا تُصدّق،

وفيها تشخيص لكل شيء حتى للعواطف والمشاعر، وبعضهم قال: إنَّ ما رأوه كان من الأمور الرئيسية المهمة في حياتهم، وآخرون قالوا: إنَّهم يمكنهم استرجاع حوادث حياتهم في تفاصيل لا تُصدَّق.

والآن لنلاحظ هذيْن التقريريْن:

«كنتُ أعرف أني في احتضار، ولم يكن في وُسعي أن أعمل أي شيء، لأنَّه لا أحد يستطيع سماعي، كنت منفصلاً عن جسمي ولا شكّ في ذلك لأنِّي كنت أرى جسمي هناك على طاولة غرفة العمليات وكانت روحي خارجاً، كل هذا جعلني أنزعج في البداية، ومن ثم جاء ذلك الضوء الساطع، كان في البداية معتماً كما ظهر ومن ثم كان ذلك الشعاع الضخم، و... ومع ذلك فلم يمنعني من رؤية أي شيء حولي،... فيما بعد، سأل، كان مثل التكلم إلى شخص...» .

«حين ظهر الضوء كان أول شيء قاله لي: «ما الذي تريد أن تريني مما عملتَه في حياتك.. ورجعت إلى بداية طفولتي ومن ثم كل سنة من حياتي حتى وصلت إلى الحاضر... كل شيء كان حقيقة غريباً، كنت أرى اللقطات الاسترجاعية بحيث استوعبها ومع ذلك فإنَّ الفترة الزمنية لم تكن طويلة...» .

وليعلم أنَّ هناك تقارير كان فيها مراجعة للحياة من دون حضور كائن الضوء، وكقاعدة فإنَّ الخبرات التي لا يكون فيها كائن الضوء موجِّهاً إياها فإنَّ المراجعة تكون أكثر احتياجاً .

٧ ـ وفي المرحلة الأخيرة من خبرة الاحتضار يجد المحتضر نفسه مقترباً من حاجز أو حدّ، وكأنَّه الحدّ الفاصل بين الحياة الأرضية والحياة الأخرى، ومع ذلك فإنَّه يجد أنَّ عليه أن يعود إلى الجسد المادي لأنَّ أجله لم يحن بعد،..[١] .

وهنا تختلف رغبات الأشخاص فالأكثر يبدي مقاومة تجاه الرجوع إلى الأرض، وهذه الحالة تغمر أولئك الذين تقدموا في خبرتهم حتى قابلوا الكائن من ضوء. والبعض يرغب في الرجوع إلى الأرض خصوصاً إذا كان عليه مسؤولية تجاه غيره كالوالدين وتجاه الأولاد .

وعلى كل حال سواء رغب في الرجوع أم لا فإنَّه يجد أنَّه قد التحم

---

(١) قال علماء البحث الروحي: إنَّ عدم انقطاع الحبل الأثيري هو السبب في الرجوع إلى الحياة، وما الحالة التي يكون عليها المشرف على الموت إلّا ارتخاء وضعف في الحبل الأثيري.

بجسده المادي وعاد إلى الأرض لأنَّ أجله لم يحن بعد .

تقول إمرأة أصيبت بنزيف شديد: «في هذا الوقت فقدت الشعور، وسمعت رنيناً مزعجاً، صوت طنين، وكان آخر شيء عرفته، كأني في باخرة أو سفينة صغيرة متجهة للجانب الآخر من بحر من الماء، وعلى الشاطئ البعيد كنت أرى كل أحبائي الذين ماتوا، أمي، أبي، أختي، وآخرين كنت أراهم،... كنت أرى كل الأطباء والممرضات أيضاً أثناء عملهم في جسمي وكأني متفرجة وليس ذلك الشخص، كنت أحاول إفهام طبيبي أنيسوف لن أموت إلّا أنَّه لا أحد يسمعني، وكل شيء الأطباء، الممرضات، الباخرة، والماء، والساحل البعيد، كانت وكأنَّها صور متجمّعة.. وأخيراً كادت السفينة أن تصل إلى الشاطئ إلّا أنَّها استدارت ورجعتْ ورجعتُ إلى الحياة...» .

٨ ـ وبعد رجوعه إلى الأرض يحاول إخبار الآخرين إلّا أنه يجد صعوبة .

أولاً: لأنَّه لا يجد كلمات بشرية موافقة لوصف الأحداث غير الأرضية .

ثانياً: يجد الآخرين يقابلونه بالاستخفاف .

أقول[١]: رُوي عن الإمام علي عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ للموت لغمرات هي أفظع من أن يستغرق (يستوصف) بصفة أو تعتدل على عقول أهل**

(١) والقول لمؤلف كتاب (الروح بين العلم والعقيدة).

**الدنيا»**[1] .

وعنه في حال أهل القبور: «**فلو كانوا ينطقون بها لَعيّوا لصفة ما شاهدوا وما عاينوا**»[2] .

إنَّ هذه التجربة أدّت بكثير من المحتضرين إلى تغيير حياتهم ونظرتهم إلى الموت، فصاروا يهتمّون بنمو العقل والروح، تاركين الاهتمام بالجسد المادي، ويعملون على زرع الحب والوفاء بين الناس[3] .

يقول أحدهم: «إنّي أفترض أنَّ هذه الخبرة شكّلتْ شيئاً مافي حياتي، كنتُ طفلاً حينما حدَّثتُ عشرة سنوات فقط، أما الآن وأثناء كل حياتي إنّي مقتنع تماماً أنَّ هناك حياة بعد الموت، إنَّ بعض الناس الذين أعرفهم يخافون من الموت، وإنّي أبتسم حينما أسمع الناس يشكّون بأن هناك حياة أخرىٰ أو يقولون: «حينما تموت فأنت انتهيت...» .

يقول «البروفسور هيسلوب» وهو أستاذ علم النفس في جامعة كلمبيا: في إحدى جلسات تحضير الروح استطعت أن أحضر روح أحد أصدقائي الأغنياء بعد موته، فسألته عن حالة النزع وخروج الروح من الجسد ساعة الموت فقال :

---

(١) نهج البلاغة / خطبة ٢١٩.        (٢) نهج البلاغة / الخطبة ٢١٦.

(٣) وهذا ما أكّدناه لك أيها القارىء في البحوث التمهيدية السابقة في المحور الأول، من أن المنهج الصحيح في اصلاح حياتنا الدنيوية هو في التفكير والتأمل في المعلومات الأخروية.

«عندما عرفتُ أنَّ عليَّ أن أموت، نظرتُ أولاً إلى داري وأثـاثها، فاعترتْني حالة من التأسف والألم أشدّ بعشرات المرّات مما لو جاء لصٌّ إلى داري وقيّدني بالحبال والسلاسل وأخـذ يـتلف حـاجياتي الثمينة النادرة أمام عيني، ويحرق ويكسر ولم يدع لي حـتى قـطعة قماش أستُر بها عورتي . ومع أني كنت أقدر بعد الموت على العروج إلى السماوات، ولكن ولشدّة تعلّقي وحبّي للدنيا فقد بـقيتْ روحـي ملازمة لداري وللقبر لعدّة أشهر، وكانت تستمد العـون مـن القـدرة المطلقة للرجوع ثانية إلى الجسد .

قلت له: ثم ماذا بعد ذلك ؟

قال: ذات يوم دخلتُ إلى قبري، فوجدتُ أنَّ جسـدي قـد تـعفّن وتهرّأ ولم يَعُد صالحاً للاستعمال !

بقيتُ عنده لفترة، وأخذتُ أتذكر حياتي لمدة ستين عاماً مع هذا الجسد، فبكيتُ كثيراً وبعد ساعات، تركت القبر واتجهت إلى المنزل . وجدت زوجتي وأولادي يتنازعون فيما بينهم على الميراث، بعد أن نهب كل منهم ما استطاع أن ينهبه من النقد .

ولأنَّ زوجتي كانت شابة، فقد أخذ يحوم أحد الأشخاص الذيـن كنت أكره معاشرته حولها ليخطبها لنفسه طمعاً في أموالي التي كانت في حوزة زوجتي.

وهنا لم أستطع تحمّل ذلك فانتخبت لنفسي أبعد نقطة في هذا العالم حيث لا شيء هناك سوى الشمس ملتهبةً حارقة .

ولكن بقي تأسفي على أموالي وأملاكي يحز في نفسي ويؤلمني ويحرق أحشائي[١]

إنها الحقائق أيها الباحث عن الحق، آمن بالغيب وثق بأن الحياة ذات هدف حكيم، وما الموت فيها الا حقيقة واحدة منها تعني الهدفية وتلغي فلسفة العبثية التي روّجت لها المدارس الالحادية والديالكتيكية المادية العمياء. فالموت حق.. إعرفه جيداً وتعرّف عليه حتماً، ثم قرّر أن لا تموت إلا بالحق .

(١) عالم الأرواح / ١٤٦.



# الفصل الثاني

وفيه محوران:

المحور الأوّل:

ماذا تعرف عن جسدك وروحك ومصيرك

المحور الثاني:

العوالِم الثمان في تطوّر الإنسان

# المحور الأوّل: ماذا تعرف عن جسدك وروحك ومصيرك

**أولاً.. تعرَّف على جسدك**

الجسد هو كتلة من اللحم والعظم والدم... يشترك في تكوينها: الأوكسجين بنسبة ٦٥٪، البوتاسيوم بنسبة ٠٠,٣٥٪، الكربون بنسبة ١٨٪، الكبريت بنسبة ٠٠,٢٥٪، الأيدروجين بنسبة ١٠٪، الصوديوم بنسبة ٠٠,١٥٪، الأزوت بنسبة ٣٪، الكلور بنسبة ٠٠,١٥٪، الكلسيوم بنسبة ٣٪، الماغنسيوم بنسبة ٠٠,٠٥٪، الفوسفور بنسبة ١٪، الحديد بنسبة ٠٠,٠٠٤٪، ثم قليل من اليود والفلور والسليكون والفضة والذهب، وكثير من الماء، بل إنَّ ثلاثة أرباع الجسد من الماء[١].

وقد ذكر القرآن الكريم في آيات عديدة خلق الإنسان من الماء والتراب، قال الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾**[٢] .

---

(١) العالم غير المنظور / ص٤١.

(٢) سورة الفرقان / ٥٤.

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾[١] .

وقال سبحانه اكثر تفصيلاً حول مراحل خلقة الانسان: ﴿وَلَقَد خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿هَوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً﴾[٣] .

ويبقىٰ الجسد متماسكاً متحرّكاً حتى يأتيه الموت حيث يصبح جثة هامدة مسلوبة عن كل ما كانت تتمتع به من النمو والحركة، ثم يُدفَن تحت التراب ويبدأ بالتحلّل والتفسخ، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْناكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نَخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخرَىٰ﴾[٤] .

وعندما يموت الجسد لا تموت الخلايا مباشرة، وإنَّما تبقىٰ حية لمدة تختلف حسب نوعها من دقائق إلى أيام .

ويقرّر الأطباء: أنَّ الجسم يموت أولاً ككل (يموت الدماغ ويتوقف القلب) ثم تموت الأعضاء، ثم الأنسجة المشكّلة لها .

وبعد ذلك يبرد الجسد حتى تصير حرارته كدرجة حرارة الجو المحيط به، ويبدأ «التيبّس الرّمي» بعد ساعتين من الوفاة، ويكتمل خلال ١٢ ساعة من الوفاة في عضلات الفك الأسفل والجفنين (ولذا فمن السُنّة إغماض عيني الميت وشدّ لحييه عقب الوفاة) .

---

(١) سورة فاطر / ١١.
(٢) سورة المؤمنون / ١٢ـ١٤.
(٣) سورة الأنعام / ٢.
(٤) سورة طه / ٥٥.

ثم يحدث «التعفّن الرّمي» وهو تحلل أنسجة الجسم بواسطة ميكروبات التعفّن وخاصة في الأحشاء ويبدأ التعفّن في الجو الحار بعد ٢٤ ساعة من الوفاة. ولذا ورد استحباب تعجيل دفن الميت قبل أن يحدث التعفّن ويتأذّى الناس به.

فعن رسول الله ﷺ: **«يا معشر الناس لا ألفينّ رجلاً مات له ميت ليلاً فانتظر به الصبح، ولا رجلاً مات له ميت نهاراً فانتظر به الليل، لا تنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولا غروبها، عجّلوا بهم إلى مضاجعهم يرحمكم الله »**[١].

وبعد ذلك يحدث تشوّه في هيئة الجثة حيث ينتفخ البطن، والوجه، وتجحظ العينان، ويخرج مافي الأحشاء والبطن، ويصحب كل هذا رائحة كريهة ومضرّة[٢].

**ثانياً.. تعرَّف على روحك**

قال الله عز وجل: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوْا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[٣].

يقولُ الامام الباقر عليه السلام:

**«ما من أحد ينام إلّا عرجتْ نفسه الى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإنْ أذِن الله في قبض الارواح أجابت**

---

(١) وسائل الشيعة / ج٢ ص٦٧٥. (٢) ماذا بعد الموت / ص٢٧.

(٣) سورة الحجر / ٢٩.

**الروحُ النفسَ، وإن أذن الله في ردّ الروح أجابت النفسُ الروحَ»** [١]

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: «**الروح جسم رقيق قد أُلبس قالباً كثيفاً**»[٢].

وللعلماء والفلاسفة محاولات في بيان حقيقة الروح ونحن لسنا في مقام بيانها تفصيلياً، ولكن لا بئس بذكر ما كتبه الفيلسوف السيد الطهراني رحمه الله حول العوالم الوجودية الثلاثة[٣]:

(ويشهد على إثبات العوالم الثلاثة المذكورة: أي عالم الطبع وعالم البرزخ وعالم القيامة، وجداننا بنفسه... إننا نملك مراتب من مراتب الوجود .

الأولى: بدننا المنتمي إلى عالم الطبع والمادة، والذي يعروه ويطرأ عليه التغيّر والتحوّل والفساد والصلاح والعُمران، والمتغيّر دوماً مع تغييرات المادّة والظرف الزمانيّ والمكانيّ. فالبدن بجميع أعضائه وجوارحه من القلب والمخّ والكبد والرئة والكلية والمعدة والأمعاء واليدين والرجلين والعين والأُذن وآلاف الأعضاء وملايين الخلايا ليس في ثبات واستقرار ولو للحظة واحدة، بل يتّخذ لنفسه دوماً في حركته الجوهريّة والذاتيّة حالاتٍ جديدةً تخلف حالاته السابقة وتحلّ محلّها.

الثانية: مرحلة ألطف وأعلى، وهي ذهننا الذي يمتلك قوىً باطنيّة

---

(١) تفسير الصافي/ج٢ ص٤٦٨		(٢) ميزان الحكمة /ج٤ ص١٩٧.

(٣) هو من تلامذة العلاّمة الطباطبائي قدس سره صاحب تفسير الميزان.

من القوة المفكّرة، والمتخيّلة، والواهمة، والحافظة، والحسّ المشترك، والذي يستقبل آلاف الصور والأشكال والمعاني، كما أنَّه يُوجِد بنفسه مثل هذه الصور والمعاني أيضاً.

فذهننا لا وزن له ولا ثقل، وليس مادياً، إلّا أنَّ له كيفيّة المادّة وآثارها من الشكل والصورة واللذّة والحزن وغيرها .

ويمكن لذهننا أن يُوجِد في داخله بإرادته موجوداتٍ لا يمكنها الظهور في هذا العالم بواسطة كثافة المادّة.

كما أنَّ حركة بدننا تابعة لإرادة ذهننا وأمره، فلا يمكن للإنسان إنجاز عملٍ ما دون أن يتصوّر صورة ذلك العمل. ولقد تصورنا حين كنّا في المنزل صورة المسجد والحركة تجاهه، ووضعنا في نظرنا فائدة ذلك، ثمّ إنَّ أنفسنا أمرتنا لنعمل وفق تلك الخطّة التي رُسمت في أذهاننا من المسجد والحركة وتصوّر فائدة المجيء للمسجد، فعملنا بذلك .

الثالثة: نفسنا وحقيقتنا، وهي أعلى وأوسع وألطف بكثير من ذهننا، لأنَّها تفوقه في عدم امتلاكها شكلاً ولا صورة، ولا أبعاداً ولا كيفيّة. وهي تلك الماهيّة التي يُعبّر عنها بـ «أنا» و «أنت» و «هو» و «نحن» و «أنتم» و «هم» .

وهي أعلىٰ من القوىٰ ومن الملكات والصفات، لأنَّ جميع القوى الباطنيّة والملكات والصفات موجودة في شعاع وجودها وقائمة بها، وهي حقيقة مجرّدة عن المادّة، ومجرّدة عن صورة المادّة وآثارها .

وهذه المراحل الثلاث لوجودنا أُنموذج ومثال للمراحل الثلاث من وجود العالم الكلّيّ، فبدننا أُنموذج من عالَم الهيولا والطبع، وذهننا ومثالنا المتّصل أُنموذج من عالَم البرزخ والمثال المنفصل، ونفسنا الناطقة وحقيقتنا أُنموذج من عالَم النفس الكليّة والقيامة الكبرى(١).

ويحاول هنا السيد الطهراني ﷺ أن يستدل علىٰ نظريته روائياً.. حيث يقول: وقد صُرّح بهذه المراتب الثلاث في وجود الإنسان في كلام النبي ﷺ في السجود ليلة النصف من شعبان. فقد قال ﷺ: «**سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي...**»(٢).

فالسواد كناية عن عالَم البدن والمادة، والخيال كناية عن عالَم المثال والذهن، والفؤاد كناية عن النفس .

وقديماً اعتقدتْ الشعوب بكل قومياتها وألوانها وبلدانها بوجود الروح في جسد الانسان، فالفراعنة في مصر وشعوب الهند واتباع بوذا في الصين، وكذلك اليونانيين والشعوب الفارسية وغيرها كانوا يعتقدون بالروح وبقاءها بعد موت الجسد.(٣)

فأنت إذن في جسدك وروحك تشبه الصندوق الذي يحتوي بداخله جوهرة (ألماس) ثمينة. فالصندوق يتعرّض تدريجياً إلى الفناء ولكن الجوهرة تنتقل الىٰ الوارثين كما انتقلت اليك.

هذا التشبيه انما لتقريب الموضوع الىٰ ذهنك والا فالروح التي هي

---

(١) معرفة المعاد / ج٢ ص ١١٤.     (٢) المصدر نفسه / ص١١٦.

(٣) راجع كتاب (الانسان روح لا جسد).

من نفخ الله أعظم من إدراكنا لحقيقتها .

يقول العلامة الطباطبائي (صاحب تفسير الميزان):

«تذهب الرؤية الإسلامية للإنسان على أنَّه مخلوق من روح وجسد، وجسم الإنسان تركيب مادي محكوم بالقوانين. ولهذا الجسد حجم ووزن وهو يحيا في الزمان والمكان ويتأثّر بالعوامل المختلفة مثل الحرّ والبرد، ثم يهرم تدريجياً ويضمحل، وكما وجد هذا الجسد في النشأة الأولىٰ بأمر الله (سبحانه) فهو ينتهي بأمره أيضاً في يوم من الأيام فيتلاشىٰ ويتحلّل.

أمّا الروح فهي ليست مادة، وبالتالي ليس لها أيّ من الخصائص المادية المذكورة آنفاً، بل هي تنطوي على صفات العلم، والإحساس، والفكر، والإرادة وبقية الصفات، كما من خصائصها المحبة والبغض، والفرح والحزن، والخوف والرجاء وأمثالها. وكما تفتقد الروح للصفات المادية المذكورة، فكذلك تبتعد الصفات الروحية هذه عن خصائص المادة، بل إنَّ القلب والدماغ وسائر أجزاء البدن الأخرى تخضع في فعالياتها لحاكمية الروح والصفات الروحية، ولا يمكن أن نعتبر أي جزء من البدن بمثابة المركز القيادي»[١].

**ثالثاً : تعرّف على مصيرك**

الى هنا عرفتَ شيئاً عن جسدك وقبساً من روحك، وهما متىٰ ما

---

(١) الإسلام الميسّر / ص١٩٤.

أمر الله ينفصلان، لعلك وددت أن تعرف: لما تنفصل الروح عن الجسد، إلىٰ أين يتجه مصيرك؟ وكيف سيكون وضعك ؟

هذا ما يبيّنه لك الامام الصادق عليه السلام بقوله:

**«إذا قُبِضتْ الروح فهي مظلّة فوق الجسد ينظر إلى كل شيء يُصنَع به»**(١).

وهنا تتكلم مع مَن أحببتهم في دنياك وتنصحهم بما تراه ولا يرونه، ولكنهم لن يسمعوك بالطبع (وياليتهم يسمعوك)!!

يقول النبي محمد صلى الله عليه وآله:

**«حتىٰ إذا حُمِل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي...»**(٢).

نعم.. إنه لَعالَم جديد عليك بكل المقاييس ولكنك تفهمه جيداً ولن تستوحش منه مادمتَ قد وعيت هذه المعلومات عنه وعملتَ له بكل ما تحتاجه اليه من حسنات .

تصوّر نفسك الآن كيف تموت، جسدك الملقىٰ او المسجّىٰ أو المحمول علىٰ أيدي المشيِّعين. وروحك تشهد وترىٰ وتفهم ما يدور حول جسدك. تصوّر نفسك كما صوّره لك النبي ادريس عليه السلام في قوله البليغ وموعظته البالغة: **«كأنَّك بالموت وقد نزل بك، فاشتدّ أنينُك، وعَرَقَ جبينُك، وتقلّصت شفتاك، وانكسر لسانك، ويبس ريقُك، وعلا سوادُ**

---

(١) بحار الأنوار /ج٦١ ص٥٠. (٢) بحار الأنوار /ج٦١ ص٧.

**عينيك بياض، وأزبد فوك، واهتز جميع بدنك، وعالجتَ غصص الموت وسكرته ومرارته وزعقته، ونوديتَ فلم تسمع، ثم خرجتْ نفسُك، وصِرْتَ جيفةً بين أهلك، إنَّ فيك لَعبرةً لِغيرك، فاعتبِرْ في معاني الموت.**

**إنَّ الذي نزل بغيرك نازلٌ بك لا محالة، وكلُّ عمرٍ وإنْ طال قليل، لأنَّ كل ما هو آتٍ قريبٌ لوقت معلوم، فاعتبِرْ بالموت يامَن يموت، واعلم أيّها الإنسان أنّ الموت أشدّ مما قبله، والموت أهون ممّا بعده من شدائد وأهوال يوم القيامة»[١].**

ولكنك مع الايمان بالله من عميق وجدانك، ومع الصدق والتقوى والعمل الصالح في الدنيا تستطيع أن تغيّر هذه المعادلة، فتكون حالتك بأسعد ما تريدها وألذّ ما يمكن .

سُئل الامام الحسن الزّكي عليه السلام عن الموت، ما الموت الذي جهلوه ؟

فقال عليه السلام: «**أعظم سرورٍ يَرِدُ على المؤمنين اذا نُقلوا عن دار النكد الى نعيم الأبد، وأعظم ثبورٍ يَرِدُ على الكافرين اذا نُقِلوا عن جنّتهم الى نار لا تبيد وتنفذ»[٢].**

(١) الخصال / ص٥٢٥.

(٢) كلمة الامام الحسن عليه السلام تأليف الشهيد السيد حسن الشيرازي / ص٥٣.

# المحور الثاني: العوالم الثمان في تطوّر الانسان

إنّها ثمانية درجات ومنازل ومراحل ، يمرّ بها الإنسان في وجوده . يبدّل في كلّ درج ومنزل ومرحلة ثوبه المخاط إلهيّاً وفق ذلك ، مثلما يخلع الإنسان في هذه الحياة الحسّية ثيابه وفق متطلّبات الزمان والمكان من حيث البرد والحرّ وما أشبه .

فالإنسان في تنقّلاته الثمانية له في كلّ عالَمٍ منها حالة خاصّة ، ونحن في الدنيا ـ حيث أكتب لك هذه السطورَ وأنت تقرؤها ـ قد وصلنا إلى العالَم الخامس وبقيت أمامنا ثلاث عوالم:

١/ عالم البرزخ (تبدأ من الموت والقبر).

٢/ عالم البعث والحشر إلى النتائج النهائية من الخلقة.

٣/ عالم الخلود في الجنّة أو الدخول الىٰ النار (نعوذ بالله منها).

وأمّا العوالم الأربعة السابقة التي اجتزناها ونحن لا نتذكّرها في هذه الدنيا فهي:

١ ـ عالم الذرّ .

٢ ـ عالم التراب .

٣ ـ عالم الأصلاب .

٤ ـ عالم الأرحام .

وإليك ـ أخي القارئ وأُختي القارئة ـ نُبَذات تعريفية ممّا أفادنا القرآن الكريم حول هذه العوالم الثمانية وبيّنها لنا رسول الله محمّد ﷺ والأئمّة المعصومون من آل محمّد (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين):

**١ ـ عالم الذرّ:**

قال الله الخالق الحكيم : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[١].

يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية : « **أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرّفهم نفسه وأراهم ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه** » .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام هنا أيضاً : « **فقال الله للمخلوقين في عالم الذر مَن ربّكم ؟ فأوّل مَن نطَقَ رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والأئمّة : فقالوا : أنت ربّنا فحمّلهم العلم والدين ، ثمّ قال الله تعالى للملائكة : هؤلاء حَمَلَةَ ديني وعلمي وأُمنائي في خلقي وهم المسؤولون ، ثمّ قال تعالى لبني آدم : أقِرّوا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة ، فقالوا : نعم ربّنا أقررنا ، فقال الله للملائكة : إشهدوا، فقالت الملائكة :**

---

(١) الأعراف / ١٧٣ .

**شهدنا على أن لا نقول غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين »**(١)

فوجودنا الأوّل كان بصورة ذرّات عاقلة خلقنا الله عزّوجلّ وأخذ منّا اعترافات بالحقائق الإيمانية ، تلك الاعترافات قد سجّلتها الفطرة بداخلنا وحفظتها لكلّ واحد منّا على امتداد الخطّ ، لذلك نشعر بالانجذاب إلى الله والحقّ والخير فطريّاً . فحتّى الكافر الذي يتكابر على اعترافه الأوّل بالله الخالق تجده يستسلم للحقيقة ويعود إلى الفطرة في ساعات العجز والخطر ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٢).

وهذا فرعون الذي أعلن كفره وطغيانه وأسرف في الظلم والقتل وإذا به في نهايته الصعبة عند الغرق وحلول الموت المحتوم يعلن استسلامه وإيمانه بربّ موسى وهارون ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

**٢ ـ عالم التُراب :**

قال الله الخالق الحكيم : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤).

---

(١) تفسير الصافي نقلاً عن أصول الكافي.

(٢) العنكبوت / ٦٥. (٣) يونس / ٩٠.

سورة المؤمن/٦٦.

وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[١].

يقول المفسّرون : أنّ المادّة الأوّلية لجسم الإنسان هي التراب ، فالنطفة (أي المنيّ) تتكوّن في ظهر الرجل وكذلك السائل الذي يفرزه رحم المرأة ومن ثَمَّ تنعقد نطفة الجنين إنّما في حقيقتها من عصارة الأكلات والأطعمة والسوائل المائية التي أكلاها قبل ذلك ، وهذه الأكلات والأطعمة والأشربة من زراعة الأرض وذرّات الطين والمعادن الجوفية لهذه الكوكبة الترابية . وبالتالي فخلقة بدن الانسان تتحقّق جزيئاتها من ذرات التراب والعصارة الترابية في بدن الإنسان.

### ٣ ـ عالم الأصلاب:

قال الله الخالق الحكيم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[٢].

يخرج ماء المني من صلب الرجل وفقرات ظهره ليختلط مع ماء المرأة الذي يخرج من صدرها إلى رحمها وتسمّيه الآية (الترائب) فهما مختلفان ولكنّهما يمتزجان حتّى تسمّيهما الآية بلفظ المفرد (ماءٍ دافق) . وتعبّر عنه بلفظة الأمشاج في الآية الأُخرى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[٣]. وهي تعني اختلاف المصدرين[٤].

---

(١) الروم / ١٩ ـ ٢٠.

(٢) الطارق / ٥ ـ ٧.

(٣) الإنسان / ٥.

(٤) راجع تفسير الآية في كتب التفاسير.

**٤ ـ عالم الأرحام:**

قال الله الخالق الحكيم: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(٦).

رحم المرأة هو الإناء لمراحل خلقة الإنسان الحسّية وتكامل أعضائه المادّية وكذلك الجوانب الروحية والنفسية فيه أيضاً . أمّا المراحل البدنية والمادّية في خلقته فقد قال فيها ربّنا تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾(٧).

وأمّا الجوانب الروحية والنفسية فقد أكّدت الروايات عن النبي والأئمّة (صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين) أنّ الزوجين تلزمهما مؤهّلات ومواصفات خاصّة إذا أرادا طفلاً صالحاً ذكيّاً ناجحاً وسعيداً في حياته النفسية والروحية والعملية .

من تلك الروايات ما تحثّ على الزواج ممّن يُرتضى دينُه وخُلُقه ، وتحذّر بشدّة من الزواج مع شارب الخمر خاصّة ، فإنّه أُمّ الخبائث ومفتاح كلّ شرّ كما تقول الروايات .

وتفيد الروايات أنّ الصفات النفسية تنتقل إلى الجنين والطفل من الوالدين أيضاً . حتّى قال النبي ﷺ : « **أُنظر في أي شيء تضع**

---

(٥) راجع تفسير الآية في كتب التفاسير. (٦) آل عمران / ٦.

(٧) سورة الحج / ٥.

**ولــدك فإنّ العــرق دسّاس» .**

وهو ما أثبته العلم الحديث في قانون الوراثة وانتقال الجينات من الآباء إلى الأبناء والأحفاد .

ويشير إلى هذه الحقيقة المقطع الوارد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث يقرأ الزائر الموالي المحبّ : « أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمّات ثيابها » .

**٥ ـ عالم الدنيا :**

قال الله الخالق الحكيم : ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١].

عالَم الدنيا هي دارنا التي نتحدّث منها الآن ـ أنا أكتب وأنت تقرأ ـ دار يعرفها الكثيرون بالظاهر والإجمال ، ويعرفها المؤمنون الحقيقيون بالباطن والتفصيل .

ولكي نخطو خطوة مع القارئ العزيز لمعرفة مساحة أكبر من الحقائق التي تحيطنا في هذه المرحلة الخامسة من مراحل وجودنا ، أدعو نفسي والقارئ إلى مراجعة النصوص الكثيرة التي كشف من خلالها أئمّتنا الأطهار عليهم السلام حقيقة هذه الدنيا والهدف من وصولنا إليها

---

(١) الحجرات / ١٣.

وإلى أين المسير يكون بعدها . والإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة قد أبدع في خطبه العظيمة ما يشبع الغرض ويكمل القصد ممّا نحن بصدده ، فليراجعها القارئ الحريص على حسن عاقبته .

ونكتفي هنا بمقطع من إحدى خطبه عليه السلام :

**« الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ، وأرحام النساء الحرث كما قال الله تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ والنطفة كالبذر ، والولادة كالنبت ، وأيّام الشباب كالنشوء ، وأيّام الكهولة كالنضج، وأيّام الشيخوخة كاليبس والجفاف ، فبعد هذه الحالات لابدّ من الحصاد»**(١).

وخطب الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد بن معاوية ، فيها المضامين الرائعة في كشف حقيقة الدنيا حيث قال : **« أيّها الناس أحذّركم من الدنيا وما فيها ، فإنّها دار زوال وانتقال ، تنتقل بأهلها من حال إلى حال ، قد أفنتِ القرون الماضية والأُمم الخالية الذين كانوا أطول منكم أعماراً وأكثر منكم آثاراً ، أفنتْهم الدنيا فكأنّهم ما كانوا لها أهلاً ولا سكّاناً ،** (ثمّ قال عليه السلام :) **أفتطمعون بعدهم بالبقاء ؟! هيهات هيهات فتداركوا ما بقي من أعماركم بصالح الأعمال »**(٢).

---

(١) وصايا خالدة ص ٣٠، تأليف الشيخ فاضل الحيدري.

(٢) وصايا خالدة ص ١١ ـ ١٢ .

### ٦ / عالم البرزخ :

قال الله الخالق الحكيم :

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١).

تكشف هذه الآية الكريمة عن أنّ الجسم بعد دفنه في الثرىٰ تنتقل الروح إلى منطقة ما قبل الخروج ليوم القيامة ، تلك هي المنطقة الوسطىٰ بين الدنيا والآخرة وتسمّى البرزخ.

ذكر المحدّث الفيض الكاشاني ﷺ في كتابه الوافي : (البرزخ هو الحالة التي تكون بين الموت والبعث ويوم القيامة وهي مدّة مفارقة الروح من هذا البدن المحسوس إلى وقت العود إليه أعني زمان القبر ، ويكون الروح في هذه المدّة في بدنها المثالي الذي يرىٰ الإنسان نفسه في النوم ، وقال النبي ﷺ : « النوم أخ الموت » ، وقال ﷺ :

**« يابني عبدالمطّلب إنّ الرائد لا يُكذب أهله والذي بعثني بالحقّ تموتنّ كما تنامون وما بعد الموت دار إمّا إلى الجنّة أو النار »)(٢).**

ويدعم هذا المفهوم قوله عزّوجلّ : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(٣).

---

(١) سورة المؤمنون/ ١٠٠.

(٢) وصايا خالدة : ص٣٤.

(٣) سورة طه / ٥٥.

**٧ / عالم البعث والحشر :**

قال الله الخالق الحكيم : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(٢).

وقال رادّاً على المنكرين ليوم المعاد والعودة إلى الأبدان لحشرها كما نحن في الدنيا .. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

وفي الأحاديث نقرأ قول النبي الأكرم ﷺ : « **لا يؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة : حتّى يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّي رسول الله بُعثت بالحقّ ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت ، وحتّى يؤمن بالقدر** »(٤).

ونقرأ كلمة من أحاديث الإمام زين العابدين عليه السلام : « **عجباً كلّ العجب لمن أنكر الموت وهو يرىٰ مَن يموت كلّ يوم وليلة ، والعجب كلّ العجب لمن أنكر النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأُولى** »(٥).

---

(١) سورة الحج/ ٧.

(٢) يس / ٥٢.

(٣) يس / ٧٨.

(٤) وصايا خالدة : ص٤٧.

(٥) وصايا خالدة : ص٤٧.

### ٨ / عالم الخلود في الجنّة أو النار

قال الله الخالق الحكيم : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١).

قال الهروي قلت للإمام الرضا عليه السلام : يابن رسول الله أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال عليه السلام : نعم وإنّ رسول الله قد دخل الجنّة لمّا عُرج به إلى السماء ، فقلت له : فإنّ قوماً يقولون إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقين ، فقال عليه السلام : ما أُولئك منّا ولا نحن منهم، مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبي صلى الله عليه وآله وكذّبنا ، وليس من ولايتنا على شيء وخُلِّد في نار جهنّم ، قال الله تعالى : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾(٢)ـ(٣).

وعلى ضوء الآيات والروايات في هذه العقيدة من أُصولنا العقائدية الثابتة كتب الشيخ الصدوق رحمه الله في كتابه (العقائد) : (اعتقادنا في النار أنّها دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان ولا يخلد فيها إلّا أهل الكفر والشرك ، فأمّا المذنبون من أهل التوحيد فإنّهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم).

ويضيف «رحمه الله»: (اعتقادنا في الجنّة أنّها دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا حاجة ولا همّ ولا غمّ ولا فقر وأنّها دار الغنى ودار السعادة ودار

---

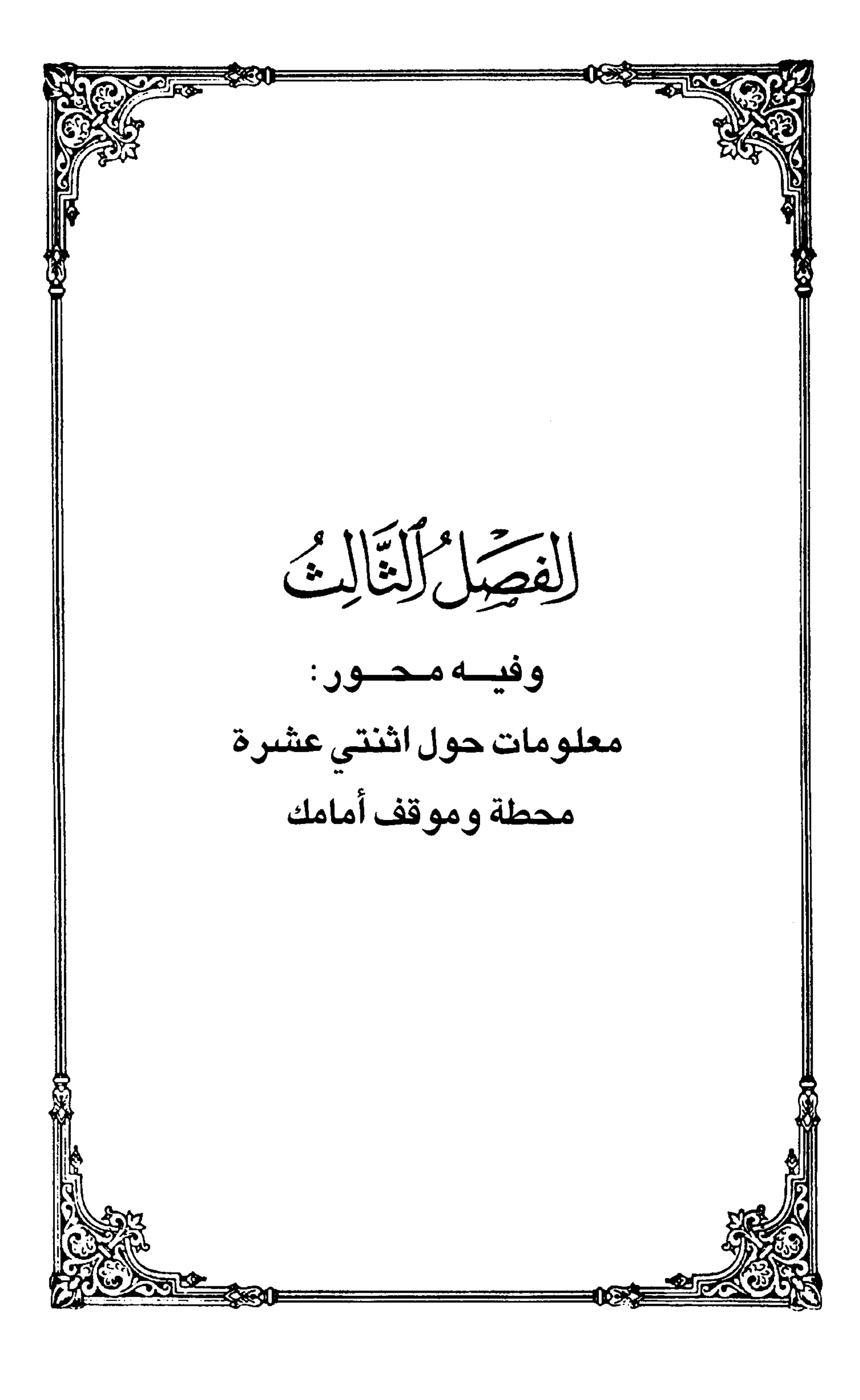
(١) هود / ١٠٨. (٢) الرحمن / ٤٣ ـ ٤٤.

(٣) وصايا خالدة : ص٥١.

المقامة ودار الكرامة وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون).

هذه خلاصة ما ينبغي لك الإطّلاع عليه فيما يرتبط بعوالم نـموّك على سلّم الوجود الإنساني وتكاملك في الحياة.

خُذْ هذه المعلومات وتابعْ معي لاستطلاع التفاصيل حول مـحلّك من الإعراب في هذه الحياة وموقعك الذي تخرج منه إلى غيره.



# الفصل الثالث

## وفيه محور:

## معلومات حول اثنتي عشرة محطة وموقف أمامك



## المحطة الأُولىٰ:

## عن الموت.. حقيقته وماورائيته

● ما هو الموت؟

قال بعض الفلاسفة أنّ النسبة بين الحياة والموت كالنسبة بين اللون الأبيض واللون الأسود ، فكلاهما أمران وجوديان ولكنّهما مختلفان الشكل والمظهر.

في حين قال بعض آخر منهم أنّ النسبة بينهما تشبه النسبة بين الموجب والسالب، فهما كالوجود والعدم .

وعرّفه العلم الحديث بأنه: «خروج الجسم الأثيري من الجسم المادي خروجاً لا رجعة بعده إليه، وذلك لانقطاع الحبل الأثيري الذي يصل ما بين الجسديْن، وفي هذه الحالة تحدث الولادة الجديدة للإنسان في العالَم الآخر».

ويقول آرثر فندلاوي: «إنَّ الإنسان مكوَّن من جسم ونفس وروح، فالجسم ما نراه، والنفس هي العقل، والروح هي الجسم الأثيري الذي يطابق في الشكل الجسم الفيزيقي (المادي) وهي التي تجعل هذا الجسم الفيزيقي يتماسك، وما الموت إلّا انفصال الجسم الأثيري عن الجسم المادي... ومن الجائز أن يكون لكل شيء في الوجود جسم أثيري... إنَّ أجسامنا إثنيْنة: فيزيقية تستطيع رؤيتها ولمسها، وأثيرية لا تستطيع أن تدركها أعضاؤنا الفيزيقية، وهذان الجسمان متداخلان... وبعد الموت حينما نخلع عنَّا الرداء البالي نقف في مأوانا الجديد بجسم أثيري...»(١).

ويقول علم الطب في تعريف حالة الموت: «إذا حكم على الجسم المادي بالتلف لسبب قسري، أو لمرض، أو لشيخوخة، فإنَّه يضعف عن إنتاج قوة الإشعاع التي تسبّب قوة الجذب المغناطيسية بين الجسديْن، وبالتالي يحدث الفراق بينهما ويحصل الموت»(٢).

ولعلمائنا الأجلّاء أمثال العلّامة المجلسي والشيخ البهائي والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء والفيض الكاشاني وأستاذنا الراحل السيّد عبد الأعلىٰ السبزواري والمرجع الفقيد السيد محمد الشيرازي وغيرهم (أعلى الله مقامهم) آراء متقاربة تلتقي مع هذا الرأي العلمي الحديث .. يسمّون الجسد الأثيري الجسد المثالي أحياناً والحيوي والهيولي والبرزخي أحياناً أخرىٰ .

---

(١) علىٰ حافة العالم الأثيري / ص٢٥. (٢) معنى الحياة والموت / ص١٢.

وهذا هو المستفاد من الآيات القرآنية وأقوال النبي ﷺ وعترته الهادية عليهم السلام حيث عرّفوا الموت بأنه حياة بثوب آخر ، أي إنّ الإنسان ينتقل من نشئة الدنيا إلى نشئة البرزخ ، وكأنّ الروح تخلع ثيابها الأوّل وتلبس ثياباً آخر إلى يوم النشور، إذ يخلق الله لها حينذاك جسداً من ذات النسيج الجسماني الأوّل بأجزاء من طينته ، فإذا كانت الحياة هنا عبارة عن تعلّق الروح بالجسم ، فالموت يعني تعلّقها ببدن مثالي آخر ، لا نعرف نوع هذا البدن طبعاً إلّا إذا ارتفعت عنّا السدود المضروبة بين عالمنا وعالم ما بعد الموت ولربما لا نعرفه حتى بعد ذلك. قال ربنا تعالى: **﴿وَمَا أوتيتُم مِنَ العِلمِ إلّا قَليلاً﴾**(١).

ويؤيّد هذه النظرية الإسلامية:

أوّلاً : من القرآن الكريم قوله تعالى : **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾**(٢) . فالموت مخلوق الله والمخلوق أمر وجودي وليس شيئاً عدميّاً.

وكذلك قوله تعالى : **﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾**(٣) والوفاة تعبير عن الأخذ بالقوّة أي الإنتزاع بإكراه . وهي الحالة التي يعيشها الإنسان عند حشرجة الموت وخروج الروح ، إذ يكره مفارقة الدنيا والانقطاع عمّا تعوّد عليه ، ولكن الله ينتزع منه ما نفخه فيه من روحه وإذا به ينتقل إلى فضاء غير ما تعوّد عليه فينفتح بصره على أشياء ليست من جنس الدنيا. وهذه حقيقة وجودية.

يصف الله سبحانه هذه الساعة الصعبة على الإنسان قائلاً : **﴿فَكَشَفْنَا**

---

(١) سورة الاسراء / ٨٥.
(٢) سورة الملك / ٢.
(٣) سورة الزمر/ ٤٢.

**عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**[(١)] **﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[(٢)].

آيات أخرىٰ من هذه السورة تفيد أنّ الموت خلقة جديدة ونشئة للإنسان في قالب آخر ، مثلاً قوله عزّوجلّ في أسلوب التحدّي للذين ينكرون الآخرة : **﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾**[(٣)].

**ثانياً** : من الأحاديث الشريفة ، وهي كثيرة كما تجد بعضها في هذا الكتاب، ومنها ما رواه قيس بن عاصم قائلاً : وفدتُ مع جماعة من بني تميم على النبي ﷺ فدخلت عليه وعنده الصلصال بن الدلهمس ، فقلت : يانبي الله عِظْنا موعظة ننتفع بها فإنّا قوم نغير في البرية .

فقال رسول الله ﷺ : «**ياقيس إنّ مع العزّ ذلاً ، وإنّ مع الحياة موتاً ، وإنّ مع الدنيا آخرة ، وإنّ لكل شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً ، وإنّ لكلّ أجل كتاباً ، وإنّه لابدّ لك ياقيس مِن قرين يُدفَن معك وهو حيّ وتُدفَن معه وأنت ميّت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك ، ثم لا يُحشَر إلاّ معك ولا تُحشَر إلاّ معه ، ولا تُسأَل إلاّ عنه ، فلا تجعله إلاّ**

---

(١) سورة ق / ٢٢.
(٢) سورة الواقعة / ٨٣ـ٨٧.
(٣) سورة الواقعة / ٥٧ـ٦٥.

**صالحاً ، فإنّه إن صَلُح أنستَ به ، وإن فَسَدَ لا تستوحش إلّا منه ، وهو فِعلُك ».**

فقال : يانبي الله أُحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب وندّخره .

فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسّان . فاستبان لي القول قبل مجيء حسّان فقلت : يارسول الله قد حضرني أبيات أحسبها توافق ما تريد، فقلت شعراً :

تخيّر خليطاً من فِعالِكَ إنّما
قَرينُ الفتى في القبر ما كان يَفعلُ
ولابدّ بعد الموت من أن تُعدّه
ليوم يُنادىٰ المرءُ فيه فَيَقبِلُ
فإن تَكُ مشغولاً بشيء فلا تكُن
بغير الذي يرضى به الله تَشْغَلُ
فَلَن يَصحَب الإنسانَ من بعد موته
ومِن قَبلِه إلّا الذي كان يَعمل[1]

وكذلك جاء عن الإمام علي عليه السلام قوله : « **الموت مفارقة دار الفناء وارتحال إلى دار البقاء** »[2]. ممّا يثبت النظرية المذكورة ، أي أن الموت إنتقال للانسان في شكل آخر.

---

(١) أمالي الصدوق : المجلس الأول ص٢ـ٣، معاني الأخبار : ص٢٣٣. وفيها زيادة :
ألا إنّما الإنسان ضيفٌ لأهله يُقيمُ قليلاً بينهم ثمّ يَرحلُ

(٢) غرر الحكم / ص٥٤.

وصريح القول ورد عن الامام الباقر عليه السلام: **«الحياة والموت خلقان من خلق الله، فإذا جاء الموت فدخل في الإنسان لم يدخل في شيء إلّا وخرجت منه الحياة»**(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: **«الإنسان خُلق من شأن الدنيا وشأن الآخرة فإذا جُمع بينهما صارت حياته في الأرض لأنَّه نزل من شأن السماء إلى الدنيا، فإذا فرَّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت تُردُّ شأن الأخرى إلى السماء، وذلك أنَّه يُفرّق بين الأرواح والجسد، فرُدَّت الروح والنور إلى القُدس الأولىٰ، وتُرِك الجسد لأنَّه من شأن الدنيا فيصير رُفاتاً ويُبلىٰ...»**(٢).

**ثالثاً**: رؤية الأموات في المنام، وقد تواترت عن الصادقين أخبار الأحلام الصادقة ممّا تكشف عن وجود حقائق بعد الموت والدفن. حتى ورد في الأحاديث وجرّبها المؤمنون أنه من أراد رؤية أحد الأنبياء عليهم السلام أو الأئمة عليهم السلام أو الناس أو الوالدين في نومه فليقرأ سورة «الشمس» و «الليل» و «القدر» و «الجحد» و «الإخلاص» و «المعوذتين» ثم يقرأ «الإخلاص» مائة مرّة، ثم يصلِّ على محمّد وآل محمّد مائة مرة، وينام على الجانب الأيمن تجاه القبلة على وضوئه فإنهَّ يرىٰ مَن يريد إن شاء الله تعالى ويكلّمه بما يريد من سؤال وجواب(٣).

**رابعاً**: حثّ الإسلام على التعامل مع جنازة الميت في جميع

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٣٧٩. (٢) بحار الأنوار / ج٣ ص١٢٤.

(٣) دار السلام / ج٣ ص١٨.

المراحل المنتهية إلى الدفن تعاملاً يُشعِرنا بحقائق ثابتة لا يدانيها مفهوم العدم والانتهاء . وكذلك يدعم هذه النظرية حثّ الاسلام على فعل الخيرات للميّت وأنّ ذلك يصله في صورة الأجر والثواب وتفرح روحه كما كان يفرح بالهدية في هذه الحياة .

**خامساً**: ماورد من الأحاديث التي توصف لنا أقوال المؤمنين في البرزخ. مثلاً عن أبي بصير أنّه قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: «**في الجنة على صورة أبدانهم لو رأيتَه لقلتَ فلان**»(١).

فهذه الأدلة الخمسة و ما ذكرناه سابقاً من شواهد العلم الحديث تدل بما لايدع للشك سبيلاً في أن الموت و جود آخر و في عالم آخر، و هو الوجود الأطول من وجودك في عالم الدنيا.

وهكذا كان عليك أن تعلم بأنّ نصيبك من الموت أكثر من نصيبك من الحياة فأنت فيها تعيش محدوداً، وأمّا موتك فهو بطول عالَم الأبدية.

إذن فأُشدد عزمك بالعقيدة الصادقة والأعمال الصالحة ثم لا تخف إلّا من نفسك الأمّارة بالسوء ، إحذر منها وأنت قد جعلتَ الموت نصب عينيك، والآيات والأحاديث منقوشةً بين يديك. هذا إذا أردت أن تعيش في سعادة غير محدودة.

أجل.. فنحن جميعاً ـ مؤمنون و غير مؤمنين ـ محاصرون

---

(١) الأربعون / ص٢٦٧ للشيخ البهائي.

بالموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(١) ولا نستطيع الهروب: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾(٢) ولانعلم متى واين وكيف نموت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٣) هذا هو الواقع والحقيقة.

- **كيف نموت ؟ وما هو المطلوب ؟**

سبقت الإشارة إلى الإجابة طبّياً واسلامياً، وهنا نقصدها دينيّاً من جهة الحدوث، فنقول :

تختلف طريقة الموت حسب مؤشّراتنا الإيمانية ودرجة تقوانا وعملنا الصالح ، فيكون الموت سرور وراحة مع تلك المؤشّرات ، وعند ضعفها أو عدمها يكون الموت عذاب وبداية مأساة وألم وعناء.

نستطيع تقريب هذه الفكرة إلى ذهنك أيّها القارئ العزيز من خلال الأحلام التي يراها الإنسان في منامه ، فإنّه تارةً يرى نفسه في حديقة خضراء مبتهجاً يمرح و يلتذ ، حتّى يتمنّى لو لم ينتبه من نومه . وتارةً قد يرى نفسه في كابوس وملاحقة أو يرى وحوشاً تنهش من جسمه أو يكاد يسقط من شاهق ، وإذا به يفزع من النوم وينهض جالساً يستعيد أنفاسه ويشرب كأساً من الماء ولا ينام مرة ثانية خوفاً من عودة ذلك الكابوس المرعب!.

مَثَل الاول تكون روح الميّت المؤمن، ومَثَل الثاني تكون روح

---

(١) سورة العنكبوت / ٥٧. (٢) سورة النساء / ٧٨.

(٣) سورة لقمان / ٣٤.

الميّت غير المؤمن مع فارق الاستمرار على الحال في الموت، و عدمه في النوم.

يقول القرآن الكريم عن موت الإنسان المؤمن وصاحب الأخلاق والتقوى والسلوك الحسن : **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[1].

ويقول عن موت الإنسان الفاسد وصاحب السلوك الظالم بحقّ نفسه والناس : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**[2].

وعن مولانا الإمام محمّد الجواد عليه السلام أنه قال : « **قيل للإمام الصادق عليه السلام : صِفْ لنا الموت . قال : للمؤمن كأطيب ريح يشمّه ، فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه ، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشدّ ...** »[3].

أجل.. فإذا كان الموت هذا ونحن من اللاحقين بمن سبقونا من غير شك، إذن من الحريّ بنا الإصغاء للوصية التي أتتنا من إمام الذاكرين علي أميرَ المؤمنين عليه السلام : « **أوصيكم أيّها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم ونعمائه عليكم ، وبلائه لديكم . فكم خصّكم بنعمة ، وتدارككم برحمة ! أعورتم له فستركم ، وتعرّضتم لأخذه فأمهلكم!**

**وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه . وكيف غفلتكم عمّا ليس**

(١) سورة يونس / ٦٣ ـ ٦٤. (٢) سورة الأنعام / ٩٣.

(٣) معاني الأخبار / ص٢٨٧.

يغفلكم ، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم ! فكفىٰ واعظاً بموتىٰ عاينتموهم ، حُمِلوا إلى قبورهم غير راكبين ، وأُنزِلوا فيها غير نازلين ، فكأنّهم لَم يكونوا للدنيا عمّاراً ، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً . أوحشوا ما كانوا يوطنون ، وأوطنوا ما كانوا يوحشون ، واشتغلوا بما فارقوا ، وأضاعوا ما إليه انتقلوا . لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً ، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً . أَنَسُوا بالدنيا فغرّتْهم ، ووثقوا بها فصرعتْهم »(١).

وجدير بنا أن نتفكر في دعاء للإمام زين العابدين عليه‌السلام : « اللهمّ صلّ على محمّد وآله ... وانصِبِ الموت بين أيدينا نصباً ، ولا تجعل ذِكْرَنا له غِبّاً، واجعَلْ لنا مِن صالح الأعمال عملاً نستبطئُ معه المصير إليك ، ونحرص له على وشك اللحاق بك ، حتّى يكون الموت مأْنَسَنا الذي نأنس به ، ومأْلَفَنا الذي نشتاق إليه ، وحامَّتنا التي نحبّ الدنو منها ، فإذا أوردتَه علينا وأنزلَته بنا فأسِعدنا به زائراً ، وآنسْنا به قادماً ، ولا تُشقِنا بضيافته ، ولا تُخزِنا بزيارته ، واجعله باباً من أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أمِتْنا مهتدين غير ضالّين ، طائعين غير مستكرهين ، تائبين غير عاصين ولا مصرّين » .

وبهذه المعلومات يمكننا أن نصنع لأنفسنا موتاً هنيئاً وسفراً سعيداً وقبراً مِلؤه النور والرياحين، كما يمكننا العكس ـ نعوذ بالله ـ

ذلك لأنّ الإنسان بإرادته يختار طريقة موته ، إن أرادها لعنةً أو أرادها تحفة . هذا ما تستلهمه أيّها الحريص علىٰ سعادتك من خلال

---

(١) نهج البلاغة / خطبة ١٨٨ .

الأحاديث النبويّة التالية وغيرها : « **تحفة المؤمن الموت**»[١]. و : « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا** »[٢]. و : « **عجبتُ لمن نسي الموت وهو يرىٰ من يموت** »[٣]. و : « **مَن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير**»[٤]. و : « **ليس بيننا وبين الجنّة أو النار إلّا الموت** »[٥].

كما وجاء عن الإمام الباقر ﷺ أنّه قال : « **إذا بلغ الرجل أربعين سنة نادىٰ منادٍ من السماء قد دنىٰ الرحيل فأعدّ الزاد** »[٦].

و هكذا فإن الإستعداد لموتٍ في عزٍّ وراحة هو المطلوب.

## المحطّة الثانية :
## عن الوصيّة والتهيّىء

قامت سيرة العقلاء على أن يوصوا أحبتهم عندما يريدون السفر ، وذلك انطلاقاً من حبّهم للخير واستمراره في اللاحقين والتواصل مع مبادئ التكامل والوفاء للحقّ الذي هو جوهر الحياة.

وهذا ما حث عليه الشرع الاسلامي وبيّن له تعاليم وآداباً حميدة.

وعلى مستوى الرؤساء والملوك والقادة تراهم لمّا يغادروا البلاد يعيّنون من ينوب عنهم تاركين لهم وصاياهم ويطالبونهم بأُمور يقومون بها فترة سفرهم وغيابهم، ويبلغوا ذلك إلىٰ الناس ومن يهمّهم

---

(١) بحار الأنوار / ج٨٢ ص١٧١.
(٢) مجموعة ورّام / ج١ ص١٥٠.
(٣) نفس المصدر / ص٤٩٣.
(٤) بحار الأنوار / ج٨٢ ص١٨١.
(٥) نفس المصدر / ج٨٢ ص١٧١.
(٦) مشكاة الأنوار / ص١٧٠.

الامر. ومنه جاءت وصيّة النبيﷺ لأُمّته في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام ووصيته ﷺ لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام بفدك. ووصيّته ﷺ بالمودّة لذي القربىٰ من بعده كأقلّ أجر يجدر بالأُمّة أن تقدّمه إليهﷺ جزاءً على أتعابه وإحسانه في هدايتهم إلى الدين وإنقاذهم من الضلالة والجاهلية.

فهذه أُمور عقلائية وانسانية، ووردت في كتب المسلمين أحاديث صحيحة متواترة تدلّ عليها، وكان الأئمة من أهل بيت النبيﷺ يوصون أبناءهم وأصحابهم وأقاربهم بالخير والتقوىٰ والصبر والاستقامة وما يريدونه من خيرات وتحديدات مالية أو مواقف سياسية وما يرتبط بمشروع الامامة الكبرىٰ. وكان ذلك منهم سُنّة حسنة.

يقول النبي ﷺ: **«ما ينبغي لامرءٍ مسلمٍ أن يبيت ليلةً إلّا ووصيّته تحت رأسه »**(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام : **« الوصيّة حقٌّ وقد أوصىٰ رسول اللهﷺ فينبغي للمؤمن أن يوصي »**(٢).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام : **« الوصيّة حقٌّ على كلّ مسلم »** .

ويقول أيضاً : **« مَن هيّئ كفنه لم يُكتَب من الغافلين ، وكلّما نظر إليه كُتِبتْ له حسنة»**(٣).

وعلى ضوء ذلك أفتى فقهاؤنا الأجلاء أنّه: تُستحبّ الوصية بما

(١) روضة الواعظين / ج٢ ص٤٨٢ .
(٢) روضة المتّقين / ج١١ ص١٥ .
(٣) روضة الواعظين / ج٢ ص٤٨٢ .

فاته من العبادات كالصلاة والصوم والحجّ ولو احتياطاً. وأن يوصِي بالخيرات للمؤمنين والأفضل للفقراء من الأقارب وذلك من ثلث أمواله ثم يُقسَّم ثلثاه على الورثة قسمةً شرعية، وأن لايظلم أحداً منهم بالتمييز والتفاوت ممّا يسبّب النزاع والحسد والكدر في قلوب الورثة.

وقالوا يستحب أن ينصب وصيّاً عادلاً لتنفيذ بنود الوصيّة والإشراف على أدائها الصحيح ، وأن يقرأ في حضور المؤمنين عقائده الحقّة من التوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد ، والأجدر كتابة الوصية والاستشهاد عليها بعدول المؤمنين[١].

وهذا ما قاله الله تعالى في محكم كتابه الكريم : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢].

ومن المؤسف ما نسمعه عن موت أشخاص (وحتى المؤمنين) من دون وصية، وهذه ظاهرة تدل على انشغالهم الشديد بأُمور الحياة هنا وغفلتهم عن الموت غالباً، ولا يليق بالمؤمن أن يترك في أذهان معارفه وأقاربه هذه الصورة المذمومة من التهاون في كتابة الوصية وإن كانت مستحبّة غير واجبة ، ولما نقول لا يليق به فلأن المؤمن يعيش الاستعداد للموت، ومن الاستعداد كتابة تصوراته لمن يثق فيه

---

(١) راجع تفصيل ذلك كتب الفقه.

(٢) سورة البقرة / ١٨٠ ـ ١٨١ .

لتنفيذها من بعده مما لم يستطع تحقيقه في حياته الدنيوية .

وفي هذا المعنى ولنبذ الغفلة يقول أحد العلماء الأجلّاء : صحيح أنّ الشمس تشرق كل يوم ولكن مَن يضمن لك أن تكون أنت شاهداً لشروقه غداً[1] ؟!

إذن فما دمتَ لا تعلم متى تموت ، وأين ينقطع اتّصالك بهذه الحياة فلا ترىٰ حينها أهلك وممتلكاتك وأشياءك فإنّه حريّ بك أن تهيّئ كفنك ، وتكتُب وصيّتك ، وتطلب براءة الذمّة من أهلك وأصدقائك وجيرانك ، وتردّ ما أخذت من الناس حقوقهم ، ثمّ تسدّد طريقك على جادّة الخير والصلاح ولا تفكّر في الشرّ ولا تقرب الفساد بعد ذلك . ثمّ قارِنْ بين حالتك هذه وقبلها لتجد كم أنّ موقعك من الحقّ قريب ، هنالك ستذوق حلاوة الإيمان في الحياة وراحتك بعدها ، وحينئذ تأكّد أنّك لن تخاف إذا اهتزّت الطائرة في المطبّات الهوائية، ولن تخاف البحر إذا هاج بأمواجه العاتية! ولن يرعبك تهديد المفسدين في الأرض، ولن تضطرب حين قضاء الله وقدره إذا مرضتَ أو أشرفتَ على الرحيل الأبدي من الدنيا.

وبناءً عليه فمَن يكتب وصيّته ، ويهيّئ كفنه ، ويفكّر في سفر الآخرة ، ويستعدّ له ويعمل الخير ، فإنّه يُكتَب في السماء ذاكِر الله وليس بغافلٍ عن السير اليه عزوجل، ذلك هو قول القرآن الكريم: **﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[2].

---

(١) من كلمات آية الله السيّد هادي المدرّسي (حفظه الله) .

(٢) سورة الرعد/ ٢٨.

والآن فهل قرّرتَ قرارك في الوصية الصالحة؟

واذا قرّرتَ فكّر في أجمل الوصايا المعنوية ، لأنها تكشف عن عمقك الفكري وصلاحك الروحي. واحذر في الوصايا المالية من تبذير أموالك في مشاريع ليس وراؤها نفع كبير، مثلاً أن توصي ببناء (مسجد) في منطقةٍ مكتضّة بالمساجد، أو توصي ببناء مأتم إلى جانب مأتمٍ قريب ، أو تطبع كتباً تكرارية المواضيع والأساليب . حاوِلْ أن تبتكر مشاريع اكثر نفعاً في المجالات الفكرية والعلمية والاستثمارية للفقراء والأيتام مثلاً وما تدرّ من الريع باستمرار علىٰ الاسلام والمسلمين.

اذن فلتكن وصيتك في أموالك تؤسس للأجيال ما يؤهلها للقيام بدور حضاري في الأمة. فليست الوصية في الخير منحصرة في الأمور التي يعرفها الناس الظاهريّون !

تأمل في الأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام) والتي تنص أنّ عمل المرء ينقطع إذا مات إلّا من ثلاث، هي (الصدقة الجارية والولد الصالح وعلم ينتفع به)، فأما الصدقة الجارية فالمؤسسات، وما المساجد والمآتم إلّا بعضها. وأما الولد الصالح حيث يكون خلوقاً وبشوشاً وخدوماً، فانه يعمل بالخيرات في المجتمع وينشر المعروف فيصب بذلك في حساب والده الذي أحسن تربيته، فيكون سبباً لدفع العذاب عنه من ناحية وأن يذكره الناس بالخير ويترحّمون عليه بما يرونه من ولده الصالح من خيرٍ وصلاح. ففي القرآن جاء عن الذين لا يهتمّون بتربية

أولادهم ﴿فَخلف مِن بَعدهم خَلَف أضَاعُوا الصَّلاة واتّبعوا الشّهوات﴾(١)

وروىٰ إمامنا الصادق عليه السلام عن آبائه: **قال: قال: رسـول الله صلى الله عليه وآله مـرّ عيسى بن مريم٧ بقبر يعذّب صاحبه، ثم مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذّب، ثـم مررت به العـام فإذا هو لـيس يعذّب؟ فأوحىٰ الله عزّ وجلّ إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً وآوىٰ يتيماً فـغفرت له بـما عمل ابنه**(٢).

والثالث هو العلم الذي ينتفع به الناس، فالعالم الصـالح ومـؤلفاته القيّمة وما تسطّره بنانه علىٰ الورق وينشره بين الناس، ومحاضراتـه الصوتية كذلك، يكون خالداً بالعطاء المستمر للاجيال التي تستفيد من علمه وإرشاده ومعلوماته ونصائحه، فيوجب ذلك الدعاء له والترحّم عليه.

فهذا وذاك كلّه من الوصايا المحمودة التي لا ينبغي التهاون فـيها. فبشرىٰ لمن يستفيد من عمره وماله وولده لجـنّته الدائـمة وراحـته الابديّة في عالَم ما بعد الموت.

يقول الامام علي عليه السلام: **«إنّ للمرء المسلم ثلاثة أخلّاء (أي أصـدقاء): فخليلٌ يقول له أنا معك حيّاً وميّتاً وهو علمه. وخليلٌ يقول له أنا معك حتىٰ تموت وهو ماله. وخليل يقول له أنا معك الىٰ باب قبرك ثمّ أخلّيك وهو ولده»**(٣)

---

(١) سورة مريم / ٥٩.

(٢) بحار الأنوار / ج٦ ص ٢٢٠.

(٣) بحار الانوار / ج٨٢ ص ١٧٤.

## المحطّة الثالثة:
# عن ساعة الاحتضار ونزع الرُّوح من البَدن

إنّ إحتضار الإنسان للموت (والذي يسمّى أيضاً بالسكرات) حالة ما أصعبها وقد تطول وقد لا تطول ، أعاننا الله واياكم عليها وثبّتنا فيها بالقول الثابت والاعتقاد الراسخ بكل ما جاء به نبيّنا محمّدﷺ .

قال الله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(١).

فلن تستطيع الآن أن تحيد وتهرب، إن الموت قابض عليك وليس من مفرّ أمام سيطرته . والسؤال هنا كيف تكون حالتك حين الاحتضار وخروج الروح ؟

هذا ما نحاول أن نبيّنه لك من خلال المفهوم القرآني والأحاديث الواردة في هذه المحطّة.

يقول الله عزّ وجل ﴿فَلَوْلَا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُوم﴾(٢) يعني حينما تبدأ الروح تخرج تدريجياً من أسفل القدمين حتى تصل الى الحلقوم ، هنا ينتهي عمر الانسان الدنيوي ويبدأ عمره البرزخي الجديد. والقرآن يصوّر هذه الساعة تحديداً بهذه الكلمات ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ

---

(١) سورة ق / ١٩.

(٢) سورة الواقعة / ٨٣.

**الْمَسَاقُ﴾**[(١)].

وجاء في الحديث أنّ ملك الموت قال للرسول ﷺ: **«يا محمّد إنّي أقبض الروح أولاً من الرجلين ثم العروق والعصب والعظام والدم واللحم، فإذا بلغت إلى الحلقوم تمزّقت أعضاؤه كلها..»**[(٢)].

فهذه الحالة تعني إغلاق حواسّك كلّها والإنفتاح علىٰ عالَم قد يُخيفك، سيّما إن لم تكن قد أعددتَ نفسك له بالمعلومات الصحيحة والأعمال الصالحة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم. ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا»**[(٣)].

فمن ساعة الاحتضار تنتهي مرحلتك من الدنيا فتبدأ مراحلك الأُخروية وهنا يُختَم على جسمك بختم النهاية، ولقد انتهىٰ مفعولك، ومنه عليك أن تلاقي نتائج أعمالك، قال ربّنا الكريم : **﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[(٤)].

وتوحي كلمة (وهو مؤمن) إلى أنّك عندما تعمل أي عمل صالح انتبه لقصدك ونيّتك فلا تكن لغير الله فأنت بعد أن آمنتَ به عزّوجلّ

---

(١) سورة القيامة / ٢٦ ـ ٣٠.

(٢) الإسراء والمعراج / ص٢٦ وهذه الكلمة الأخيرة من الحديث تدلّ على أنّ الروح في الجسد كانت تربط بين أعضائه، وبخروجها ينفكّ الارتباط . وهذا ما أثبته العلم الحديث كما سبق بحثه.

(٣) نهج البلاغة / الخطبة ٢٠.

(٤) سورة غافر / ٤٠.

وكفرتَ بكلّ ما سواه ، فإنّك بنيّة الرياء والتظاهر سوف لن تجد أجراً لعملك في ذلك اليوم الآخر. إعلم هذا قبل أن تأتي إلى صحيفة عملك فتجدها هباءً منثوراً فتندم علىٰ فوات الفرص عليك في الدنيا وتتحسّر علىٰ أتعابك التي لم تكن لله تعالىٰ، فيأتيك النداء الذي ورد عن النبي الأكرم ﷺ وأنت تتألم: « **إنّ المرائي يُدعىٰ به يوم القيامة بأربعة أسماء : ياكافر ! يافاجر ! ياغادر ! ياخاسر ! حَبط عملك ، وبطل أجرك ولا خلاق لك اليوم ، فالتمس أجرك ممّن كنتَ تعمل له** »[١].

**● تصوير الحالة**

نعود إلى بحث الاحتضار فقد صوّر لنا أمير المؤمنين علي عليه السلام حالتنا في ساعة الموت بهذه الصورة من الحال وليس بلسان القال : « **إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله . فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك ؟ فيقول : خذ منّي كفنك . قال : فيلتفت إلى ولده فيقول : والله إنّي كنتُ لكم محبّاً وإنّي كنتُ عليكم محامياً فمالي عندكم ؟ فيقولون : نؤدّيك إلى حفرتك فنواريك فيها . قال : فيلتفت إلى عمله فيقول : والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإن كنتَ عليّ لثقيلاً فما عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أُعرَض أنا وأنت على ربّك.**

**قال** ـ أي الإمام علي عليه السلام ـ: **فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب الناس ريحاً**

---

(١) بحار الأنوار : ج٧٢ ص٢٩٥.

وأحبّهم منظراً وأحسنهم رياشاً ، فقال : أبشِرْ برَوْح وريْحان وجنّة نعيم ومَقْدَمُك خير مَقْدَم . فيقول له : مَن أنت ؟ فيقول : أنا عملُك الصالح إرتحل مِن الدنيا إلى الجنّة . وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجّله . فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارَهما ويخدّان الأرض بأقدامهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فيقولان له : مَن ربّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟ فيقول : الله ربّي ، وديني الإسلام ، ونبييّ محمّد ﷺ .

فيقولان : ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى . وهو قول الله عزّوجلّ : ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ . ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره ، ثم يفتحان له باباً إلى الجنّة ، ثم يقولان : نم قرير العين نوم الشاب الناعم ، فإنّ الله عزّوجلّ يقول : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ .

قال ـ أي الإمام علي عليه السلام ـ : وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح مَن خَلَقَ الله زيّاً وأنتنه ريحاً ، فيقول [ له ] : أبشِرْ بِنُزُلٍ من حميم وتصليةِ جحيم . وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه .

فإذا دخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا [ عنه ] أكفانه . ثم يقولان له : مَن ربّك؟ وما دينك ؟ ومَن نبيّك ؟ فيقول : لا أدري .

فيقولان : لا دريتَ ولا هُديتَ ، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربةً ما خَلَقَ الله عزّوجلّ مِن دابة إلاّ تَذعُر لها ما خلا الثقلين . ثمّ يفتحان له باباً إلى النار ، ثمّ يقولان له : نم بشرِّ حال . ويسلّط الله عليه

**حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره»**[1].

فياأيّها القارئ العزيز : إجمع قِواك وركّز، لتضعْ سعيك في طريقٍ تختم به حياتك بالإيمان الخالص والعمل الصالح حقاً وصدقاً ، فإنّك إن نجحت في هذا الأمر فسترى ساعة الاحتضار وبعده ما يسرّك سروراً وفرحاً يغبطك عليه الغافلون ومعاشر التظاهر والرياء و(الفخفخة) والتفاخر. فقد نقل الإمام الصادق ﷺ عن جدّه ﷺ قوله : « **من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قيل يارسول الله إنّا لنكره الموت ، فقال ﷺ: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحبّ إليه ممّا أمامه فأحبّ لقاء الله وأحبّ الله لقاءه»** .

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنّه رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي ﷺ : « **ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن،** فقال : أبشر يامحمّد فإنّي بكل مؤمن رفيق » .

واعطيك أخي المؤمن العزيز معلومة تسرّك هنا..

يقول الراوي سمعت الإمام الصادق ﷺ يقول: «إنَّ الرجل إذا وقعت نفسه في صدره يرىٰ؟

قلتُ: جُعِلتُ فداك وما يرىٰ؟

قال: يرى رسول الله ﷺ فيقول له رسول الله: **أنا رسول الله أبشر،** ثم قال: ثم يرىٰ علي بن أبي طالب ﷺ فيقول: **أنا علي بن أبي طالب الذي كنتَ تحب، أما لأنفعنّك اليوم.**

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٣١ ـ ٢٣٣ ح١.

قال: قلت له: أيكون أحد من الناس يرى هذا ثم يرجع إلى الدنيا؟

**قال: لا، إذا رأى هذا أبداً مات وأعظم ذلك، قال: وذلك في القرآن قول الله عزَّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ ءامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرىٰ فِي الحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾**»[١].

وعن سُدَيْر الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك يابن رسول الله هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: **لا، إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا وليّ الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً بالحق نبيّاً لأنّا أبرّ بك وأشفق عليك من الوالد البرّ الرحيم بولده ، إفتح عينيك وانظر، قال: فيمثّل له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام فيقول: هؤلاء رفقاؤك فيفتح عينيه وينظر إليهم ثم ينادي بنفسه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنّة ـ إلىٰ النبيّ محمّد وأهل بيته ـ ارْجِعِي إلىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيّة ـ بالولاية لهم والثواب ـ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ـ يعني أهل الجنّة، وهنالك ـ﴾ فما من شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي**»[٢].

وبناءً عليه يشاهد المحتضر ملك الموت، فان كان المحتضر انساناً مؤمناً شاهده بصورة جميلة، وان كان فاسقاً شاهده بصورة مرعبة، ذلك ما نقرؤه في الرواية التالية:

«أنّ النبي إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت: يا ملك الموت أحبّ أن أراك على الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن فقال: يا إبراهيم

(١) الإمام علي عليه السلام مَن حُبّه عنوان الصحيفة / ص٣٣١.

(٢) نفس المصدر / ص٣٣٣.

أعرض عني بوجهك حتى أتصور على تلك الصورة، فلمَّا رآه إبراهيم رأى صورة شاب حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار في أحسن ما يتخيل من الهيئة فقال: يا إبراهيم في هـذه الصـورة أقـبض روح المؤمن، فقال: يا ملك الموت لو لم يلقَ المؤمن إلّا لقاؤك لكفاه راحة .

ثم قال له: أريد أن أراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر فقال: يا إبراهيم لا تقدر !

فقال: أحبّ ذلك . فأعرض بوجهه ثم قال: انظر فنظر إليه فإذا هو أسود كالليل المظلم وقامته كالنخلة الطويلة والنار والدخان يجريان من منخريه إلى عنان السماء ، فلما نظر إليه غُشِيَ على إبراهـيم عليه السلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلمَّا أفاق إبراهيم عليه السلام **قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هـول من الموت إلّا رؤيتك لكفته عن سائر الأهـوال»**[1].

ولكن يا أخي العزيز ـ كما قلنا ـ إنّك مع الإلتزام بصالح الأعمال وما نذكره لاحقاً ستسهل عليك هذه المرحلة العسيرة إن شـاء الله . وإنّه لابدّ منه في مواجهة وساوس الشيطان الذي يستغل كـل ثـغرة عقائدية أو أخلاقية إذا كانت فيك ـ لا سمح الله ـ . لذا على الإنسان أن ينقّي فكره وعقائده وللتأكّد والاستيقان وليطمئن قـلبه بـالإيمان يقوم بعرضها على مرجعه أو العالم الربّاني كما عرض الوليّ الصالح السيّد عبدالعظيم الحسني عقائده على إمام زمانه الإمام الهادي عليه السلام.

وعلى الإنسان بعد ذلك أن يحسّن أخلاقه ويصلح بواطنه ليمنع الشيطان من الإيحاء إليه في ساعة الموت.

---

(١) الأنوار النعمانية/ج ٤ ص ٢١٤ تأليف السيّد الجزائري.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: **«ما من أحد يحضره الموت إلّا وكّل به إبليس من شياطينه مَن يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتى تخرج نفسه ، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله حتى يموتوا»**(١).

## ● المراحل الأخيرة من إنقطاع الأنفاس

ولكي تعرف حالك في هذه الساعة ويقوىٰ فيك دافع العمل الصالح ما دُمْتَ في الدنيا إقرأ معي ما صوّره لنا أمير الأتقياء وسيّد البلغاء الإمام علي عليه السلام من المراحل الستّة الأخيرة من الموت وانقطاع الأنفاس عند محبّي الدنيا، قال عليه السلام: **« إجتمعتْ عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ، ففترتْ لها أطرافهم ، وتغيّرتْ لها ألوانهم . ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً ، فحيل بين أحدهم وبين منطقه ، وإنّه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحّةٍ من عقله وبقاءٍ من لبّه ، يفكّر فيم أفنىٰ عمره ، وفيم أذهب دهره ! ويتذكّر أموالاً جمعها ، أغمض في مطالبها ، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها ، قد لزمتْه تبعات جَمْعها ، وأشرف على فراقها ، تبقىٰ لمن وراءه ينعمون فيها ، ويتمتّعون بها ، فيكون المهنأُ لغيره ، والعِبءُ على ظهره ، والمرءُ قد غلقتْ رهونه بها ، فهو يعضّ يده ندامةً على ما أصحر له عند الموت من أمره. ويزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره ، ويتمنّى أنّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه ! فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط**

---

(١) رسالة في الموت والبرزخ / ص١١٩.

**لسانه سمعه ، فصار جيفة بين أهله لا ينطق بلسانه ، ولا يسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنظر في وجوههم ، يرى حركات ألسنتهم ، ولا يسمع رَجْع كلامهم . ثمّ ازداد الموت إلتياطاً به ، فقُبِض بصرُه كما قُبِض سمعه ، وخرجتْ الروح من جسده ، فصار جيفةً بين أهله »**[1].

يالها من ساعة فريدة في هولها وصعوبتها، وكم قد أبدع الإمام علي عليه السلام في تصوير هذه الحالة.

أوّلاً تضعف قوانا كما اذا ضربها الشلل.

ثانياً : تتغيّر ألوان بدننا.

ثالثاً : تُغلَق ألسنتنا.

رابعاً : نفكّر ونتأمّل حولنا ونتذكّر حياتنا.

خامساً : تُسدّ آذاننا فلا نسمع شيئاً.

سادساً : ينتهي نظرنا فلا نرى بالعين التي كنا نرى بها طوال الحياة.

وعلماء الطبّ يقرّون هذه المراحل الستّة من موت الإنسان.

وكذلك كتب أمير المؤمنين عليه السلام الى ربيبه محمّد بن أبي بكر كتاباً ليقرءه على أهل مصر : **«إحذروا ياعباد الله الموت وسكرته، فأعدّوا له عدّته، فإنّه يفجاءكم بأمر عظيم ، بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً ، أو بشرٍّ لا يكون معه خير أبداً ... إنّه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أيّ المنزلتين يصير ، إلى الجنّة أم النار ، أ عدوّ هو لله أم وليّ ، فإن كان وليّاً لله فُتحت له أبواب الجنّة وشُرّعت له طُرُقها ورأى ما أعدّ**

---

(١) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٥٨.

**الله له فيها ، ففرغ من كلّ شغل ووُضِع عنه كلّ ثقل ، وإن كان عدوّاً لله فُتحت له أبواب النار وشُرِّعت له طرقها ، ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها ، فاستقبل كلّ مكروه وترك كلّ سرور . كلّ هذا يكون عند الموت، وعنده يكون بيقين ، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ويقول : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾»**(١).

فإذا نظرت إلى الميت قد سال لعابه وتقلّصت شفتاه واسودّ وجهه وازرقّت عيناه فاعلم انه شقيٌّ قد كشفت له عن حقيقة شقوته في الآخرة، فإذا رأيت الميّت جاف الفمّ ـ كأنّه يضحك ـ منطلق الوجه مكسورة عيناه فاعلم انّه يُبشَّر بما يلقاه في الآخرة من السرور وكشف له عن حقيقة كرامته.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**حرامٌ على كلّ نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم انّه من أهل الجنّة هي أم من أهل النار**». **وقال عليه السلام لحارث الهمداني ما نظمه السيّد الحميري في أبيات منسوبة إليه:**

قول عليٍّ لحارث عجبا ... وكم من أعجوبة له حملا
يا حار همدان مَن يمُت يَرَني ... مِن مؤمنٍ أو منافقٍ قُبلا
يعرفني طرفه وأعرفه ... نَبْعتَه واسمَه وما فعلا
وأنت عند الصراط تعرفني ... فلا تَخَف عثرةً ولا زللا
أسقيك من باردٍ على ظمأ ... تخالهُ في الحلاوة العسلا

---

(١) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٦١ ـ ٢٦٢ .

أقـول للـنار حـين تُـعرَضُ للـ ـعرض دعيهِ لا تقبلي الرّجُـلا
ذريـــــه لا تـــقربيه إنّ له حبلاً بحبلِ الوصـيِّ مـتّصلا[١]

● **ما يستحبّ في وقت الاحتضار**

ويستحب للآخرين الحاضرين عـند المـحتضر أن يـوجّهوه إلى القبلة، بأن يضعوه على ظهره بحيث يكون بـاطن قـدميه إلى جـهة القبلة، ثمّ يستحبّ لهم تـلقينه بكـلمة (أشـهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله) ثم الإقرار بولاية الأئمّة الاثني عشر الأطهار عليهم السلام بأسمائهم واحداً تلو آخر من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحجة بن الحسن المهدي (عجل الله في ظهوره الشريف) ويستمر فـي تكـرار ذلك له بنحو يفهمه جيّداً إلى أن تخرج روحه .

ويستحبّ لمن عنده أن يقرأ دعاء العديلة[٢] وأن يتلو عنده سورة (يٰسٓ) و (صٓ) و (الصافّات) و (الأحزاب) و (آية الكرسي) . وإذا اشتدّ به النزع وصعبتْ عليه سكرات الموت يُـنقَل إلى مـصلّاه الذي كـان يصلّي فيه ، ويُكرَه حضور الجنب والحائض عنده ، والثرثرة والنقاش في ذلك المكان ، ويكره تركه لوحده ، والبكاء والعويل عنده أيضاً، ويزعجه بكاء النساء كثيراً.

وتؤيّد النظريّات العلميّة هذه التعاليم الإسلاميّة . يقول «ريتشارد شتايتناج»: «مرة تلو أخرى يحدث أنَّ الأقارب المـقرّبين يـندلعون

---

(١) المحاضرات النادرة / ص٩٢ للشيخ البصري.

(٢) مذكور في كتب الأدعية .

بالنحيب المرتفع في غرفة المحتضر.. ومهما يمكن أن يكون هذا الموقف مفهوماً مِن قِبَلهم فإنَّهم بذلك مذنبون دون أن يعرفوا، إذ بذلك توقظ الرغبة في الميت في أن يكون قادراً مع ذلك على جعل نفسه مفهوماً، ولكنه لا يستطيع أن يجعل نفسه مفهوماً بطريقة دنيوية إلّا بواسطة الجسم المادي الذي يوشك أن يفصل نفسه عنه، وتعمل رغبته الآن ضد هذه العملية إذ عبرها يسعىٰ أن يوثق نفسه مرة أخرى بالعالم الأرضي، وهذا يؤدي إلى تكثيف محدَّد لحبل الارتباط... وعبر مثل هذه الرغبة يصبح الشخص المحتضر بذلك موثقاً بأحكام أكثر إلى الجسم المادي ومرغماً على الشعور بآلامه مرة أخرى، وهذا يؤدّي إلىٰ إطالةٍ غير مقصودة لعملية الاحتضار في صراع مع الموت.. لذا يجب أن يسود الهدوء المطلق في غرفة الاحتضار»[1].

ومن الهام جدّاً أن يردّد المحتضر إذا استطاع دعاء الفَرَج ، وهو ما نقرؤه في قنوت الصلاة : « **لا إله إلّا الله الحليم الكريم . لا إله إلّا الله العلي العظيم . سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرَضين السبع ، وما فيهنّ وما بينهنّ وما تحتهنّ وربّ العرش العظيم ، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة على محمّدٍ وآله الطاهرين** » .

وجاء في الحديث أنّ من يداوم قراءة هذا الدعاء في قنوت صلاته فإنّه يمرّ في حالة الاحتضار بلا آلام.

وكذلك ممّا ورد استحبابه للمحتضر أن يدعو لنفسه قائلاً: «**اللهمّ إغفر لي الكثير من معاصيك واقبل منّي اليسير من طاعتك**» ويكرّر إذا

---

(١) معنىٰ الموت والحياة / ص ٢٠.

استطاع أيضاً في تلك الحالة « **اللهمّ ارحمني فإنّك كريم . اللهمّ ارحمني فإنّك رحيم** » .

● **هكذا أنت قبل الدفن**

لزيادة معلوماتك أقول: أنه بعد خروج الروح يُغسَل الميّت بثلاثة أغسال :

الأول بماءٍ فيه شيء من السدر .

الثاني بماءٍ فيه شيء من الكافور .

الثالث بالماء الخالص .

ثم ينشّف بدن الميت بقماش نظيف أو ما أشبه ، ثم يُمسَح مواضع سجوده السبعة بالكافور ويسمّىٰ هذا بالحنوط . ثم يُكفَّن بثلاث قطع من القماش الأبيض الطاهر الحلال، وهي كما يلي :

١ ـ المئزر ، وهو يستر ما بين السرّة والركبة .

٢ ـ القميص ، وهو يستر ما بين الصدر إلى نصف الساق .

٣ ـ الإزار ، وهو يشمل تمام البدن حيث يُلفّ فيه الميّت .

ولا يجوز أن يكون الكفن مغصوباً كما لا يصحّ أن يكون نجساً أو من حرير .

ويستحبّ لأولياء الميّت إخبار المؤمنين لحضور التشـييع ، كـما يستحبّ للمؤمنين أن يهرعوا لهذا الأمر ويستغفروا للميّت ويتفكروا يومهم المشابه. ففي هذا قال النبي ﷺ لأبـي ذرّ : « **يا أبا ذرّ إذا تبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولاً بالتفكّر والخشوع ، واعلم أنّك لاحقٌ**

به»[١]. وقال الإمام الصادق عليه السلام : « **مَن شيّع جنازة مؤمن حتّى يُدفَن في قبره وكّل الله عزّوجلّ به سبعين مَلَكاً من المشيِّعين يشيّعونه ويستغفرون له إذا خرج من قبره إلى الموقف** »[٢].

ويستحبّ للمشيّع أن يقول : « **إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، الله أكبر ، هذا ما وعدنا الله ورسولُه وصدق الله ورسولُه ، اللهمّ زدنا إيماناً وتسليماً ، الحمد لله الذي تعزّز بالقدرة وقهر العباد بالموت** » .

وأن يقول المشيِّع حين حمل الجنازة : « **بسم الله وبالله وصلّى الله على محمّد وآل محمّد اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات** » .

وأمّا الصلاة عليه فهي تشتمل على خمس تكبيرات واقفاً خلف الميّت وهو مستلقياً على ظهره ورأسه جهة يمين المصلّي ، فيقول مختصراً[٣]:

١ ـ الله أكبر، أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله.

٢ ـ الله أكبر ، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، وصلّ على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى ملائكتك المقرّبين .

٣ ـ الله أكبر ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات .

٤ ـ الله أكبر ، اللهم اغفر لهذا الميّت .

٥ ـ الله أكبر ، (وتنتهي الصلاة) .

هذا وتفيد الروايات عن المعصومين عليهم السلام أن الميّت يشاهد بروحه ما يدور من حوله الىٰ أن يُدخَل القبر. فهو يرىٰ الجميع ولكن لا يستطيع التحدّث معهم.

---

(١) ميزان الحكمة / ج٩ ص٢٦٩ .	(٢) المنتخب الحسني / ص١٢٣٩ .

(٣) راجع تفصيلها كتب الفقه والدعاء .

وقد عرفت أنّ (الجسد الأثيري) أو الروح جوهرة إنسانية تنتقل بالموت وسقوط الجسد المادي المحسوس إلى حالة أُخرى هي الإشراف من فوق الحالة التي يعيشها أهله والناس حول بدنه المسجّىٰ. فالروح رغم خروجها من البدن تبقى تشاهده في حالة من الدهشة والإستغراب والإنتظار، إنّها ترىٰ أهله والناس حوله وقيامهم بمراسم التغسيل والتكفين والصلاة والدفن والعزاء والبكاء، ولكن لا يفهم الأحياء منها ذلك بالتأكيد إلّا الأولياء ، وذلك لتغيّر وسائل الإتّصال بينهم وبينها بتغيّر الحالة الإنتقالية التي نسمّيها الموت.

ومن هنا ورد في بعض الروايات أنَّ الميّت يسمع تلقين الشهادتين ، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تلقين الميت قال: «...ثم تقول (للميت): **أفهمت يا فلان، فإنّه يجيب ويقول: نعم**»[1].

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خاطب قتلىٰ المشركين في واقعة بدر: «**يا أهل القُليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة ويا أُمية بن خلف ، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً، فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً**» .

فقال له بعضهم: أتنادي قوماً موتىٰ ؟

**فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم: ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبوني**»[2]

ومن هنا أمر الاسلام: «**إذا أتيت بالميت القبر فلا تفدح به القبر فإنَّ**

---

(١) مهذب الأحكام / ج ٤ ص١٨٦ للمرجع الراحل السيد السبزواري.

(٢) سيرة سيد المرسلين / ج ٢ ص ٨٣ للعلّامة الشيخ السبحاني .

**للقبر أهوالاً عظيمة ونعوذ بالله من هول المطّلع، ولكن ضعه قرب شفير القبر ، واصبر عليه هنيئة ثم قدّمه قليلاً ، واصبر عليه ليأخذ أهبته ثم قدّمه إلى شفير القبر»**[١].

وهذا ما قاله الامام الرضا ﷺ: «**أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن، يوم يولد، ويوم يخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها...**»[٢] .

بذلك فقد وجبتْ حرمة الميّت واحترامه ولزمت الآداب الشرعية تجاه بدنه وروحه الحاضرة هناك ، لأنه يتأذى من الضرب ومن التنازع بين الورثة ويزعجه التصرّف السيىء الذي يدور حوله، لذلك لا يجوز الكلام عليه بسوء أيضاً عملاً بالحديث الوارد «**أذكروا موتاكم بالخير** » ولكن هو الإنسان قبل موته يجب أن يكن صالحاً ومحسناً وغير متجاهر بالسوء كي لا يحرج الذي يصلّي عليه صلاة الجنازة حينما يقرأ : (اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلّا خيراً) !! بل يجب أن يكون بينه وبين الله ما يؤهّله للجنّة كما قال الإمام الصادق ﷺ في تفسير الآية : **﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُم حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلٰكِن لَاتُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِنْ كُنتُم غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٣] إنّها إذا بلغت الحلقوم أُري منزله في الجنّة فيقول : ردّوني إلى الدنيا حتّى أُخبر أهلي بما أرى ، فيقال : ليس إلى ذلك سبيل»[٤].

ألا تريد أن تكون هذه حالتك عندما يدخلونك قبرك؟!

---

(١) مهذب الأحكام /ج٤ ص١٧٨.　　(٢) تسلية الفؤاد /ص٤٧.

(٣) سورة الواقعة / ٨٣ـ٨٧.　　(٤) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٦٢.

● **أعمال صالحة تنفعك**

هذه حالتك في ساعة الاحتضار وخروج الروح من بدنك وما تتعرّض إليه من آلام وحيرة وساوس .

ولابدّ للإنسان في حياته مسبقاً أن يلتزم أموراً كي تسهّل عليه هذه الساعة الصعبة ، ولا يخدعه الشيطان عند حشرجة النفس فيسلبه فرصة التشهّد والاستغفار والتوبة فيموت خاسراً .

ومن تلك الأُمور التي تخفف عليك يا أخي القارئ صعوبة النزع حسب المستفاد من الاحاديث:

١ ـ علاقتك بالقرآن الكريم ، فحاول أن تكثر من تلاوته والتدبّر في معانيه تمهيداً للعمل به .

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاءٍ له : « **اللهمّ صلّ على محمّد وآله وهوّن بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق ، وجهد الأنين ، وترادف الحشارج إذا بلغت النفوس التراقي وقيل مَنْ راق ؟ وتجلّىٰ مَلَك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق ، وداف لها من ذعاف الموت كأساً مسمومة المذاق ، ودنا منّا إلى الآخرة رحيل وانطلاق وصارت الأعمال قلائد في الأعناق** » .

٢ ـ صلاة الليلة السابعة من شهر رجب، وهي أربع ركعات بسلام في الركعة الثانية ، تقرأ في كل ركعة بعد سورة الحمد ثلاث مرّات سورة الإخلاص والمعوذتين ، ثم بعد الانتهاء تصلّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله عشر مرّات ، ثم تقول عشر مرّات : « **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر** » .

٣ ـ صوم اليوم الأخير من شهر رجب .

٤ ـ قراءة سورة (الزلزلة) في الصلوات المندوبة .

٥ ـ حبُّ أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم .

٦ ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام .

٧ ـ صلة الرحم وبرّ الوالدين . فعن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: **«من أحبّ أن يخفف الله عزّ وجل عنه سكرات الموت فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه باراً فإذا كان كذلك هون الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً»**[١].

٨ ـ كسوة الفقراء وإطعامهم وخاصّة (الحلوى)

يدل على ذلك ما روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: **«مَن أطعم أخاه حلاوة أذهب الله عنه مرارة الموت»**[٢].

يدل عليه ما روي عن الصادق عليه السلام: مَن كسى أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة وأن يهون عليه سكرات الموت وأن يوسع عليه في قبره وأن يلقىٰ الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرىٰ[٣].

٩ ـ المواظبة على الصلاة اليومية في أوقاتها.

١٠ ـ قراءة سورة (المؤمنون) في كل يوم جمعة.

١١ ـ قراءة هذا الدعاء بعد كل فريضة : « **رضيتُ بالله ربّاً وبمحمّد نبيّاً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبالكعبة قبلةً وبعلي وليّاً وإماماً وبالحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمّد والحسن بن علي والحجّة بن الحسن صلوات الله عليهم أئمّةً ،**

---

(١) بحار الانوار/ج٧٤ص٨١. (٢) بحار الانوار/ج٧٥ص٤٥٦.

(٣) ميزان الحكمة / ج٢ص٥٤٣.

**اللهمّ إنّي رضيتُ بهم أئمّةً فأرْضني لهم إنّك على كل شيءٍ قدير »** .

١٢ ـ الالتزام بتلاوة هذا الدعاء القرآني: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ . وهي الآية الثامنة من سورة آل عمران.

١٣ ـ المواظبة على تسبيح الزهراء عليها السلام.

١٤ ـ قراءة سبع مرّات بعد صلاة الصبح والمغرب « **بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم** ».

١٥ ـ عدم بذل نعم الله في معصيته.

١٦ ـ عدم الاغترار بحلم الله وصبره وإمهاله .

١٧ ـ إكرام كل من يبلّغ لمذهب أهل البيت عليهم السلام أو ينتحل مودّتهم.

١٨ ـ التختّم بالعقيق اليماني خصوصاً المنقوش عليه « محمّدٌ نبي الله ، عليٌّ وليُّ الله » .

١٩ ـ أداء فريضة الحجّ .

٢٠ ـ إدخال السرور على المؤمنين، يقول الإمام الصادق عليه السلام : «**مَن أدخل على مؤمن سروراً خلق الله عزّوجلّ من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته ، فيقول له : أبشر ياوليّ الله بكرامة من الله ورضوان ، ثمّ لا يزال معه حتّى يُدخله قبره ، فيقول له مثل ذلك ، فإذا بُعث يلقاه فيقول له مثل ذلك ، ثمّ لا يزال معه عند كلّ هول يبشّره ويقول له مثل ذلك ، فيقول له : مَن أنت رحمك الله ؟ فيقول : أنا السرور الذي أدخلتَه على فلان**»[1].

(١) أُصول الكافي / ج٢ ص١٩١ ـ ١٩٢ ح١٢.

## المحطّة الرابعة:
# عن القبر وعذابه

قال نبينا الاكرم ﷺ : « **إنّ القبر أوّل منازل الآخرة ، فإنْ نجىٰ منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ منه ...** »[١].

وتسأله عن سبب عدم النجاة وما يرمي الروح في شدائد عذاب القبر ؟

**يجيبك** ﷺ : « **إنّ عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب**»[٢].

أقول : وما أكثر المتورّطين والمتورّطات في هذه المستنقعات الثلاث ، ولو كانوا يدركون بأعماق قلوبهم ما ورد في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام من عذاب القبر لما ورّطوا أنفسهم في هذه القبائح . يقول الإمام عليه السلام : « **فإنّ وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر ، ألا وإنّ القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النيران ، ألا وإنّه يتكلّم في كل يوم ثلاث مرّات فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الديدان...**».

كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت، القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب،

---

(١) روضة الواعظين /ج٢ ص٤٩٤. (٢) مستدرك الوسائل /ج٢ ص١٠٦.

أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوامّ، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران... الخ(١).

وكم يجب ان ننتبه أيها الاحباب، فنجنّب أنفسنا من النميمة والغيبة والكذب وقد انتشر في مجتمعاتنا كالنار في الهشيم حتى كاد طبيعياً لدى بعض الناس وجزءاً من شخصيتهم.

وممّا يوجب عذاب القبر سوء خُلق الانسان في علاقاته الزوجية والأُسرية، فإذا كان الإنسان سيئ الخُلْق في تعامله مع زوجته وأولاده أو العكس فإنّه يتعرّض لعذاب القبر وضغطته، حتىٰ ولو كان مؤمناً وخلوقاً في خارج منزله وأُسرته.

ذكر العلامة المجلسي ﵀ في موسوعته بحار الانوار عن أبي بصير عن أبي عبد الله ـ الامام الصادق ـ ﵇ قال: إن سعداً ـ سعد بن عبادة وهو من اجلاء اصحاب النبي ﷺ ـ لمّا مات شيّعه سبعون ألف ملك، فقام رسول الله ﷺ على قبره فقال: **ومثل سعد يُضَمّ!**

فقالت أمّه: هنيئاً لك يا سعد وكرامة، فقال لها رسول الله ﷺ: **يا أم سعد لا تحتمي على الله.**

فقالت: يا رسول الله، قد سمعناك وما تقول في سعد.

فقال: **إنّ سعداً كان في لسانه غلظ على أهله**(٢) .

وكذلك يوجب عذاب القبر تضييع النعم وتبذيرها وعدم استثمارها في الموارد الصحيحة .

روىٰ الامام الصادق ﵇ عن آبائه أنّ: «**ضغطة القبر للمؤمن كفارةً**

---

(١) بحار الانوار / ج٦ ص٢١٨.

(٢) بحار الانوار: ج٦ ص٢١٧.

**لما كان منه من تضييع النعم»**(١).

ويكفي أن تكون شيعيّاً وتُؤمِن بعذاب القبر فتتورّع من المحرمات في دنياك.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام : « **ليس من شيعتنا مَن أنكر أربعة أشياء: المعراج ، والمسائلة في القبر ، وخَلْق الجنّة والنار ، والشفاعة»**(٢). ففي القبر عذاب وسؤال وضغطة ووحشة وظلمة كما فيه سرور وبهجة لِمَن قدّم صالح الأعمال.

- **أعمال صالحة تنفعك**

إنّ الليلة الأُولى من الدفن يتوحّش الميّت فيها من ظلمة قبره وخوفه ووحشته وضغطته ، والإسلام قد بيّن ما يمنع عليك ذلك بالتزامك في حياتك أُموراً مضافاً إلى الالتزام بالواجبات المعروفة:

١ ـ صلاة ليلة الرغائب في أوّل ليلة جمعة من شهر رجب، وهي تُصلّىٰ بين صلاة المغرب والعشاء.

٢ ـ صيام يوم الثاني عشر من شهر شعبان.

٣ ـ عيادة المرضىٰ.

٤ ـ قول « **لا إله إلّا الله المَلِكُ الحقّ المبين** » مائة مرّة كل يوم.

٥ ـ الولاء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

٦ ـ تلاوة القرآن بشكل عام وسورة « يس » وسورة «التكاثر» قبل النوم بشكل خاص . فقد جاء في دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام :

---

(١) بحار الانوار / ج٦ ص٢٢١.

(٢) صفات الشيعة / ص٩٢.

**« واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا... ونوّر به (أي بالقرآن) قبل البعث سُدَف قبورنا »** .

٧ ـ صلاة الليل. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

**« صلاة الليل سراج لصاحبها في ظلمة القبر ».**

٨ ـ صيام أربعة أيّام من شهر رجب وآخر يوم منه خاصّة.

٩ ـ قراءة سورة (النساء) في كل يوم جمعة.

١٠ ـ زيارة الامام الرضا عليه السلام.

١١ ـ في الأحاديث تأكيد على أنّ الدفن في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف يرفع ضغطة القبر على الميّت إن لم يكن فاسقاً مسرفاً في الظلم والفجور ، وإلّا فإنّ الملائكة يخرجونه من تلك البقعة الطاهرة وينقلونه إلى مقابر أُخرى[1].

١٢ ـ في الأحاديث أنّ الإنسان لو أحيى ليلة القدر (٢٣ شهر رمضان خاصة) وصلّى فيها مائة ركعة بسلام بعد كل ركعتين فإنّه يُخفَّف عليه سؤال منكر ونكير.

١٣ ـ ولتسهيل سؤال (منكر ونكير) للميت في القبر:

يستحب تلقينه بالعقائد الحقة، فإنّ روحه تحتاج إلى التذكير بالإجابات في تلك الساعة وذلك بعد وضعه في القبر بأن يُمسك الدفّان أو الملقِّن كتفه الأيمن باليد اليمنى وكتفه الأيسر باليد اليسرى ويحرّكه ويقرأ له تلك العقائد ـ كما هي مذكورة في كتب الأدعية والرسائل العملية الفقهية ـ للمراجع الكرام .

---

(١) راجع قصّة رقم (٤٩) من كتابنا قصص وخواطر / ص١١١.

كما يستحب عندما ينصرف الناس بعد الدفن أن يجلس أقـرب ذويه جهة رأسه ويضع كفّيه على القبر ويلقّنه تلك العقائد مرّة أخرىٰ وبصوت عالٍ، ممّا يدلّ على رجوع حياته بشكلها الروحاني (الأثيري) وقد تقدّم إثبات هذه الحقيقة علمياً أيضاً.

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ : « **أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم**».

وألفاظ الأحاديث بذلك متقاربة فمنها : «**أنّ ملكين لله تعالى يقال لهما : ناكر ونكير ، ينزلان على الميّت فيسألانه عن ربّه ونبيّه ودينه وإمامه ، فإن أجاب بالحقّ سلّموه إلى ملائكة النعيم ، وإن ارتجّ عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب** »(١).

١٤ ـ وللتخفيف أيضاً من شدّة الخوف والوحشة ينبغي أن يقوم المؤمنون للميت على قبره بما يلي:

١ ـ قراءة سورة (المُلْك) .

٢ ـ قراءة هذا الدعاء عند قبره ثلاث مرّات : « **اللهمّ إنّي أسألك بحقّ محمّدٍ وآل محمّد أن لا تعذّب هذا الميّت** » .

٣ ـ صلاة الوحشة ، يقرأ في الركعة الأُولى بعد سورة الحمد آية (الكرسي) ، وفي الثانية بعد سورة الحمد يقرأ عشر مرّات سورة (القدر) . ثمّ يقول بعد السلام (اللهمّ أبعث ثواب هذه الصلاة إلى روح فلان بن فلان) . وفي الحديث أنّ الذي يقرأ هذه الصلاة لغيره فإنّ الله تعالى يدفع عنه أيضاً وحشة القبر في أوّل ليلة دفنه .

---

(١) براهين أُصول المعارف الإلهية : ص٣٥٧.

٤ ـ الصدقة وفعل الخير والإحسان هديةً للميّت .

فقد قال النبي ﷺ : « **لا تنسوا موتاكم في قبورهم ، وموتاكم يرجون إحسانكم ، وموتاكم محبوسون يرغبون في أعمالكم البِرّ وهم لا يقدرون ، أهدوا إلى أمواتكم الصدقة والدعاء** »(١).

٥ ـ الترحّم عليه وقراءة القرآن عند قبره .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « **إنّ الميّت ليفرح بالترحّم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية** »(٢).

وقال الإمام الرضا عليه السلام : « **مَن زار قبر مؤمن فقرأ عنده « إنّا أنزلناه » سبع مرّات غفر الله له ولصاحب القبر** »(٣).

٦ ـ وضع التربة الحسينيّة مع الميّت في القبر (مقابل وجهه) فإنّها كما في الحديث عن الامام الكاظم عليه السلام العذاب عنه في القبر.

- **ماذا يحصل لك داخل القبر؟**

هذا سؤالٌ، ما من إنسان يبحث عن جوابه ، يقول: هل تعود الروح إلى الجسم في القبر من بعد الدفن وذهاب الناس ؟ وما هو مفهوم عذاب القبر وحيّاته وعقاربه ؟ ولماذا لا نسمع ذلك ونحن خارج القبر ؟ وهل يستطيع العلم الحديث إختراق ما يحدث داخل القبر والكشف عمّا يجري تحت الأرض للميّت فيبيّنه لنا ؟

أقول : إنّ الظاهر من الروايات عدم رجوع الحياة إلى الجسم كما

---

(١) أنوار الهداية / ص١١٥.
(٢) تفسير نور الثقلين / ج٥ ص١٠٧.
(٣) بحار الأنوار / ج٨٢ ص١٦٩.

كان من قبل الموت، إنّما المقصود هو سؤال مَلَكي المنكر والنكير من الروح الهائمة هناك دون وجود العلاقة السابقة بالجسم، أو قد تكون العودة إلى الجسم عودة نسبيّة وجزئية ولمدّة السؤال والجواب حسب المستفاد من حديث عن الإمام الصادق عليه السلام(١). أو قد يكون بمعنى العلقة بين الجسد المادّي الميّت وبين الجسد الأثيري ـ أي الروح ـ حسب ما تقدّم من الشرح.

وللإمام علي عليه السلام هنا كلام يوطّن إيماننا بالغيب ويجعلنا نستسلم للحقيقة التي سوف نكتشفها بعد الموت إذا شاء الله، حيث يقول عليه السلام: « **هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّىٰ أحداً ؟ بل كيف يتوفّى الجنين في بطن اُمّه ! أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربّها ؟ أم هو ساكن معه في أحشائها ؟ كيف يصف إلهه مَن يعجز عن صفة مخلوق مثله** »(٢).

نعم .. وما اُوتينا من العلم إلّا قليلاً وقد اعترف بذلك علماء البشر والأخصّائيون في أكثر العلوم الأثيرية الحديثة وقالوا إنّ نسبة مجهولاتهم أكبر من نسبة معلوماتهم رغم كل التقدّم العلمي الهائل.

وأمّا عذاب القبر لمن كان فاسقاً وعاصياً لأوامر الله عزّوجلّ فهو كذلك قضية روحية ولا تتعلّق بالجسم المدفون في القبر.

وحول هذا الاعتقاد وجواباً على السؤال المطروح يقول العالم الجليل الشيخ البهائي في كتابه (الأربعون حديثاً) : « فاعلم أنّ عدم سماعك ومشاهدتك شيئاً من ذلك في عالم الملك لا يمنع من

---

(١) اُصول الكافي / ج٣ ص٢٣٩.

(٢) نهج البلاغة ، صبحي الصالح : ص٢١٧.

التصديق به ، فإنّ هذه الأُمور من عالم الملكوت ، وهذه الأُذن والعين لا يصلحان لسماع الأمور الملكوتية ومشاهدتها ، بل إنّما تُدرَك تلك الأُمور بجنس آخر من الحواس . أمَا ترىٰ الصحابة كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله ويذعنون بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يشاهده وهو يخاطبه وهم لا يشاهدونه ولا يسمعون خطابه . فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهمّ وأوجب عليك من تصحيح الإيمان بعذاب القبر . إن كنت آمنت بذلك وجوّزت أن يشاهد النبي صلى الله عليه وآله ما لا تشاهده الأُمّة ويسمع ما لا يسمعونه ، فجوّز مثل ذلك فيما نحن فيه أيضاً .

وممّا يكسر سَوْرة استبعادك أن تتفكّر في حال النائم في مجلس فيه جماعة ، فإنّه قد يرى في منامه أنّ عقارب وحيّات تلدغه أو أنّ أشخاصاً يعاقبونه بأنواع العقارب ويصرخون عليه بأصوات هائلة وهو يتألّم من ذلك غاية التألّم ويتأذّى به نهاية التأذّي ، وربما يصيح في أثناء النوم ويرتعد ويغرق من شدّة الاضطراب ، مع أنّ الجماعة الجالسين حوله لا يسمعون شيئاً من تلك الأصوات ولا يرون شيئاً من تلك الحيّات والعقارب والأشخاص التي يسمعها هو ويشاهدها في النشأة المنامية ، فَقِسْ على ذلك عذاب القبر وحيّاته وغرضنا من هذا مجرّد التشبيه والتنبيه وليس القصد أنّ حيّات القبر وعقاربه خيالية أيضاً كحيات المنام وعقاربه، هيهات فإنَّها أشدّ وأدهى من حيّات اليقظة وعقاربها بل نسبتها إليه كنسبة حيّات اليقظة وعقاربها

إلى حيّات النوم وعقاربه «فإنَّ النَّاس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[١].

هذا وقد أجمع المسلمون (شيعة وسنّة) سلفاً وخلفاً أنّ عذاب القبر حقيقة من حقائق الدين الإسلامي ولا يجوز إنكارها .

وممّا يدلّ على ذلك في مذهبنا قول الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه في تفسير الآية **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾** بأنّ هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذ لا غدوّ ولا عشيّ في القيامة . ثمّ قال عليه السلام : ألم تسمع قول الله عزّوجلّ : **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**[٢].

فالعرض الأول على العذاب يأتي في القبر وهو عالم البرزخ ، وأمّا إدخال آل فرعون إلى عذاب أشدّ من العذاب الأوّل إنّما هو عندما تقوم الساعة في يوم القيامة .

وكذلك فيما حكاه الله تعالى عن كلام الكفّار بعد موتهم دليل آخر في وجود العذاب في القبر والبرزخ قبل الخروج الى يوم القيامة. إذ حكىٰ ربنا عزّوجلّ عنهم قولهم : **﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾**[٣].

فغاية المطلوب منّا أيّها المؤمنون أن نطلب العفو والغفران من ربّنا عزّوجلّ ونتزوّد من الباقيات الصالحات في هذه الحياة قبل نهايتها التي لا رجعة فيها ، فهذا أميرنا علي بن أبي طالب عليه السلام ينادي فينا مرّة أُخرى : **«ياعباد الله ما بعد الموت لمن لا يُغفَر له أشدّ مِن الموت ،**

---

(١) الأربعون حديثاً / ص٢٥٩. (٢) مجمع البيان : ج٨ص٥٢٦.

(٣) سورة المؤمن / ١١.

**القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته »[١].**

وجاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام : « **مولاي وارحمني عند تغيّر صورتي وحالي إذا بلىٰ جسمي ، وتفرّقتْ أعضائي ، وتقطّعت أوصالي ياغفلتي عمّا يُراد بي** » .

ويقول الشاعر اليَقِظ:

سَلِ المنازِلَ عن أربابِها الأُوَل ... ذوي الكمال وأهل العلم والعمل
وكيف بانوا وأنّىٰ بعدها نزلوا ... وما جرىٰ بعد ذاك الحادث الجلل
سَلِ المنازل عنهم بعد رحلتهم ... عنها يجيبك منها دارسُ الطُّلَل

- **آداب إجتماعية دينية**

ينبغي للمؤمنين أن يحضروا مراسم الدفن ويتعاونوا ويشاركوا في مجلس الترحيم والفاتحة ، ويعزّوا أهل الميّت مواساةً وتخفيفاً لألم المصيبة الواردة عليهم ، فإنّ هذا مضافاً إلى استحبابه الأكيد يعتبر إلتزاماً بالآداب الاجتماعية واستجابةً للنوازع الإنسانية وسبباً للمحبة والتماسك بين أفراد المجتمع ، فإنّ الأيام تحمل المصائب للجميع فلابدّ من الوقوف عند الأحزان والتضامن مع المحزونين ، وخاصة اذا كانت المصيبة فجيعة كموت الشباب والحوادث التي تقضي على عدد من الاشخاص في وقت واحد ، ولاسيما اذا كان المتوفىٰ إنساناً جليلَ الشأن من العلماء أو الوجهاء. ففي تجليل هؤلاء تكريم للعلم وتعظيم للخير والصلاح وتشجيع لاستمرار الأجيال على خطّ

---

(١) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٦٤ .

الصالحين . ويتأكّد ذلك إذا كان العالم الوجيه مظلوماً في حياته أو شهيداً.

ومن هذا الباب جاء إحياؤنا لذكرىٰ وفيات النبي الأكرم وأهل بيته واستشهادهم.

قال الإمام الرضا عليه السلام : لمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء الخضر عليه السلام فوقف على باب البيت وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد سجّي بثوبه ، فقال:

**«السلام عليكم ياأهل بيت محمّد ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١) إنّ في الله خَلَفاً من كلّ هالك ، وعزاءً من كلّ مصيبة ، ودركاً من كلّ فائت ، فتوكّلوا عليه وثقوا به ، وأستغفر الله لي ولكم».**

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : **«هذا أخي الخضر عليه السلام جاء يعزّيكم بنبيّكم صلى الله عليه وآله»**(٢).

ونعم ما أنشد الشاعر الولائي:

دنياك فانية والحي منتقل
الى التراب ويبقى الله والعمل

فجِدّ جِدّك في إتيانِ صالحةٍ
واعمالٍ لأخراك ما يجديك يا رجل

دع المقام بدار لا قرار بها
ولا بقاء وأنت السائر العجل

---

(١) سورة آل عمران / ١٨٥.

(٢) كمال الدين : ج٢ ص ٣٩١ ب٣٨ ح٥.

فـــالموت آتــيك لا مــندوحة أبــداً
عــنه ولكــن الى أن يـنقضي الأجـل
فَــتُب الى الله إخــلاصاً وقُــل نــدماً
أيُــلام هــذا وشــيب الراس مشـتعل
وزُر مشــاهد أهــل البـيت مـعترفاً
فـــانهم ســبب الايــجاد والعــلل
والثُــم ضــرائـحهم وانشَـقْ روائـحهم
تــترىٰ الصــلاة عــليهم أيـنما نـزلوا
واذكُــر مــصائبهم فــي كــل نـاحية
وانــثُر دمـوعك فـي أرض بـها قُـتِلوا
قد صُـرّعوا وقـضوا نـحباً عـلى ظـمأ
في كربلاء وعلى روس القنا حُـمِلوا[1]

---

(١) من قصيدة للشيخ أحمد البلادي (أدب الطف / ج ٥ ص ١٧٣).

## المحطّة الخامسة:

# عن عالَم البرزخ

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

إنّ الميّت عندما يغادر حياة الدنيا فإنّه ينتقل بروحه إلى عالم البرزخ ، وهو منطقة وسطىٰ بين عالم الحياة الدنيا وعالم النشور والحساب . وتنتظر الأرواح في هذه المحطّة وهي مرتدية جسداً برزخياً على شاكلة جسدها في الدنيا ولكنه أثيري غير محسوس مادياً ، و ـ حسب بعض الأقوال الدينيّة ـ تبقىٰ الروح في جسدها الأثيري تحوم حول القبر أربعين يوماً ثم تنتقل إلى محل أبعد منه في البرزخ . ومن هنا ربما جاء استحباب إحياء ذكرى أربعين الميّت لتزويده المزيد من زاد الدعاء والخيرات والتخفيف عليه من هول ما يراه في عالمه الجديد.

وسُئِل الامام الصادق عليه السلام عمَّن مات في هذه الدار أين تكون روحه؟

فقال عليه السلام: **«مَن مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نُقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة، وجُوزي بأعماله إلى يوم القيامة، فإذا بعث الله مَن في القبور أنشأ جسمه وردّ روحه إلى جسده، وحشره ليوفّيه أعماله، فالمؤمن ينتقل روحه من جسده إلى**

---

(١) سورة المؤمنون / ١٠٠.

**مثل جسده في الصورة فيُجعَل في جنّات من جنان الدنيا يتنعّم فيها إلى يوم المآب، والكافر ينتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ويُجعَل في نار فيُعذَّب بها إلى يوم القيامة»**[١].

فالجزاء بالأعمال تبدأ من هنا ، وهنيئاً للسعيد الذي عمل بتعاليم القرآن وأحاديث العترة النبوية الطاهرة وصادقهما بإخلاص حتى تحوّلا عنده نوراً في قبره وبرزخه .

فقد جاء في دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام : « **الحمد لله حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ ...** » . « **اللهمّ صلّ على محمّد وآله ، وهوّن بالقرآن ... إذا ... كانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق ، اللهمّ صلّ على محمّد وآله وبارك لنا في حلول دار البلىٰ، وطول المقامة بين أطباقِ الثرىٰ** » .

وتقدم القول بأن ممّا يُسعِد أرواح الموتى في عالم البرزخ أن يقوم أحبابه الأحياء بما يلي من الخيرات لهم :

١ ـ إهداء ركعتي صلاة. وخاصّةً صلاة ليلة الدفن.

٢ ـ إعطاء خيرات ثواباً إليهم ، خصوصاً في يوم الجمعة وليلتها.

٣ ـ الدعاء لهم ، وخصوصاً في صلاة الليل أو بعد صلاة الفريضة أو في العتبات المقدّسة، ولابدّ من الدعاء للوالدين في الدرجة الأُولى.

**● فعل الخيرات ما هو الافضل فيه ؟**

وتجدر الإشارة هنا ـ مضافاً الىٰ الاشارة السابقة ـ بأنّ فعل

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٥٣.

الخيرات ثواباً إلى أرواح الميّتين لا يتحدّد فيما تعوّد عليه بعض الناس بل ينبغي توجيههم نحو قضايا خيرية أكثر أهمية في بناء المجتمع الصالح وتوعية جيل الشباب ودعم العوائل الفقيرة مادّياً وتثقيفياً وصحّياً . وتصبّ في هذا التوجّه مثلاً الأموال التي يوقفها او يتبرّع بها أهل المتوفّىٰ لبناء المراكز الإسلامية ، أو تأسيس شركات ومصانع لتشغيل الأيدي العاطلة، أو إنشاء محطّة فضائية لنشر الدين الإسلامي والدفاع عنه ، أو بناء مساكن للمتزوّجين الفقراء ، أو طباعة كتب إسلامية مفيدة وعصرية، أو توزيع أشرطة محاضرات لتربية الأطفال وهداية الشباب وإصلاح الناس وتذكيرهم بالقيم والأخلاق والمحبّة أو صناعة أفلام سينمائية حول سيرة النبي والأئمة والعلماء الصالحين وما أشبه، أو بناء مستشفيات و دور العجزة و مراكز لمعالجة المدمنين علىٰ المخدّرات.

ومن الجدير في ذلك كله إعطاء الأولوية لمناطق المحرومين في العالم . فهذا كلّه يعتبر من الخيرات والباقيات الصالحات والصدقات الجاريات التي تدرّ على أرواح الموتىٰ في البرزخ بالنفع والسرور.

ونستضيء هنا أيضاً بضياء من مواعظ الإمام علي عليه السلام ، فلمّا رجع من واقعة صفّين مع جمع من أصحابه ، أشرف على القبور بالكوفة وقال بحيث يسمعه الأصحاب : « **ياأهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة والقبور المظلمة ، ياأهل التربة ، ياأهل الغربة ، ياأهل الوحدة ، ياأهل الوحشة ، أنتم لنا فَرَط سابق ، ونحن لكم تَبَع لاحق ، أمّا الدور فقد سُكنتْ ، وأمّا الأزواج فقد نُكحتْ ، وأمّا الأموال فقد تُقسّمتْ . هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟**

ثم التفت إلى أصحابه فقال : **أما والله لو أُذِنَ لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوىٰ »**[١].

ولذا من الافضل بالإنسان أن يبادر بنفسه في الخيرات قبل موته، لأنّ الورثة قد ينشغلوا عنه بحياتهم ومشاكلهم اليومية فينسوه كما هو المعروف خاصّة في زماننا ، والنسيان سُنة حياتية جعلها الله في عباده، فلولا نسيان اللاحقين للسابقين نسياناً نسبيّاً لانشغلوا بهم ولما تقدمت حياتهم. لذا ينبغي للانسان في كل عصر ان يعمل لنفسه ويمهّد لآخرته ولا يوكل شيئاً من هذا القبيل على غيره فإنّ من يأتي من بعده قد تكون له ظروفه الخاصة ، فمن يضمن أنّ ورثته سيبعثون له من الخيرات.

بهذه المناسبة قيل أنّ شاباً متديّناً في القديم كان يحثّ على والده الغافل عن التزوّد للآخرة أن يبعث لنفسه عملاً صالحاً قبل موته. فكان والده يكرّر له الردّ التالي في كلّ مرّة : أنّك ولد صالح فابعث لي الخيرات من بعدي.

وذات يوم أرادا الخروج من المنزل إلى مكان ما في ليل مظلم ، فأعطىٰ الرجل مصباحاً بيد ولده الفطن وقال له تقدّم أمامي ياولدي . فتعمّد الولد المشي من خلفه !

فاستنكر والده هذا الفعل ، فردّ عليه الولد أنّك علّمتني بأنّ العمل الصالح ـ وهو بمثابة النور ـ أبعثه إليك من خلفك . فانتبه الرجل لخطأه الطويل وقرّر أن يغيّر نفسه . قال الله تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ

---

(١) ميزان الحكمة : ج٧ ص٢٥٣ ، نقلاً عن نهج البلاغة : حكم ١٣٠ .

مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[١]. وقال الله عزّوجلّ أيضاً : ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٢].

وعن رسول الله ﷺ أنّه قال : « **إنّ ممّا يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته ، علماً علّمه ونَشَره ، وولداً صالحاً تَركه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحّته وحياته تلحقه من بعد موته** »[٣].

● **نداء إلى أهل الخير والإحسان**

يا أهل الخير والإحسان والهمم العالية إعلموا أنّ الاهتمام بالخير من ركائز الأُمّة القرآنية وشروطها الحضارية ، فلولا أن كان المؤمنون على إمتداد التاريخ يتحرّكون في سبيل الخير ولأجل المعروف وإماتة المنكر بشتّى المستويات ومختلف الامكانيات لما كان يُقام للأُمّة كيانٌ على الأرض . ولا شكّ أنّ الفكر الإسلامي الذي شعّت في الناس منه قبسات وقبسات هو الذي دفعهم إلى صنيعة الخير وصناعة المعروف في الدنيا حتى اشتروا به الراحة الدائمة لأنفسهم في الجنّة . وهذه السعادة التي أوجبت علينا الشكر لله تعالى إنّما هي من بركة رسوله الأكرم ﷺ حيث دلّانا وأهل بيته عليهم السلام إلى سُبلها الواصلة حيث شرّعهم الله تعالى لنا نهجاً سليماً ومنهاجاً قويماً : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا

---

(١) سورة المزمل / ٢٠. (٢) سورة الروم / ٤٤.

(٣) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٧٢.

**لَنَا عَابِدِينَ﴾**(١). وحثّنا النبيﷺ بقوله : « **عليك بصنائع الخير فإنّها تدفع مصارع السوء**»(٢). وكذلك الامام علي عليه السلام يقول: « **عليكم بصنائع المعروف فإنّها نِعْمَ الزاد إلى المعاد**»(٣). ويقول أيضاً : « **مَن قصّر عن فعل الخير خَسِرَ ونَدِم** »(٤). وعن الإمام الصادق عليه السلام : «**إذا أردْتَ شيئاً من الخير فلا تؤخِّره** »(٥).

ثمّ إنّ للمشاريع الخيرية رجالها ، فمن الحكمة أن يضع أهل المال أموالهم بأيدي رجال صالحين وأُمناء عارفين أيضاً بموارد الصرف والحاجات الأهم والمهم . فكم من أموال ذهبت إلى موارد خيرية ليست بذات أولوية بينما عانت الأولويات شحّ الموارد المالية حتّى ذبلت وماتت، فصلاح الرجال وأمانتهم لا تكفي لتبرير إعطائهم الأموال ، بل لابدّ من إدراكهم لشؤون الأُمّة ومعرفتهم للقضايا الأهم ثمّ المهم تفادياً من تكرار المشاريع وتفويت الأهم منها أو تكديسها في منطقة واحدة كما هو الحال في اكثر الأحوال.

ويقتضي هذا الأمر أن يلتقي أهل الخير والإحسان برجال المشاريع الخيرية والعلماء العاملين ويتحادثوا معهم ويقارنوا بين طموحهم ثمّ يختاروا أحسنهم بقصد القربة إلىٰ الله، بعيداً عن القوالب السياسية والحزبيّة والفئويّة .

أليس الله تعالى قال: **﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـئِكَ**

---

(١) سورة الأنبياء / ٧٣.
(٢) تفسير نور الثقلين / ج٢ ص٤٩٧.
(٣) مستدرك الوسائل : ج٢ ص٣٩٤.
(٤) غرر الحكم / ص٧٢٣.
(٥) الكافي / ج٨ ص٣٩١.

الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلئِكَ هُمْ أُوْلُوا الألْبابِ﴾[١].

فليكن أهل المال أهلاً للهداية الى الأحسن وأهـلاً للّب والعـقل والمعرفة أيضاً، هكذا يستثمر الأذكياء أموالهم فـي الدنـيا لراحـتهم الأبدية في عالم البرزخ وهم يُحشَرون الىٰ الجـنة فـي يـوم القـيامة بأعلى درجات السعادة. وما أكثر الأغبياء الذين ضيّعوا هذه المعادلة الاستراتيجية في التجارة مع الله عز وجـل.. وأضـاعوا الفـرص مـن أنفسهم وماتوا وتركوا أموالهم بلا استثمارٍ أخرويٍّ الذي هو الاصـل من حياتهم، فحاول أخي أن لا تكون منهم!

وقد قال ربّنا تعالىٰ: (يا أَيّها الذينَ آمنوا أنفِقوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتيَ يَومٌ لا بَيْعٌ فيهِ وَلا خُلَّة وَلا شَفاعة وَالكافِرون هُمُ الظالِمون)[٢].

وقال عَزّ وجل: (يا أيّها الذينَ آمنوا لا تُلهِكُمْ أموالُكُمْ وَلا أولادُكُم عَن ذكرِ اللهَ وَمَن يَفْعَل ذلك فأُولئِك هُمُ الخاسِرون * وَأَنفِقوا مِمّا رَزَقناكُم مِن قبل أن يَأتيَ أَحَدَكُم المَوتُ فَيَقولَ رَبِّ لَو لا أَخَّرتَني إلىٰ أَجَلٍ قَريبٍ فَأَصّدّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالحين* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفسَاً إذا جاءَ أَجَلُها وَ اللهُ خبيرٌ بِما تعملون)[٣].

---

(١) سورة الزمر / ١٧ ـ ١٨. (٢) سورة البقرة/ ٢٥٤.

(٣) سورة المنافقون/ ٩ ـ ١١.

## المحطّة السادسة:

# عن الخروج من القبر ويوم الحشر

وهذه من الساعات العسيرة الأُخرىٰ على الميّت يوم يخرجه من قبره ويحشره مع الأموات السابقين واللاحقين الذين يحييهم الخالق القادر ويجمعهم مرة واحدة ليحاسبهم على أعمالهم ويجزيهم عليها بالجنّة أو النار . فقد قال الله تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**(١) **﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾**(٢).

وهنا أيّها القاريء العزيز، وتأسيساً علىٰ عقيدتنا في قدرة الله المطلقة **﴿أينَ ما تكُونوا يأتِ بِكم الله جميعاً﴾** (٣) وعقيدتنا في هدفية الخلق **﴿أم حَسِبتُم أنّما خلقناكُم عَبَثاً وأنّكم إلينا لاتُرجَعون﴾**(٤) وعقيدتنا في المسؤولية والحساب والأجر والجزاء **﴿إنّا نحنُ نُحيي المَوْتىٰ ونكتُبُ ما قدّموا وآثارَهُم وكُلَّ شيءٍ أحْصَيْناهُ في إمامٍ مُبين﴾**(٥) فاننا نرىٰ الاعتقاد

---

(١) سورة يونس / ٤٥.
(٢) سورة ق / ٤١ـ٤٥.
(٣) ـ البقرة / ١٤٨.
(٤) ـ المؤمنون / ١١٥.
(٥) يس / ١٢.

بيوم الحشر جُزءاً لن يتجزأ من منظومتنا العقائدية النابعة من وحـي القرآن الكريم وتعاليم النبي وأهل بيته (صـلوات الله عـليه وعـليهم أجمعين) .

ذلك من القرآن الكريم ، واليك من أهل بيت النبي ﷺ فـلنصغي إلى حوار جرىٰ بين أحد منكري المعاد والنشر والحشر وبين أحـد الأئمّة الطاهرين ﷺ لنقارن بين منطق الكفر والزندقة ومنطق الايمان والعقيدة.

سأل الزنديق : الروح بعد خروجها عن قالبها تفنىٰ أم هي باقية؟

فقال ﷺ : **باقية إلى وقت يُنفَخ في الصور، فعند ذلك تبطل الأشياء وتفنىٰ، فلا حسّ ولا محسوس. ثم أُعيدت الأشياء كما بدأها مـدبّرها، وذلك أربعمئة سنة يلبث فيها الخَلْق ، وذلك بين النفختيْن.**

قال الزنديق : فأنّى له بالبعث، والبـدن قـد بُـلِيَ والأعـضاء قـد تفرّقت، فعضو ببلدةٍ يأكلها سباعها ، وعضو بأُخرىٰ تمزّقه هوامها ، وعضو صار تراباً يُبنىٰ به مع الطين حائط ؟

فقال ﷺ : **إنّ الذي أنشأه من غير شيء ، وصوّره من غير مثال كان سَبَقَ إليه ، قادرٌ على أن يعيده كما بداه .**

قال الزنديق : أوضح لي لك ؟

فقال ﷺ : **إنّ الروح مقيمة في مكانها ، روح المحسن فـي ضـياء وروح المسيء في ضيق وظلمة . والبدن يعود تراباً كما منه خُلِق. وما تقذف به السباع والهوام مَن أجوافها ممّا أكلته ومـزّقته كـل ذلك فـي التراب محفوظ عند من لا يغرب عنه مثقال ذرّة فـي ظـلمات الأرض ، ويعلم عدد الأشياء وأوزانها . وإنّ تراب الروح بمنزلة الذهب في التراب .**

**فإذا كان حيث البعث مطرت مطرات النشور ، فتربو الأرض ، ثمّ تمخض مخض السقّاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غُسِل بالماء ، والزبد من اللبن إذا مُخِّض ، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه ، فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح ، فتعود الصور بإذن المصوّر كهيئتها ، وتَلِجُ الروح فيها . فإذا استوىٰ لا ينكر من نفسه شيئاً[١].**

● **عودة الأرواح وبعث الأجساد علمياً**

ونذكر هنا ما قدّمه العلم الحديث من دلالاتٍ برهانيّةٍ تجربيّة علىٰ عقيدة الحشر وإمكانيّة عودة الانسان الىٰ الحياة الاخرويّة، فقد كتب الدكتور لبيب بيضون في كتابه (الاعجاز العلمي في القرآن) تحت عنوان **الألفة مظهر الكون والحياة** قائلاً:

اذا نظرتَ عالياً إلى الكواكب وهي تدور في أفلاكها، وقد حجبتْ بينها الفراغاتُ الشاسعة في فحمة الظلام الحالك، ساورك الظن بأن لكل كوكب مِن هذه الأجرام المادية عالَماً منفصلاً يعيش فيه، ومساراً منفرداً يتقوقع فيه عَلى نفسه، فتشعر عندها بالرهبة والوحشة ويتملّكك الخوف والفزع.

ولكن لا يلبث أن يفيض عليك شعور عميق، تشعر مِن خلاله بأن روحاً واحدة شاملة تلفّ هذه الكواكب، ورابطةً مهيمنة تنتظم هذه الأجرام بأجمعها، في أُلفة رائعة وعلاقة دافعة. حتّى لكأن الكواكب

---

(١) الفكر الإسلامي مواجهة حضارية : ص٢٨٣ ـ ٢٨٤. للمرجع الديني السيد محمد تقي المُدرِّسي.

أحياء تحسّ وتشعر وتسمع وتنظر. إنها لولا هذه الألفة والرابطة لما كن لها قرار، ولا كان لها استمرار، ولكانت هباءً مِن هباب أو ركاماً مِن رماد.

إذ ذاك يدرك الإنسان بقلبه البصير أن (الأُلفة) شعار الكون ومظهر تجمّعه، وقلبه النابض بالحياة والحركة، وسرّ جوده وتجدده واستمراره... إن كلّ قمر يتبع كوكباً، وكلّ كوكب يتبع نجماً، وكلّ نجم يتبع مجرّة، وهلمّ جرّا....

واستمرّ الكاتب يقول تحت عنوان **مظهر التجاذب الكوني**:

إن الأُلفة هي الرابط القوي الّذي يُقَدّر درجة تماسك المجتمع وترابط أجزائه، وبالتالي قيمته في عالم الوجود والبناء والتطور. وهي كقوة التجاذب الكوني الّتي تجمع الكواكب والنجوم في وحدتها المترابطة المتماسكة الّتي يتسنّى فيها لكل نجم أن يقوم بدوره المرسوم له، المُتَّسِم بالأخذ والعطاء، فيجذب النجمُ كلّ النجوم الّتي حوله، مثلما تجذبه تلك النجوم بأجمعها. وعن هذا التأثير المتبادل يتمّ هذا الكيان المنظّم الرائع.

ورحم اللهُ إقبال وهو يصوّر ذلكَ فيقول:

وفي التوحيد للهِمَم اتحادٌ
ولن تبنوا العُلىٰ متفرّقينا
تساندتِ الكواكبُ فاستقرّتْ
ولولا الجاذبيةُ ما بقينا

ومن المدهش حقّاً أنّنا لا نجد حتّى بين هذه النجوم الجامدة، نجماً ساكناً لايتحرك، مصداقاً لقوله تَعالَى: **﴿وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون﴾** لأنّ

مصير مثل هذا النجم حتماً إلى الفناء والاندثار، لأنّه لا حياة لمن لا عمل له، وكلّ شيء يكتسب وجوده مِن حركته ودورانه.

ثمّ يقول تحت عنوان **مظهر التماسك الذرّي**:

ولا يقتصر هذا الارتباط والتماسك عَلىٰ الأجرام الكبيرة كالكواكب والنجوم والمجرّات، بل إنه يمتدّ بعيداً جداً وعميقاً جداً، حتى ليشمل كلّ الأجزاء الّتي يحويها الكون، حتى عالَم الصغائر الَّذي يضم الجوهر الفرد (الذرة) المؤلّف للمادة، وأجزاءه كالبروتون والنترون والالكترون. حيث تتجلّى الأُلفة العجيبة الّتي تربط أجزاء الجوهر بعضها مع بعض في نظام مذهل في الدقة والإحكام، ممّا يدعونا إلى الجزم بأن الألفة هي المظهر الأساسي للكون والوجود.

ولا تقتصر تلك الألفة عَلى عالَم الجوهر (ATOM) بل إنّها تتعدّاه إلى عالَم الذرّات (MOILECULS) حيث تتجاذب الجواهر والشوارد مع بعضها، بما حباها الصانع سبحانه مِن طبائع وخصائص، لتؤلّف الذرات والمركبات الّتي مهما تعددت أنواعها وأشكالها فإنّما تجتمع كلّها عَلى مبد الألفة الكيميائية الّتي تتوزع بين العناصر. أمثلة عَلى ذلِكَ: الكلور يجذب الصوديوم مُشَكّلاً ملح الطعام، الأوكسيجين يجذب الهدروجين مشكّلاً ذرة الماء.

وجاء في الكتاب بعنوان **تشابه عميق**:

ومن العجيب حقّاً ذلِكَ التشابه العميق في النظام والتقدير، بين عالَم الأجرام الكبيرة (كالكواكب السيارة) وعالم الأجسام الصغيرة

(كالالكترونات)، سواء في اللف الذاتي والدوران الانـتقالي، أو فـي شكل الحركة وما ينتج عنها مِن عزوم وقوى وطاقات... ممّا لايدع مجالاً للشك بأن مصدر التسيير والتقدير والإحكام والتدبير واحد لا شريك له. وكما قال الإمام علي عليه السلام: «ولو ضربتَ في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدلالة إلا عَـلى أن فـاطر النـملة هـو فـاطر النخلة».

وفي دعاء الصباح ورد: «فسبحان من دَلَـع (أي أخـرج) لسـانَ الصباح بنُطق تَبَلُّجه، وسَرَّح قِطَع الليلِ المظلم بغياهبِ تَلَجْلُجه، وأتقنَ صُنعَ الفَلَكِ الدوّار في مقادير تَبَرُّجه (مِن الأبـراج)، وشَـعشعَ ضـياء الشمس بنور تأجُّجه».

يقول الدكتور (ا.ج. كرونين) الّذي بدأ حياته ملحداً إلى أن وضع أصابعه عَلى ينابيع الإيمان، وأصبح مؤمناً:

«إذا تأمّلنا الكون وأسراره وعجائبه، ونظامه ودقّـته، وضـخامته وروعته، لابدّ أن نفكر في إله خالق... مَن ذا الّذي يتطلّع إلى السماء في ليلة صيف صافية، ويرى النجوم اللانهائية تتألّق بعيداً بعيداً، ثـمّ لايؤمن بأن هذا الكون كلّه لايمكن أن يكون وليد الصدفة العـمياء! وعالَمنا هذا وهو يدور في الفضاء، في حركة دقيقة منظّمة، وفصول متتابعة، لايمكن أن يكون مجرد كرة مِن المادة خـالية مِـن الدلالة، نزعت مِن الشمس وألقيت في الفضاء، بلا معنى ولا سبب! [1]

---

١ ـ نفس المصدر / ص٥٩.

ويواصل الدكتور بيضون تحت عنوان **تشابه النوم والموت** يقول:

وكذلك تجد هذا التشابه بين اليقظة والبعث من القبور، سبحان الله هكذا يكتب الله لنا آياته لعلّنا نتفكّر. **﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاق وفي أنفُسِهِم حتىٰ يتَبَيّنَ لَهُم أنّهُ الحقّ أوَ لَم يَكْفِ بِرَبِّكَ أنّهُ علىٰ كلِّ شيءٍ شهيد * ألا إنّهُم في مِريَةٍ مِن لقاء ربّهِم ألاٰ إنّهُ بِكُلِ شيءٍ مُحيط﴾**[1] .

وهذا التشابه ورد في الحديث عن الامام محمد الجواد عليه السلام حينما سُئل: ما الموت؟ فقال: «هو النوم الّذي يأتيكم كلّ ليلة الا أنه طويل مدّته لاينتبه منه الا يوم القيامة...».[2]

ولأهمية هذا البحث من الناحية العلمية نقتبس هنا ممّا كتبه الدكتور لبيب بيضون في كتابه القيّم (الاعجاز العلمي في القرآن):

**﴿وجعلنا نومكم سُباتاً﴾:**

لقد بثّ اللهُ سبحانه في هذا الكون، العديدَ من آياته ومعجزاته، والمزيد مِن نعمه وعناياته... ومن أعظم تلك المعجزات خَلْقُ الإنسان، وما رافق حياته مِن صنوف التقدير والتدبير... فأحكم له حركة الأرض والشمس، ليكون منهما الأشهر والفصول كي تتم دورة الحياة والغذاء، فتزدهي الأشجار بثمارها، وتجري الأنهار بمياهها. ثمّ ليكون منهما الليل والنهار والظلمة والأنوار، فيكون النهار له كسباً ومعاشاً، والليل سَكَناً وراحة.

يقول تَعالىٰ جلّ مِن قائل:

---

١ـ فصلت ٥٣ ـ ٥٤.

٢. معاني الاخبار، ص٢٧٥.

**﴿وهوَ الَّذي جعلَ لكمُ اللّيلَ لِباساً والنَّومَ سُباتاً وجعلَ النَّهارَ نُشوراً﴾**.[١]

**﴿جعلَ لكمُ اللّيلَ لِباساً﴾**: أي ساتراً بظلامه كاللباس، تستترون فيه فلا يراكم رقيب.

**﴿والنومَ سُباتاً﴾**: أي راحةً وسَكَناً. فالله سبحانه جعل الليل بهدوئه وسكونه مجالاً لراحة الإنسان مِن تعب النهار وصخبه.

**﴿وجعلَ النَّهارَ نُشوراً﴾**: أي منشوراً للسعي والعمل. أو إنه جعل النهار وما اقترن به مِن اليقظة بعثاً ونُشوراً مِن النوم، فكأن النوم واليقظة كالموت والبعث، مصداقاً لقوله تَعالىٰ :

**﴿وهو الَّذي يتوفّاكم باللَّيل ويعلمُ ماجرحتُم بالنهار ثمّ يبعثُكم فيه﴾**.

ولقد أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الجانب مِن نعمة الليل في دعائه (دعاء الصباح) فقال:

**«الحمدُ لله الَّذي خلقَ الليلَ والنَّهارَ بقوّته، ومَيَّزَ بينهما بقدرته. وجعل لكلّ واحدٍ منهما حدّاً محدوداً، وأمَداً ممدوداً. يولج كلَّ واحدٍ منهما في صاحبه، ويولجُ صاحبَه فيه، بتقدير منه للعباد، فيما يغذوهم به ويُنشِئُهم عليه. فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه مِن حركات التعب ونَهَضاتِ النَّصَبِ، وجعله لباساً ليلبَسوا مِن راحته ومنامه، فيكون ذلِكَ لهم جَماماً وقوة، وينالوا به لذّةً وشهوة»**.

وفي الواقع لولا دوران الأرض حول نفسها مرةً كلَّ أربع وعشرين ساعة، وما ينشأ عن ذلِكَ مِن ليل ونهار وظلمة وضياء، لكان يخيّم علينا؛ إما الليل الدائم أو النهار المستمر، فلا تستقيم الحياة

---

١. سورة الفرقان، الآية ٤٧.

بأحدهما دون الآخر. وما ظنّك لو ظلّت الشمس في كبد السماء طوال الزمن تُسَلّط علينا أشعتها المحرقة دون أي انقطاع؟ إذن لهلك الناس والأنعام، ولم يبقَ في الأرض نبات ولا حياة... فالليل هو نعمة كبرى أنعمها اللهُ على الإنسان. إنّه سَكَنٌ له وهدوء، ورطوبة وهواء عليل، ثمّ إن فيه يحلو النوم والسبات ليستريح الجسم والأعصاب. وفي هذا يقول تَعالىٰ:

**﴿قُلْ أَرأيتُم إنْ جعلَ اللهُ عليكمُ النَّهارَ سَرمَداً إلى يوم القيامة مَن إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكم بِلَيلٍ تسكنونَ فيه أفلا تُبصرون ومِن رحمتِه جعلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه ولتبتغوا مِن فضلِه ولعلَّكُم تشكُرون﴾.**[١]

ويضيف قائلاً تحت عنوان **ضرورة الراحة للجسم**:

لا يستطيع أحد حتّى الآن أن يُقَدِّم جواباً شافياً يوضح السبب الَّذي مِنْ أجله نحتاج إلى إنفاق حوالي ثلث حياتنا في النوم. ويظهر كما لو أنّ المخ الَّذي يتمتّع بكفاءة عالية أثناء اليقظة، لايمكنه أن يستمرّ في العمل إلى ما لا نهاية. وبعد وقت يصبح عمله أقل جودةً، وفي نفس الوقت فإننا نبدأ في الإحساس بالخمول. ويبدو أن المخ يحتاج إلى فترة راحة، يستعيد فيها نشاطه بعد ما بذله من جهود، ويُعِدّ نفسه لاستقبال عمل جديد ويوم جديد.[٢]

وفي الواقع تتعب الجملة العصبية بمجموعها نتيجة القيام

---

١. سورة القصص، الآيتان ٧٢ ـ ٧٣.

٢. كتاب المعرفة المصورة ـ جسم الإنسان، ص١٧.

بـالأعمال الفكـرية والجسـمية المـجهدة. ولذلك يـحتاج الدمـاغ والأعصاب إلى الراحة لتستطيع طرد الفضلات الضارة النـاتجة عـن التعب، ولأخذ الغذاء اللازم والمناسب لها.

وخير استراحة للـجملة العـصبية هـي النـوم الَّـذي لا تسـتطيع الاستغناء عنه. ففي الوقت الَّذي يستطيع الإنسان البقاء بدون غـذاء عدة أيّام، لا يستطيع البقاء بدون نوم أكثر مِن ٢٤ ساعة، يضطر بعدها إلى النوم القهري، لانهيار جميع قواه وفـقد إرادتـه، مـمّا يـؤدي إلى استسلامه للنوم.[١]

ويتساءل تحت عنوان **ماهو النوم وكيف يحدث؟**

والآن يراودنا السؤال الأساسي عن النوم، وهو: ما هو النوم وكيف يحدث؟

إن الآية الكريمة في سورة (الزُّمَر) تحكي لنا بـلمسات مـوجزة حقيقة النوم وعلاقته بالروح، ووجه الشبه بينه وبين الموت، فتقول:

**﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوتها والتي لم تَمُتْ فـي مَـنامها فـيُمسِكُ الـتـي قَضىٰ عليْها الموتَ ويرسلُ الأُخرى إلى أجَـلٍ مُسَـمّى إنَّ فـي ذلِكَ لآيـاتٍ لقـوم يتفكَّرون﴾**.[٢]

الآية الكريمة تعلنها فكرة صريحة، أن النوم شبيه بـالموت، إنّـه موت مؤقّت.

---

١. كتاب العلوم الطبيعية للصف الثالث الإعدادي، تأليف: محمود بيك و عبدالكـريم العـطري وسليمان الأذن / ص٥٢.

٢. سورة الزمر، الآية ٤٢.

﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حينَ مَوتها﴾ النفس هنا هي الروح الوالجة في البدن. والآية تقول: إن الله سبحانه يُمسك هذه الروح في حالتين: حالة الموت وحالة النوم؛ بيد أنّه في حالة الموت ينزعها نهائياً مِن البدن، أما في حالة النوم فيجذبها جذباً جزئياً، فيبقى منها جزءٌ هو الَّذي يحرّك القلب والرئتين وبقية الحركات اللاإرادية، حركةً بطيئة ضعيفة. ثمّ إذا هو ترك الروح عادت كلّها إلى البدن، فعاد النائم إلى الوعي واليقظة، وعادت الحركة إلى قوتها ونشاطها السابق.

ويختم الدكتور بحثه تحت عنوان **التفسير العلمي لظاهرة النوم**:

بقي أن نتكلّم عن التفسير المادي لظاهرة النوم. كيف يحدث النوم، ولماذا يحدث عندما تتعب الأعصاب، وما هي آلية ذلِكَ؟

لقد جهد العلماء في دراسة حادث النوم وما بعد النوم. وقد توصلوا إلى أنّ جملةً مِن الظواهر تبدو في البدن مرافقة لحادثة النوم. منها جلاء كمية كبيرة مِن المحتوى الدموي الموجود في الرأس والدماغ، ونزوحه إلى بقيّة أجزاء الجسم، لتتمّ تنقيته في الرئيتين والكليتين... وبهذا تُفَسَّر رغبةُ المرء الكبيرة إلى النوم عندما يفرغ رأسه مِن الدم نسبياً، عَلى حساب زيادته في باقي أجزاء الجسم. مثال ذلِكَ بعد الطعام، فالمعدة عندما تمتلئ بالطعام تجذب كمية كبيرة مِن الدم إلى جهاز الهضم لتقوم بعملية الهضم، وعندما تقلّ كمية الدم في الرأس، فيشعر الإنسان برغبة في النوم. ويحدث الأمر نفسه بعد الخروج من الحمام، وبعد الاتصال الجنسي.

ويفسّر العلماء اليوم سبب حدوث النوم بأن تعبَ الجسم

والأعصاب والدماغ يرافقه زيادة في نسبة غاز الفحم في الدم، فتزيد نسبته في الدم الوارد إلى الدماغ، فيعمل ذلِكَ عَلى إخماله وإسكاره وشلّه، فلا يعود يقوىٰ عَلى التفكير والقيام بوظائفه الإرادية، فلا يجد أمامه غير النوم سبيلاً يتخلّص فيه مِن غاز الفحم ومن السموم الأُخرى، فيستعيد بذلك نشاطه وصحته نتيجة زيادة نسبة الأوكسجين في الدم.

وبهذا التعليل نجد الشبه الكبير بين الموت والنوم، فالنوم مرحلة أولىٰ مِن الموت، أمكن فيها للجسم أن يتخلّص مِن غاز الفحم المتزايد، وتبديله بالأوكسجين. أما إذا لم يمكن فعل ذلِكَ أفضىٰ النوم إلى الموت. وهذه هي الطريقة المتبعة في الإعدام بالغاز.[1]

فسبحان مَن خلق لنا نعمة النوم لاستجمام الراحة واستعادة النشاط، وما ذلِكَ إلا مظهر مِن مظاهر تقدير الله وتدبيره، ورأفته بنا ورحمته لنا: **﴿فطرةَ اللهِ الّتي فطرَ الناسَ عليها لا تبديلَ لخلق الله﴾**.[2]

نقل الله تعالى إنكار الكافرين ليوم القيامة أنهم يقولون: **﴿أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون﴾**؟!

ولكن الله ردّ عليهم بمنطق علمي واثق وهادئ: **﴿أيحْسَبُ الإنسانُ ألّن نجمَعَ عظامه * بلىٰ قادرين علىٰ أن نُسوّي بَنانَه﴾**[3] فالله سبحانه قادر على إرجاع بصمات البنان **﴿الأصابع والإبهام﴾** فضلاً عن رميم العظام. ومن الواضح علمياً أن أصعب جزء في أعضاء الجسم هو تشكيلة

---

١. لمزيد الاطلاع حول هذه المعجزة، راجع كراس (معجزة النوم والأحلام) للمؤلّف.

٢. سورة الروم، الآية ٣٠.   ٣ سورة القيامة: الآية / ٣ ـ ٤ .

البصمات على الإصبع. ولقد توصّل العلم الحديث في القرن التاسع عشر الى سرّ البصمة وقيمتها في معرفة هوية الأشخاص وراح القانون يوظفها لمعرفة المجرمين أيضاً، بينما القرآن الكريم ذكر هذه الحقيقة العلمية قبل اربعة عشر قرناً. ولن تجد في البشرية كلّها شخصين اثنين تتشابه بصماتهما، بل لكلّ واحد خريطته الخاصة في بصمات إبهامه وأصابعه، حتىٰ في التوائم الّتي هي من أصل واحد وبويضة واحدة. **﴿بلى قادرين على أن نسوّي بنانه﴾** سبحان الخالق القادر المتفرّد المهيمن آمنّا به خاشعين.

**● واقعة الحشر والنشر والناس ثلاثة**

إنها واقعة هكذا يبيّنها الله تعالى في سورة الواقعة :

**﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً * وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾**[1].

نعم .. ويخرج الناس من قبورهم في شكل الصفات الباطنية التي كانوا يعيشونها في الدنيا وحسب درجات القوّة والضعف عندهم في تلك الصفات . فهنا يكون الناس ثلاثة أصناف :

الصنف الأول: الصالحون ، وأسمتهم الآيات بأصحاب اليمين ،

---

(١) سورة الواقعة : الآية ١ ـ ١٤.

وأسمت الذين أعلى منهم في درجات القرب الإلهي والإيمان والتقوى بـ (السابقون) وهم يأتون بوجوه مبيضّة بالنور وفي هيئة الشباب وتستقبلهم الملائكة بحليّ السندس والياقوت والرياحين، تبشّرهم بالفوز وتدلّهم إلى حوض الكوثر.. جوار الأنبياء الذين يتقدمهم نبيّنا العظيم وأئمّة أهل البيت الذين هم بدورهم يرافقون الفائزين إلى الجنّة أو يأتون إليهم فيما بعد ويكونوا رفقاءهم في الجنّة. وهذا مايستفاد من قوله عزّوجلّ: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾**.

وعن المؤمنين يقول الامام علي عليه السلام: **«يخرجون من قبورهم يوم القيامة مشرقةً وجوههم، قرّت أعينهم، قد أُعطوا الأمان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون»**[(١)].

وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام نقرأ: « **اللهمّ اجعل نبيّنا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة أقرب النبيّين منك مجلساً، وأمكنهم منك شفاعة، وأجلّهم عندك قدراً، وأوجههم عندك جاهاً**».

الصنف الثاني: الكفّار والمنافقون وأهل البدع والضلالة، وأسمتهم الآيات بأصحاب المشئمة، وهم يأتون بوجوه مسودّة وفي غاية الذلّة والمهانة، يسوقونهم في السلاسل كالقطيع وتعمل فيهم السياط كالعبيد، وهم في اشكالهم يشبهون الكلاب والخنازير والقردة والحشرات، تبعاً لنوعية الرذيلة التي اتّصفوا بها في الدنيا.

---

(١) تسلية الفؤاد / راجع ص ١٦٠ـ١٦١.

وفي تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ في الصّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً﴾. نقل الشيخ الطبرسي ﷺ في مجمع البيان أن معاذاً سأل رسول الله ﷺ عن معنىٰ هذه الآية فقال ﷺ لقد سألتَ أمراً عظيماً ثم دارت في عينيه الدموع وقال: (يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميّزهم الله من المسلمين وبدّل صورهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يُسحَبون عليها وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم بُكْم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فيسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم أشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم يلبسون جباباً سابغة من قطرات لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس (أي النمّام) وأمّا على الذين صورة الخنازير فأهل السحت (كمن يغشّ في البيع والمعاملات التجارية) وأمّا المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصم والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلىٰ السلطان ـ يعني الجواسيس ـ والذين هم أشدّ نتناً من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم ـ مثل المترفين في الملاهي واماكن الدعارة وما اشبه ـ، والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء[1].

---

(١) مجمع البيان / ج١٠ ص٤٢٣.

وكذلك قال النبي ﷺ: **«ومَن بغىٰ على فقير وتطاول عليه واستحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذرّة في صورة رجل حتىٰ يدخل النار»**(١).

وورد عن الامام الباقر عليه السلام: **«يُحشَر المكذّبون بقدرة الله تعالىٰ من قبورهم قد مُسخوا قردةً وخنازير»**(٢).

الصنف الثالث: المسلمون العاصون المذنبون ، فهؤلاء يُخرَجون إلى ساحة الحشر ويُعَذَّبون بمقدار المعاصي والذنوب التي اقترفوها دون أن يخلّدوا في النار . وإذا شملتهم الرحمة الإلهية وجاءهم العفو من الله لسبب من الأسباب فذلك أمر آخر يقرّره ربّ العباد بحكمته ورحمته وفضله.

هذا ما تفيده الأحاديث والروايات المأثورة عن النبي وأهل بيته (عليه وعليهم السلام) وأمّا المطلوب منّا فهو أن نسعى لنكون من الصنف الأول وهم الصالحين والمؤمنين الذين يسعى نورهم بين أيديهم يوم القيامة سيّما منهم (السابقون السابقون).

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه : « **الحمد لله حمداً يُشرِّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد ، يوم تُجزىٰ كل نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون ، يوم لا يُغني مولاً عن مولى شيئاً ولا هم يُنصرون** » .

ويعلّمنا التضرّع إلى الله والإعتراف بالذنب حين الدعاء : « **اللهمّ صلّ على محمّد وآله ... ولا تفضحنا في حاضر القيامة بموبقات آثامنا وارحم بالقرآن في موقف العرض ذلّ مقامنا ... ونجّنا به من كل كرب يوم**

(١) بحار الانوار / ج٧ ص ٢١٤.
(٢) بحار الانوار / ج٧ ص ٢١٤.

**القيامة ، وشدائد أهوال يوم الطامّة وبيّض وجوهنا يوم تسودّ وجـوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة ... » .**

ويناجي الله تعالى:

**« مولاي وارحمني في حشري ... واجعل في ذلك اليوم مع أوليائك موقفي وفي أحبّائك مصدري وفي جوارك مسكني ، ياربّ العالمين » .**

**● أعمال صالحة تنفعك**

هذا وممّا يخفّف عليك شدّة الوحشة والرهبة حين الخروج مـن القبر والنشور إلى ساحات الحشر هو أعمالك في الدنيا اذا كانت كما يلي:

١ ـ كثرة قراءة القرآن الكريم وخاصّة سورة (القيامة) .

٢ ـ قراءة دعاء « لا إله إلّا الله ولا نعبد إلّا إيّاه مخلصين له الدين ولو كره المشركون » ألف مرّة طوال شهر شعبان كلّه .

٣ ـ قراءة دعاء (جوشن الكبير) في شهر رمضان .

٤ ـ حضور تشييع الجنائز .

٥ ـ تنفيس الكرب عن المؤمن وإدخال السرور عليه وكسوته .

هذه المستحبات الى جانب الواجبات وبـعد الفـراغ مـنها ومـع الرغبة الواعية في تطبيقها، هنالك تأتي بثمارها . وهنالك تتمكّن من الاجابة على أسئلة الساعة الأُولى في الخروج .

٦ ـ حبُّ آل محمّد. فعن النبي ﷺ: **«لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه؟ وشبابه فيمَ أبلاه؟ وعن ماله**

**من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه؟ وعن حبّنا أهل البيت»**[١].

وجاء في تفسير الزمخشري والرازي وهما من كبار علماء السنة، في ظلال تفسيرهما لآية المودة في سورة الشورى، هذا الحديث الطويل عن النبي ﷺ ومنه:

**«ألا ومَن مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومَن مات علىٰ حبّ آل محمد مات تائباً مغفوراً له، ألا ومَن مات على حبّ آل محمد ﷺ بشّره ملك الموت بالجنة، ألا ومَن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لا يشمّ رائحة الجنة...»**

٧ ـ الصلاة المقبولة. وهناك أحاديث تشير الى أهمية الصلاة والمواظبة علىٰ شروط صحتها، ومنها: **«أول ما يُحاسَب به العبد الصلاة، إن قُبِلتْ قُبِل ما سواها، وإن رُدّت رُدّ ما سواها»**[٢].

---

(١) الخصال: ص ٢٠٠ للشيخ الصدوق.        (٢) بحار الانوار / ج٨٣ ص٢٥.

## المحطّة السابعة :

# عن أهوال يوم القيامة

لك أن تسأل من باب ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾(١):

لماذا يوم القيامة ؟ وهل هو من الضرورة والحاجة ؟

أقول: مضافاً لما سبق تفكّر فيما يلي من الأدلّة العقلية والقرآنية ، فهنا أربعة أُمور :

**أوّلاً** : إنّ هذا الوجود الذي أوجده الله للإنسان، هل من الحكمة فيه أن ينتهي الإنسان بلا نتيجة ؟

والقرآن يقول : **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾**(٢).

**ثانياً** : بناءً على ذلك وحتّى يصل الإنسان إلى الهدف الأكبر من وجوده لابدّ من إحيائه بعد موته لإعطاءه النتيجة ، أليس هذا ما يحكم به العقل ؟

قال الله تعالى : **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾**(٣).

**ثالثاً** : هل من العدالة أن يساوي الله بينك وبين الذي ظلمك في الدنيا وأنت لم تستطع أن تأخذ منه حقّك؟

---

(١) سورة طه : الآية ١١٤.

(٢) سورة المؤمنون / ١١٥.

(٣) سورة النجم / ٣٩ـ٤٢.

ليس هذا من العدالة بالطبع . ولذلك يقول الله تعالى:﴿أمْ حَسِبَ الذينَ اجترَحوا السيِّئاتِ أنْ نَجْعَلَهُمْ كالّذِينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُون﴾ (١)

رابعاً : إنّ يوم القيامة عند الله يعني الوفاء بما وعد المظلوم ، ويعني فضله وعطاءه ، ويعني قدرته وعظمته ، ويعني رحمته وعدله، ويعني غلبته على طغاة التاريخ وانتصار وعده الحقّ ونهاية المطاف مع المخلوق . وبعد هذا فما قيمة الذي لا يؤمن بيوم القيامة ليعطّل الله هذه الأهداف والأُمور من أجله؟

﴿قُلْ لِمَنْ ما في السّماواتِ وَالأرضِ قُلْ لله كَتَبَ عَلىٰ نَفسِهِ الرَّحمَة لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلىٰ يومِ القيامة لا رَيْبَ فيهِ الذينَ خَسِروا أنْفُسَهُم فهُم لا يُؤمِنون(٢)﴾.

وفي الحديث القدسي أنّ اللهَ يقول: «أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر».

فاللهُ الرّحمن الرحيم وهو أكرم الأكرمين يريد القيامة لِيُنعش برحمته الواسعة كلّ مظلوم ويعيد اليه حقّه المهدور ويريه عدله الموعود ويخزي دعوىٰ المنكِرين: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(٣). ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٤). ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ

(١) سورة الجاثية/الآية ٢١.
(٢) سورة الانعام: الآية ١٢.
(٣) سورة القيامة / ٣ ـ ٤.
(٤) سورة الانفطار / ٤ ـ ٥.

**الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ * وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * إِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾**(١).

والآن حيث عرفنا ضرورة يوم القيامة ولو من أجل أن يخيف الله الظالمين والخونة والفسقة ولعلهم يهتدون في الدنيا أو يقلّلون من أفعالهم الإجرامية .. تعال لنستطلع معلومات هامّة حول هذا اليوم الرهيب:

● **ماذا أخبرنا القرآن الكريم**

يمكن الاستفادة من أسماء يوم القيامة ما لهذا اليوم من هول وخوف ورعب ورهبة ووحشة، وما يحدث فيه من أمورٍ ثقيلة. وقد جاءت هذه الأسماء في القرآن الحكيم بتناسب الموضوع ، وبعضها ورد في روايات المعصومين عليهم السلام مع الشرح . ونحن نأتي هنا بما جاء في القرآن الكريم مقتبسين ممّا رتّبه صاحب كتاب (كلم الطيّب) رحمه الله في (٤٤) آية كريمة ونعقّبه في النهاية بحديث جامع عن أمير المؤمنين عليه السلام وصف فيه ذلك اليوم الرهيب وصفاً يوقظ من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد:

---

(١) سورة يس / ٥٢ ـ ٦٤.

١ ـ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

كلمة (الساعة) توحي الدقّة في التوقيت والحتمية في الوقوع .

٢ ـ ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

كلمة (البعث) توحي الخروج والنهوض والحركة نحو الشيء المحدّد .

٣ ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾[٣].

كلمة (الحشر) توحي الإتيان بالشيء وإحضاره رغماً عنه.

٤ ـ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[٤].

كلمة (الجمع) و (التغابن) توحيان الحضور الكامل ومع كل الأطراف المتخاصمة والمتنازعة ، وأنه تكون النتيجة هي الإعلان عن غبن الطرف الذي ما كان يؤمن بيوم العدالة الإلهية ، وهنالك ستحلّ به الخسارة والندامة ويكتشف أنه مغبون وخاسر في حساباته.

٥ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَايُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[٥].

كلمة (الحساب) توحي الدقّة في الجزاء العادل .

٦ ـ ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[٦].

كلمة (التلاق) توحي تلاقي الناس ببعضهم ، إذ يصل كل مظلوم إلى ظالمه وجهاً بوجه ويمسك المقتول بقاتله يداً بيد، فلا يمكن الفرار والتهرّب .

---

(١) سورة غافر / ٥٩.
(٢) سورة الروم / ٥٦.
(٣) سورة يونس / ٢٨.
(٤) سورة التغابن / ٩.
(٥) سورة غافر / ٢٧.
(٦) سورة غافر / ١٥.

٧ ـ ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[١].

كلمة (التناد) توحي رؤية بعض الناس لبعضهم فينادي الطالب خصمه ليأخذ حقّه منه حيث لا مهرب .

٨ ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[٢].

كلمة (الآزفة) توحي الدخول والقرب من الشيء ، و (زفّة العروس) تأتي بهذا المعنى ، فالإنسان في ذلك اليوم قريب من الحساب ومباشر للمصير الأخير.

٩ ـ ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾[٣].

كلمة (الفصل) توحي فصل المطيعين عن المذنبين ، وتحمل مفهوم الحكم الحاسم بين المتخاصمين أيضاً .

١٠ ـ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٤].

كلمة (الطامّة الكبرى) توحي حدوث كارثة صعبة التوصيف وخارجة عن حدود الألفاظ . فهي لعظمتها تطم وتعلو على ضعف الإنسان فيصغر الإنسان أمام شدّة الحدث .

١١ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[٥].

كلمة (الموعود) توحي الصدق في الوعد والتأكيد على تحقيق الأمر والوفاء بالشيء.

١٢ ـ ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[٦].

كلمة (مشهود) توحي الحضور الميداني والرؤية بالمشاهدة العينية

---

(١) سورة غافر / ٣٢.
(٢) سورة غافر / ١٨.
(٣) سورة المرسلات / ٣٨.
(٤) سورة النازعات / ٣٤.
(٥) سورة البروج / ١ ـ ٢.
(٦) سورة هود / ١٠٣.

لكل الأُمور التي سوف تظهر من ستورها .

١٣ ـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[١].

كلمة (الدين) توحي الجزاء والحساب ، وفيه مفهوم العدالة والقدرة على تنفيذها وتدل على إلهية الميزان.

١٤ ـ ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ﴾[٢].

كلمة (القارعة) توحي الإصطكاك والضغط الهائل .

١٥ ـ ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾[٣].

كلمة (الحاقّة) توحي وقوع الحقّ وتجسيده وبيانه بكل جزئياته فليس للباطل في يوم القيامة محل من الإعراب والتأثير .

١٦ ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[٤].

كلمة (الواقعة) توحي الوقوع وتحقّق الحدث العظيم بما لا يدع للشكّ مكاناً .

١٧ ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

كلمة (الحسرة) توحي شدّة الندامة على الماضي بلا طريق للعودة والجبران والتعويض .

١٨ ـ ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾[٦].

كلمة (الندامة) توحي الأسف على التفريط السابق والاستسلام للأمر الواقع .

---

(١) سورة الفاتحة / ٤.
(٢) سورة القارعة / ١ ـ ٢.
(٣) سورة الحاقة / ١ ـ ٢.
(٤) سورة الواقعة / ١.
(٥) سورة مريم / ٣٩.
(٦) سورة يونس / ٥٤.

١٩ ـ ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[١].

كلمة (الجزاء) توحي الوفاء بالوعد والوعيد .

٢٠ ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[٢].

كلمة (النفخ) توحي السيطرة الكاملة على الموقف وسهولة التنفيذ لما يريده الخالق .

٢١ ـ ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[٣].

كلمة (النشور) توحي الإنبعاث الجماعي وفيه مفهوم الإيجاد رغم الإكراه .

٢٢ ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[٤].

كلمة (الراجفة) و (الرادفة) توحيان ـ حسب بعض التفاسير ـ رجفة في الأرض وزلزالها، ويرادفها إنشقاق السماء ، وفيه مفهوم الرعب الكوني .

٢٣ ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٥].

كلمة (الخزي) توحي انكشاف الحقيقة وظهور الفضيحة .

٢٤ ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[٦].

كلمة (عبوساً قمطريراً) توحي الكراهية والضجر من صعوبة الحال وافتضاح الأسرار .

---

(١) سورة المؤمن / ١٧.
(٢) سورة الأنعام / ٧٣.
(٣) سورة فاطر / ٩.
(٤) سورة النازعات / ٦ـ٧.
(٥) سورة النحل / ٢٧.
(٦) سورة الدهر / ١٠.

٢٥ ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً﴾[١].

كلمة (العرض) توحي الإظهار والعلن وشفّافية الموقف والمحاكمة .

٢٦ ـ ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٢].

كلمة (تتقلّب) توحي شدّة الخوف الذي يجعل الإنسان حائراً مرعوباً مرهقاً مضطرباً ينظر إلى أطرافه بغرابة ودهشة .

٢٧ ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[٣].

كلمة (المهل) و (العهن) توحيان ذوبان السماء وانبطاح الجبال، وفيه مفهوم الرعب الكوني أيضاً وهول الحوادث في ذلك اليوم المخيف .

٢٨ ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٤].

كلمة (تبدّل) توحي إثبات القدرة الإلهية وتفوّقها على كل القوىٰ البشرية.

٢٩ ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٥].

كلمة (الطي) توحي سهولة الأمر على الله لمّا يفعل بالوجود من تذويب وتقليب وتبديل فلا شيء علىٰ الاطلاق يمنع تصرّفه العادل في يوم القيامة.

٣٠ ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً﴾[٦].

---

(١) سورة الكهف / ١٠٠.
(٢) سورة النور / ٣٧.
(٣) سورة المعارج / ٨ـ٩.
(٤) سورة إبراهيم / ٤٨.
(٥) سورة الأنبياء / ١٠٤.
(٦) سورة النبأ / ٣٨.

كلمة (الصفّ) تعني الإصطفاف والنظم والطاعة عند منفّذي العمليات الأُخروية الواسعة وهم الملائكة الذين يطيعون الله ولا يعصون أمره.

٣١ ـ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[(١)].

كلمة (التكوير والإنكدار والسير) توحي التغيّرات العجيبة في ذهاب نور الشمس واختفاء النجوم وانتقال الجبال من أماكنها، وفيه مفهوم القدرة والغلبة الإلهية على كل شيء.

٣٢ ـ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[(٢)].

كلمة (الإنفطار) و (الإنتثار) و (الإنفجار) تعني تمزّق السماء وتناثر النجوم أو سقوطها وانفجار البحار وهيجانها وتموّجها بالفيضانات المرعبة.

٣٣ ـ ﴿إِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[(٣)].

كلمة (البرق) و (الخسف) و (الجمع) توحي خوف الإنسان وفزعه ممّا يرى، من خسوف القمر وتقاربه مع الشمس أو تصادمهما ممّا يجعل الإنسان يبحث عن ملجأ يفرّ إليه، ولكن لا مفرّ.

٣٤ ـ ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[(٤)].

---

(١) سورة التكوير / ١ ـ ٣.

(٢) سورة الانفطار / ١ ـ ٣.

(٣) سورة القيامة / ٧ ـ ١٠.

(٤) سورة طه / ١١١.

كلمة (العنت) توحي الخضوع والاستسلام وتخلّي الانسان عن الغرور والاستكبار في ذلك اليوم.

٣٥ ـ ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾(١).

كلمة (الخشوع) توحي قبول الأمر الواقع والاستسلام المطبق للإنسان المذهول .

٣٦ ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٢).

كلمة (الكشف) توحي ذلّة الطغاة وانكسارهم أمام قوّة الله الواحد القهّار.

٣٧ ـ ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾(٣).

كلمة (الأخذ) توحي غلبة الله وهزيمة المستكبرين وإحساسهم بالذلّة والإهانة حيث يُسحَبون من شعر رؤوسهم ومن أرجلهم .

٣٨ ـ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(٤).

كلمة (الإبيضاض) و (الإسوداد) توحي ظهور النتائج السارّة للفائزين والنتائج المخزية للفاسدين.

٣٩ ـ ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾(٥).

كلمة (العضّ) توحي شدّة الندم على فوات الفرص في الدنيا والتي أتلفها المذنبون في الإلتهاء بالحرام.

٤٠ ـ ﴿وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً﴾(٦).

---

(١) سورة طه / ١٠٨.
(٢) سورة القلم / ٤٢.
(٣) سورة الرحمن / ٤١.
(٤) سورة آل عمران / ١٠٦.
(٥) سورة الفرقان / ٢٧.
(٦) سورة الفرقان / ٢٦.

كلمة (العسير) توحي الصعوبة القصوى والشـدّة التـي مـا كـان يتصوّرها الإنسان المذنب.

٤١ ـ **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**(١).

كلمة (الختم) توحي الحصار وعدم وجود أيّة ثـغرة للـفرار وأنّ القضاء الإلهي حاسم في الحكم وكلّ الدلائل شاهدة عليه.

٤٢ ـ **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾**(٢).

كلمة (تبلىٰ) تعني بروز كل شيء كان خافياً ، فلا أسرار تبقىٰ إلّا وتتبلور على رؤوس الأشهاد.

٤٣ ـ **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾**(٣).

كلمة (الصاخّة) تعني شدّة الأصوات المزعجة التي تـصخ الآذان ويكاد الإنسان ينفجر من شدّتها .

٤٤ ـ **﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾**(٤).

كلمة (الدين) و (اليقين) توحي إلى الحقّ الأكيد والواضح الذي لا ريب فيه.

وتوجد في القرآن الكريم (خـمسون) آيـة أُخـرىٰ قـد وصـفت حالات الإنسان في يوم القيامة واليوم الآخر وما يـحدث فـي ذلك اليوم الشديد، وقد اكتفينا بعرض هذا العدد إيجازاً واختصاراً.

أخي القارئ : ومزيداً من التأمّل ولكي ترحم نفسك قبل أن تصل

---

(١) سورة يس / ٦٥.

(٢) سورة الطارق / ٩.

(٣) سورة عبس / ٣٣.

(٤) سورة المدثر / ٤٦ ـ ٤٧.

إلى نقطة الصفر وأنت على حافّة الموت ، إعلم أنّ القيامة واقعة مرعبة كبرىٰ لا ينقذك إلّا التوبة واستئناف العمل الصالح **﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾**(١).

إنّ هذه الحوادث الرهيبة والأهوال الشديدة، تنتظرنا علىٰ أبواب الموت، وإنّما ـ يا أخي العزيز ـ تدفعها عن نفسك أو تخفّفها عليك إذا اتّقيتَ الله في هذه الحياة من كل حرام وقبيح وظلم ومعصية ، فلا تظن أبداً أنّك تتخلّص منها وأنت مصرٌّ على السيّئات مسوِّف في التوبة . فمن دون التقوى لا يُدفَع عنك الهلاك أبداً ، يقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام : « **إنّ أمامكم عقبة كؤودة ، ومنازل مهولة ، لابدّ من الممرّ بها والوقوف عليها، إمّا برحمةٍ من الله نجوتُم ، وإمّا بمهلكةٍ ليس بعد الإنجبار** » .

ويقول عن حال أهل القبور بعد حشرهم إلى الحساب : « **قد شخصوا من مستقرّ الأجداث ، وصاروا إلى مصائر الغايات ، لكل دارٍ أهلها ، لا يستبدلون بها ولا يُنقَلون عنها** »(٢).

ويقول في وصف يوم القيامة : « **وذلك يومٌ يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال ، خضوعاً ، قياماً، قد ألجمهم العرق ، ورجفتْ بهم الأرض ، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ،**

---

(١) سورة القيامة : الآية ١ ـ ١٥.

(٢) نهج البلاغة : ص٢٨٧.

**ولنفسه متّسعاً»**(١).

ويقول حفيده الإمام الصادق عليه السلام : « **إنّ بين الدنـيا والآخـرة ألف عقبة أهونها وأيسرها الموت** » .

هذه هي المعلومات الحقيقية وليس بـعدها إلّا جـهل وتـخرّص وضلالة وحسرة وندامة وضياع.

● **متىٰ يوم القيامة ؟**

أسئلة: هل نحن بالقرب من النهاية، هل يوم القيامة قريب منّا؟ و هل ليوم الآخرة علامات؟

لقد طرح القرآن الكريم هذه الأسئلة وأجاب عليها، مـنها قـوله تعالىٰ: ﴿**عَمَّ يتساءَلُونَ * عنِ النّبأ العظيمِ * اَلّذي هُـمْ فـيه مُـختَلِفُون * كـلاّ سيعْلَمونَ * ثمّ كلاّ سَيَعْلَمون**﴾(٢).

أقول: إن علم الساعة عند الله وحده، و لكن العلامات مذكورة في بعض الأحاديث، و كثيرة هي العلامات التي يعيشها أكثر المسـلمين في زماننا مع الأسف الشديد، فماذا يريد المسلمون الذين تحققت بهم و فيهم تلك العلامات أن يفعلوا ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ في الصّور فَتأتونَ أفواجـا * وفُتِحَتِ السماءُ فَكانَت أبوابا * وَسُيِّرَتِ الجِبالُ فكانَتْ سَرابا * إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرصادا * للطّاغينَ مآبا**(٣)﴾ وكيف يكونون عندما يشاهدون بأمّ أعينهم ﴿**اذا السماءُ اَنفطَرَتْ * وإذا الكواكِبُ اَنتَثَرَتْ * وإذا البحارُ فُجّرتْ * وإذا القُبوُرُ**

---

(١) نهج البلاغة : ص١٨٨ ـ ١٨٩.	٢ ـ سورة النبأ : الآية / ١ ـ ٥.

(٣) سورة النبأ: الآية ١٨ ـ ٢٢.

**بُعْثِرُتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قدّمت وأخّرتْ﴾**[١].

إنّه لمن الأسف علىٰ الانسان المسلم أن يغفل عن هذه الساعة، وهي ساعة قادمة لامحالة.

لقد باتت سلوكيات أكثر المسلمين دالّةً علىٰ غفلتهم عن هذه الساعة، فالعلامات التي وردت في أحاديث كتب السنّة والشيعة تنطبق علىٰ الكثيرين، فهل من تائبٍ؟ إنّ من الأهميّة في عقيدتنا أن نراقب أحوالنا أيّها المؤمنون كيلا نتلوّن بهذه العلامات:

١ ـ قال النبي ﷺ: **اِقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَلايَزْدادُ النّاسُ عَلَى الدُّنْيا اِلاّ حِرْصاً وَلا تَزْدادُ مِنْهُمْ اِلاّ بُعْداً.**[٢]

٢ ـ عنه ﷺ: **اِنَّ مِنْ أشْراطِ السّاعَةِ أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَظْهَرَ الجَهْلُ وَيَفْشُو الزِّنا وَيُشْرَبَ الخَمْرُ وَيَذْهبَ الرِّجالُ وَيَبْقي النِّساءُ حَتّىٰ يَكُونَ لِخَمْسينَ امْرَأةً قَيِّمٌ واحِدٌ.**[٣]

٣ ـ عنه ﷺ: **بَيْنَ يَدَي السّاعَةِ أيّامُ الهَرَجِ.**[٤]

٤ ـ عنه ﷺ: **بَيْنَ يَدَيِ السّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ.**[٥]

---

١ ـ سورة الإنفطار : الآية / ١ ـ ٥.

٢. المستدرك على الصحيحين: ٣٢٣/٤ عن عبدالله بن مسعود، كنز العمّال: ٣٨٣٣٥/١٩١/١٤، الدر المنثور: ٢٣٨/٣.

٣. صحيح البخاري: ٢٨/١ عن جابر بن سمرة، سنن ابن ماجة: ١٣٤٣/٢، سنن الترمذي: ٣٣٣/٣، مسند أحمد بن حنبل: ١٧٦/٣ كلّها عن أنس بن مالك.

٤. مسند أحمد بن حنبل: ٤٣٩/١ عن عبدالله، كنز العمّال: ٣٨٣٧٠/١٩٨/١٤، مجمع الزوائد: ٣٠٧/٧ نحوه.

٥. كنز العمّال: ٣٨٤٤٦/٢١٥/١٤ نقلاً عن لامستدرك على الصحيحين: ٤٣٨/٤ عن أنس بن مالك نحوه، مجمع الزوائد: ٣٠٨/٧ عن الحسن.

٥ ـ عنه ﷺ: ثَلاثَةٌ إذا رَأَيْتَهُنَّ فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُومُ السّاعَةُ: خَرابُ العامِرِ وَعِمارَةُ الخَرابِ وَانْ يَكُونَ المَعْرُوفُ مُنْكَراً وَالمُنْكَرُ مَعْرُوفاً وَأَنْ يَتَمَرَّسَ الرَّجُلُ بِالأمانَةِ تَمَرُّسَ البَعيرِ بِالشَّجَرَةِ.(١)

٦ ـ عنه ﷺ: كُلُّ ما هُوَ آتٍ قَريبٌ.(٢)

٧ ـ عنه ﷺ: كُلُّ نَفْسٍ تُحْشَرُ عَلىٰ هَواها، فَمَنْ هَوَى الكَفَرَةَ فَهُوَ مَعَ الكَفَرَةِ وَلا يَنْفَعُهُ عَمَلُهُ شَيْئاً.(٣)

٨ ـ عنه ﷺ: لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىٰ يَكُونَ الزُّهْدُ وَالوَرَعُ تَصَنُّعاً.(٤)

٩ ـ عنه ﷺ: لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتّىٰ يَمُرُّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يالَيْتَني مَكانَهُ.(٥)

١٠ ـ عنه ﷺ: مِنْ أَشْراطِ السّاعةِ الفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ وَقَطيعَةُ الرَّحِمِ وَتَخْوينُ الأمينِ وَإيتِمانُ الخائِنِ.(٦)

---

١. كنز العمّال: ٣٨٤٩٢/٢٢٣/١٤ نقلاً عن ابن عساكر عن محمد بن عطيّة وراجع: المعجم الكبير: ٥٤٥/٢٤٣/١٩.

٢. الكافي: ٣٩/٨٢/٨، الفقيه: ٥٨٦٨/٤٠٣/٤، نهج البلاغة الخطبة: ١٠٣، مستدرك الوسائل: ٤٦٨٤/٢٧١/٤ نقلاً عن أمالي الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام؛ سنن ابن ماجة: ٤٦/١٨/١ عن ابن مسعود، السنن الكبرى: ٢١٥/٣ عن ابن شهاب.

٣. المعجم الكبير: ٨٩٧٨/١٣/٩ عن جابر، كنز العمّال: ٢٤٨٥٢/٤٤/٩، مجمع الزوائد: ١١٣/١ نحوه.

٤. حليلة الأولياء: ١١٩/٣ عن أبي هريرة وفيه «الزهد رواية»، كنز العمّال: ٣٨٤٩٠/٢٢٣/١٤.

٥. صحيح مسلم: ١٨٢/٨، كنزّ العمّال: ٣٨٤٨٧/٢٢٣/١٤، كتاب الموطأ: ٢٤١/١، مسند أحمد بن حنبل: ٢٣٦/٢ كلّها عن أبي هريرة.

٦. المعجم الأوسط: ١٣٥٦/٩٣/٢ عن أنس وفيه «الأرحام» بدل عن «الرحم»، كنز العمّال: ٣٨٤٦٨/٢٢٠/١٤، مجمع الزوائد: ٢٨٤/٧.

● **أعمال صالحة تنفعك**

إذا أردت اجتياز عقبات يوم القيامة والخروج من أهوالها بسلام وسرور ، التزم بتقوى الله واعمل بالواجبات واترك المحرّمات وتطوّع بما يلي:

١ ـ قراءة سورة « يوسف » في كل يوم أو كل ليلة .

٢ ـ قراءة سورة « العصر » في الصلوات المندوبة .

٣ ـ الإكثار من قراءة سورة « الغاشية » وسورة « النصر » في الصلوات الواجبة .

٤ ـ الالتزام بقراءة هذا الدعاء : « **أعددتُ لكلِّ هولٍ لا إله إلاّ الله، ولكلِّ همٍّ وغمٍّ ما شاء الله ، ولكلِّ نعمةٍ الحمد لله ، ولكلِّ رجاءٍ الشكر لله ، ولكلِّ أعجوبةٍ سبحان الله ، ولكلِّ ذنبٍ أستغفر الله ، ولكلِّ مصيبةٍ إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ولكلِّ ضيقٍ حسبي الله ، ولكلِّ قضاء وقدرٍ توكّلت على الله ، ولكلِّ عدّةٍ اعتصمت بالله ، ولكلِّ طاعة ومعصية لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم** » .

٥ ـ جاء في الحديث أنّ من قال عصر يوم الجمعة سبع مرّات : «**اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد الأوصياء المرضيّين بأفضل صلواتك وبارك عليهم بأفضل بركاتك والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته**» ردّ الله عليه من كل عبد حسنة وكان عمله في ذلك اليوم مقبولاً وجاء يوم القيامة بين عينيه نور .

٦ ـ زيارة العتبات المقدّسة وخاصّة قبر النبي ﷺ .

٧ ـ إعطاء الصدقة .

٨ ـ المسح على رأس اليتيم .

٩ ـ الحبّ في الله .

١٠ ـ إجلال ذي الشيبة المسلم .

١١ ـ إغاثة الملهوف .

١٢ ـ إذا مات في السفر إلىٰ الحرمين الشريفين .

١٣ ـ الدفن في الحرم المكّي .

١٤ ـ اجتناب شهوة حرام . قال ﷺ : « مَن عَرضتْ له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عزّوجلّ حرّم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالىٰ : ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[1].

١٥ ـ كظم الغيظ وإطفاء الغضب .

١٦ ـ تسديد الدَيْن وأداء الأمانة .

١٧ ـ الارتباط بالقرآن الكريم وما لذلك من آثار تربوية على سلوكنا وفي الآخرة . يقول الإمام زين العابدين عليه السلام : « **اللهمّ صلّ على محمّد وآله ... وجنّبنا به** ـ أي بالقرآن ـ **الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق وأعصمنا به من هوّة الكفر ودواعي النفاق حتّى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً** » .

١٨ ـ إطالة قنوت الصلاة . قال النبي ﷺ : « أطولكم قنوتاً في دار الدنيا أطولكم راحة يوم القيامة في الموقف »[2].

ويصحّ أخذ القنوت هنا بمعناه العام أي الوقوف في طاعة الله.

١٩ـ البكاء على مصيبة الإمام الشهيد المظلوم الحسين بن علي عليه السلام.

---

(١) سورة الرحمٰن / ٤٦ .

(٢) ثواب الأعمال : ص ٥٥ .

٢٠ ـ البكاء آناء الليل في حين الاستغفار والصلاة.

٢١ ـ ولاية الإمام علي عليه السلام. إذ صرَّحت روايات كثيرة أن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومحبته أمان من أهوال يوم القيامة، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام «يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون وفيكم نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[1]».

٢٢ ـ حسن الظنّ بالله تعالى، ففي الحديث: **«لا يموتنّ أحدكم إلاّ وهو يحسن الظنّ بالله فإنّ حسن الظنّ بالله ثمن الجنّة»**[2].

---

(١) تفسير الصافي: نقلاً عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار / ج٨١ ص٢٣٥، آداب الاحتضار.

## المحطّة الثامنة :

# عن تطاير الكتب وصحائف الأعمال

قال الله سبحانه : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * إقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[١]. وقال أيضاً : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾[٢] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[٣]. وقال : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً﴾[٤]. وقال : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٥].

تدلّ هذه الآيات بوضوح لا يدانيه شكّ ولا ريب على أنّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الدنيا تُكتَب حتّى مع نواياه القلبية ونتائجها الممتدّة على الآخرين وبدقّة متناهية ، سواءً كانت أعمالاً صغيرة أو كبيرة، صالحةً كانت أو غير صالحة ، وتُعرَض على صاحبها ليستيقن بنفسه ما فعل من خير ومن شرّ .

وكذلك يؤيّد وجود هذه الرقابة الصارمة والشفّافية في العدل والحساب قوله عزّوجلّ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

---

(١) سورة الإسراء / ١٣ ـ ١٤.
(٢) سورة الانفطار / ١٠ ـ ١١.
(٣) سورة التكوير / ١٠.
(٤) سورة الانشقاق / ١٠ ـ ١٢.
(٥) سورة الكهف / ٤٩.

**قَعِيدٌ* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[١].

وتكنولوجية التصوير والتسجيل في عصرنا ، والتطوّر الإلكتروني في مجال الرصد والرقابة الخفيّة وعجائب عالم البصمات والذبذبات الهوائية والكمبيوتر وأجهزة الرادار والأقراص المدمّجة (السـيديات) كل ذلك قد ساعد على سهولة الإعتقاد بما عند الله من قوىٰ غـيبية وغير مرئية تعمل الرصد بدقّة متفوّقة عالية الآفاق وشـاملة الأبـعاد حتى قال سبحانه في ما أوصىٰ به لقمان ابنه: **﴿يابُنَيّ إنَّها إن تَكُ مِثْقَالَ حَبّةٍ مِن خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرةٍ أو فِي السَّمَاواتِ أو فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَـبير﴾**[٢] وصفة اللطف في الله تعالىٰ تقتضي النفوذ الدقـيق وبعمق، وهو خبير يعني مطّلع على كلّ الجزئيات والجزئيات، فليست هناك ملفات سرية ولا قضايا قد عملها المتآمرون خلف الكـواليس إلّا تطفو علىٰ السطح والعلن ويفتضح الجميع.

ويصف ذلك اليوم الوثائقي المسجَّل قائلاً : **(يوم يأتي كل نفس معها سائق وشهيد )**.

ويشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في دعائه : **«ولا تكشف عنّا ستراً سترته على رؤوس الأشهاد يوم تبلو أخبار عبادك ...»**.

ويقول : **« اللهمّ صلّ على محمّد وآله ... وارزقني فوز المعاد وسلامة المرصاد »**.

فهناك كشف لما وراء الأستار ، وإظهار للأخبار ، ورصد للأسرار وإظهار وإشهار ، وهناك من يسوق الإنسان إلى الحساب ومعه شاهد

---

(١) سورة ق / ١٧ـ١٨.

(٢) سورة لقمان / ١٦.

عليه من نفسه وجلده وأعضاء بدنه التي عصىٰ بها ربّ العالمين وأكل بها حقوق الناس . فياله من محكمة جاهزة!

فعلى الإنسان إذن قبل الوصول إلى هذه المرحلة أن يراقب نواياه وأعماله ويجعلها صادقة مع الله وصالحة عند الناس ، وليثق بعدئذ أنّه إذا سلك هذا الطريق وحتى اذا صدرت عنه في الأثناء سيّئة على وجه السهو والغفلة أو في حالٍ من الضعف والانهيار أمام النفس الأمّارة بالسوء فإنّ الله نظراً لنقائه الأوّلي وتجسيداً لعفوه وكرمه سيبدّل تلك السيّئة حسنة بعد الاستغفار والتوبة .

هذا ما قاله سبحانه : **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**[1].

وكذلك صغائر الذنوب من غير الإصرار عليها سيمحيها الله إذا كان المؤمن متجنّباً كبائرها وغير مصرّ على تلك الصغائر.

قال سبحانه : **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾**[2]

والمفهوم من هذه الآية ان السيئات هي الصغائر بقرينة التقابل.

وكم يسعد الإنسان المؤمن حينما يستلم صحيفة عمله فيجدها مشرقة بالحسنات والله قد ضاعفها له ، ونعوذ بالله من صحيفة مليئة بالسيّئات والكبائر وعليها غضب الله .

قال الله عزّوجلّ : **﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ـ يعني إيمانهم في عالم الذرّ ـ **فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا**

---

(١) سورة الفرقان / ٧٠. (٢) سورة النساء / ٣١.

**خَالِدُونَ* تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ﴾**(١).

فالكتب الحاوية لكل ما فعلناه في حياتنا من حسنة وسيئة تُفتَح بين أيدينا فنشاهد فيها أنفسنا وتصرّفاتنا كلّها ، مثل الأفلام الوثائقية القديمة التي نشاهدها علىٰ شاشة التلفاز ولكنها عند الله (ملوّنة ودقيقة) ويمكنه اعادتها لنا بعرضٍ بطيء!

قال الله الشاهد العادل محدِّثاً عمّا يكون عليه موقف الفائزين والخاسرين في يوم القيامة : **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ اقْرَءُوا كِتَابِي * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه﴾**(٢).

فعلى العاقل أن يراقب نفسه حتّى في الخلوات والغرف المغلقة أن لا يعصي الله ربّه.

فليتصوّر لو كانت عدسة (الكاميرا الخفيّة) مسلّطة عليه وهو لا يدري إذ يفعل القبيح ويجني على دنياه وآخرته والآخرين ثمّ ينكشف سرّه عندما يُعرَض (الفيلم) عليه وعلى مشهد الناس وباللقطات البطيئة.

فماذا تقول إذا قال الله لك : أما تستحي؟!

إنّه ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: « **إستحيوا من الله حقّ الحياء ، مَن استحيىٰ من الله حقّ الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلاء ، ومن أراد الآخرة ترك**

(١) سورة آل عمران / ١٠٦ ـ ١٠٨.
(٢) سورة الحاقّة / ١٩ ـ ٢٥.

زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقّ الحياء »[١].

فهنيئاً لمن يبيضّ وجهه بالسرور والفرح، وتعساً لمن يسودّ وجهه يوم أمرُهُ يُفتَضَح. (اللهمّ أعذنا من هذا فأنت أرحم الراحمين).

## المحطّة التاسعة :

# عن الحساب والميزان

ثم ينتقل الإنسان مع صحيفة عمله إلى قاضي العدل وهو الشاهد على كل شيء والعالم بما تُخفي الصدور ، وعليه شهود من جوارح الإنسان نفسه ، فأين المفرّ من الحقيقة وما هو التبرير الذي قد يتذرّع به المقصّرون في أداء الواجبات الشرعية وما هو يكون موقف الذين ظلموا بأي شكل من الأشكال وتحت أي غطاء وبأي مقدار!

أُنظر إلى الجواب : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٢].

إنّ المسائلة في ذلك الموقف صارمة والأمر بالتوقيف لا مجاملة فيه ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٣] وليس في التوقيف استثناء للمذنبين ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤] فلا واسطة قادرة على تمرير اهل المعاصي وتهريبهم الى الجنة !

---

(١) نهج الفصاحة / ج١ ص٣٤٢.
(٢) سورة الأنبياء / ٤٧.
(٣) سورة الصافات / ٢٤.
(٤) سورة الحجر / ٩٢-٩٣.

ولذلك نبّهنا رسول الله ﷺ قائلاً : « **حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا وزِنُوها قبل أن تُوزَنوا** » .

فمن الحريّ بنا أن نتمسّك بتعاليم هذا الرسول الكريم ﷺ حتّى نصل إلى أقلّ القليل ممّا وصله الأمين محمّد ﷺ .

فهل نريد أن نكون ذلك (الإنسان الظلوم الجهول) أم ذلك (الإنسان الكريم المخلوق في أحسن تقويم)؟!.

وتأكّد ياأخي إذا ما خطوت إلى الله خطوة واحدة فإنّه يأتيك عشراً، إنّه هو القائل : **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**(١).

ويعلّق الإمام علي ﷺ هنا نظراً لهذه الآية قائلاً : « **ويلٌ لِمَن غلبتْ آحاده على عشراته** » .

فالميزان الالهي لن يخطأ أبداً، تتم به العدالة في الحساب والنتيجة، وقد أقامه ربّ العباد ليريهم عدله وعظمته وقدرته وتدبيره وما وعد به العباد ، وهو القائل في محكم كتابه الكريم: **﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾**(٢).

**● السؤال والمسؤولية**

يمكنك أيها القارئ العزيز أن تبعث ما يثقل ميزان حسناتك وتنقذ نفسك من خزي الخاسرين ، إذا عرفت الآن عمّا يسألك الله غداً فتقوم

(١) سورة الأنعام / ١٦٠.　(٢) سورة الأعراف / ٨ـ٩.

بالعمل به، فهو عزّوجلّ يسأل عن الأمور التالية:

١ ـ النعم التي أنعمها عليك في الدنيا، خاصّة نعمة السمع والبصر والفؤاد ، أين وضعتها؟

بعض الناس مثلاً يستخدم نعمة السمع في الأغاني والغيبة والأباطيل ، ويستخدم نعمة البصر في النظر إلى الأفلام الإباحية والخلاعية والتطلّع إلى أعراض الناس في الشارع، ويستخدم نعمة الفؤاد في نشر الأفكار الضالّة والتخطيط للعلاقات المحرّمة وإيذاء الناس؟

وأمّا أنت فاسأل نفسك أين تضع هذه النعم . فقد قال خالقها العظيم : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[١] فليكن جهدك مصبوباً في الاتجاه الذي لا تخجل غداً حينما يسألك الله عن أفعالك واتجاهك.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[٢].

٢ ـ الصلاة . هل أقمتها صحيحة مقبولة أم تهاونت فيها وفي شروطها ومعرفة معانيها ؟

فاذا كان بعض الناس مثلاً من القسم الثاني فلا تنس أن تجعل نفسك من القسم الأوّل .

٣ ـ القرآن الكريم ، هل قرأته ، وتدبّرت في معانيه ، وعملت بهداه وتعاليمه أم وضعته للديكور أو عرّضته للغبار وأحياناً للتبرك القشري الهزيل؟

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦.　(٢) سورة السجدة / ١٢.

أرجو أن تكون ممن لم يقفلوا قلوبهم علىٰ معاني هذا القرآن العظيم وبصائر نوره الحق المبين.

٤ ـ المحرّمات ، كالكذب والنميمة والغيبة والافتراء وقتل النفس والزنا واللواط والسحاق وشرب الخمر والنظر إلى النساء الأجنبيات وأكل الربا وغير ذلك ... هل تلوّثتَ بها أم انغمست فيها؟

فإيّاك منها وإياك...

٥ ـ العهود والعقود المحلّلة ... كيف كان موقفك منها ، هل التزمت بالوفاء أم خُنتَ فيها ؟

أتمنّىٰ أن تكون من الأوفياء دائماً .

٦ ـ فرائض الله ، كالحجّ والصوم والزكاة والخمس والجهاد ... هل امتثلتها؟

قل نعم ، وإلّا تحرّك لامتثالها قبل فوات الفرص وحضور الموت.

٧ ـ حقوق الناس والوالدين والزوج والزوجة والجيران والفقراء والأيتام والعلماء ، وهي حقوق متبادلة ، كيف كنت في تعاملك معها؟

هل كان تعاملك فيها كما أمرك الله أم كنت من المقصّرين لا سمح الله ؟.

إنّ الصالحين لم يقصِّروا في حقوق الآخرين، فكُن منهم إن شاء الله.

٨ ـ صرف العمر والشباب ... قد تمّ في أي تجاه ؟

عساك صرفته في الخير وانجاز ماذكرناه .

٩ ـ حبّ أهل البيت عليهم السلام بمعناه الصادق ، هل كنت صادقاً فيه عمليّاً ؟

أرجو لك ذلك.

١٠ ـ اكتساب المال وموارد صرفه ، هل كان من الحلال إلى الحلال أم من الحلال الى الحرام أو من الحرام الى الحلال أو من الحرام الى الحرام ؟

فهذه الحالات الثلاثة الأخيرة محرمة وعليك أن تجيب قبل يوم الحساب وحضور الميزان .

تأمّل أيّها القارئ فهذا قرآن الله الصادق يخبرك بكل ذلك ويبشّرك كما يحذّرك : **﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾**[(١)].

والباقي عليك فأي الطريقين تختار ؟

### ● أعمال صالحة تنفعك

مضافاً إلى ما سبق فقد بيّن الإسلام لمنتميه أُموراً يُثقَل بها الميزان وربما دخلوا بها الجنّة بغير حساب . وهي من بعد العمل بالواجبات وترك المحرّمات كما يلي :

١ ـ إكثار قراءة سورة « القيامة » .

٢ ـ الصلاة على محمد وآل محمد . قال الإمام الرضا عليه السلام : « **مَن لم يقدر على ما يكفّر به ذنوبه فليُكثِر من الصلاة على محمّد وآل محمّد فإنّها تهدم الذنوب هدماً** » .

٣ ـ حبّ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام .

٤ ـ زيارة الإمام الرضا عليه السلام الى خراسان.

---

(١) سورة القارعة / ٦ـ١١.

٥ ـ سقي الماء للعطاشىٰ . وخاصّة في مواكب عزاء الإمام الحسين عليه السلام ومجالسه الرثائية. ففي الحديث أنّ: «مَن سقىٰ يوم عاشوراء كان كمن سقىٰ أصحاب الحسين في كربلاء».

٦ ـ حُسْن الخُلْق . فقد ورد في الحديث : « **ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخُلْق** » .

٧ ـ الصبر على الحقّ والاستقامة على الإيمان . قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[1].

٨ ـ إخلاص النيّة في العمل . فلقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله : «**إنّ لله عباداً عاملوه بخالصٍ من سرّه ، فشكر لهم بخالصٍ من شكره ، فأُولئك تمرّ صحفهم يوم القيامة فُرَّغاً ، فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرّ ما أسرُّوا إليه** » .

---

(١) سورة الزمر / ١٠.

## المحطّة العاشرة:

# عن الصراط إلى الجنّة أو النار

تفيد الروايات واقوال المفسرين أن الصراط في يوم القيامة له عدّة معاني تلتقي كلها في معنى واحد هو العلم التوحيدي الذي يـرافـقه العمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى. فالسير علىٰ ضوء هذا العـلم وهذا العمل سير دقيق وصعب في نفس الحين لأنّه صـراط وطـريق يؤدي الى الجنة، ويجعل بعده العقبات كلها من الاحتضار والسكرات والنزع والقبر والبرزخ والحشر والنشر سهلاً مقضيّةً، وعـلى العكس يكون الجاهل الفاسق والعالم الفاسد حـيث بـمقدار الالتـزام وعـدم الالتزام يلاقي صعوبات الطريق في الآخرة.

هذه خلاصة الفكرة الصحيحة حول مفهوم الصراط كما تقرأها في البحث التالي:

قال الله تعالى: ﴿وإنَّكَ لَتَهْدِي إلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ[١]﴾

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أن النبي ﷺ خطّ خطّاً وعن جنبيه خطوطاً ثم تلا الآية وأشار الى الخط المستقيم ، فالمستقيم هو صراط

---

(١) سورة الشورىٰ: الآية ٥٢ ـ ٥٣.

التوحيد الذي سلكه جميع الأنبياء والأوصياء وأتباعهم، والخطوط المعوجة هي طرق أهل الضلال[١].

والسؤال هنا: كيف نطمئن الىٰ أننا نسير على الصراط المستقيم ونمشي في الاتجاه الصحيح؟ فما من أحد يدعي صراطه أنه مستقيماً؟

الجواب: حيث أن الصراط ـ كما أسلفنا ـ عِلْمٌ نافع على التحقيق وعمل صالح بوجه دقيق ـ حسب الاستطاعة والتوفيق ـ فانه لابد للانسان فيه من قائد وأمير وإمام مبين يأخذ بيده اليه. فما دام الهدف هو الطاعة لله تعالى والعمل وفق أوامره للحصول علىٰ جنته ورضوانه الاكبر فكان الرسول محمد هو القائد والأمير والإمام من غير شك.

ولكن الاستمرار على نهجه وفي هذا الصراط وعلى مرّ العصور كان قد جعل الرسول ﷺ يعيّن من يقوم بدوره في الأمة الى يوم القيامة، فمنه كانت ضرورة الإمامة التي لم يكن لها أهل الّا مَن تربّىٰ في بيته الطاهر من كل رجس، ولذلك قال ﷺ باتفاق جميع المسلمين: «مَن مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» فعلىٰ هذا الأساس لم يكن أقرب وأشبه برسول الله ﷺ من الامام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ومن بعدهم التسعة المعصومين من ذرية الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين). فهؤلاء هم قادة الصراط المستقيم، وهذا ما قاله الامام علي عليه السلام: **«أنا الصراط الممدود بين الجنة والنار»**[٢] . وقاله حفيده الامام الصادق عليه السلام:

---

(١) تفسير الدر المنثور ٣: ٥٧ للسيوطي. (٢) بحار الانوار /ج٨ ص ٧٠.

«الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين»[١] .

وبيّنه في حديث آخر بشيء من التفصيل قائلاً: **«هو الطريق الى معرفة الله عزّ وجل وهي صراطان صراطٌ في الدنيا وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة، مَن عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومَن لم يعرفه في الدنيا زلّتْ قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنم»**[٢] .

وحينما نجد في الحياة صعوبة الالتزام بخط النبي محمد ونرى كثرة الفتن التي اصابت المسلمين في الموقف من أهل بيته، نعرف حقيقة الحديث الوارد عنه ﷺ: **«الصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف وأظلم من الليل»**[٣] .

وللشيخ الفيض الكاشاني ؒ كلام دقيق في توضيح هذا المعنى، حيث كتب: إنّ في كمال الإنسان في سلوكه إلى الحقّ منوط باستكمال قوّتيه: أمّا العلميّة فبحسب إصابة الحقّ في الأنظار الدقيقة التي هي أدقّ من الشعر في المعالم الإلهية... وأمّا العمليّة فبحسب توسّط القوة الشهوية والغضبية والفكرية في الأعمال لتحصيل ملكة العدالة، والتوسّط الحقيقي بين الأطراف المتضادّة بمنزلة الخلوّ عنها، والخلوّ عن المتضادّات منشأ الخلاص عن الجحيم والالتحاق بالملائكة وهي أحدُّ من السيف[٤].

---

(١) معاني الأخبار / ص٣٢.
(٢) معاني الأخبار / ص٣٢.
(٣) تفسير القمي / ص٧٢٤.
(٤) علم اليقين / ج٢ ص٩٦٩.

ويؤيد هذا الكلام ما جاء في كتاب المستدرك: إن الصراط يظهر يوم القيامة للأبصار على قدر المارّين عليه فيكون دقيقاً في حقّ بعض، وجليلاً في حقّ آخرين، وإنّهم يعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم مَن يُعطىٰ نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم مَن يُعطىٰ نوره أصغر من ذلك، ومنهم مَن يُعطىٰ نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم مَن يُعطىٰ نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يُعطىٰ نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويطفئ مرة فإذا أضاء قدّام قدمه مشىٰ وإذا طفئ قام. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام: **«الناس يمرّون على الصراط طبقات، والصراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عَدْوِ الفرس ومنهم من يمرّ حبواً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً»**[2].

والسرّ كلّه يعود الى الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله ووصيّه علي بن أبي طالب كما ذكره الثعلبي والطبري والحمويني في تفاسيرهم عند الآية ﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾ قالوا انهم مسؤولون عن ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام. وبناءً عليه فقد أورد الشيخ الصدوق رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: **«يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلّا من كانت معه براءة بولايتك»**[3].

---

(١) سورة التحريم / ٨.

(٢) الامالي، للصدوق / ص١٧٧.

(٣) معاني الأخبار / ٣٢.

وهنا قصة معبّرة ذكرها الشيخ النوري في كتاب المستدرك وذكرها الشيخ عباس القمي في كتاب (منازل الآخرة / ص١٥١ ـ ١٥٢) وهي أن: قرية قريبة من مدينة الحلة ـ في العراق ـ كان فيها متولّي المسجد وأسمه محمد بن أُذينة يأتي يومياً وحسب عادته إلى المسجد وفي أحد الأيام لم يحضر إلى المسجد، فسألنا عن حاله قيل إنه راقد في البيت تعجّبنا كثيراً لأنه كان سليماً معافىً في الليلة السابقة فذهبنا إلى عيادته فرأيناه في حالة يُرثىٰ لها قد احترق بدنه ويُغمىٰ عليه بين الحين والآخر، سألته عما حدث له فقال: ليلة البارحة رأيت في عالم الرؤيا الصراط وأُمرت أن أعبر عليه، في البداية كان المسير مريحاً ولكنه بدأ يضيق بالتدريج فصرت أسير ببطء وبحذر شديد كي لا أقع وكانت ألسنة النيران السوداء تتصاعد من جهنم والناس يتساقطون فيها كورق الخريف، وفجأة رأيت أن الصراط قد انهار تحت قدمي كالشعرة وجذبتني النيران إليها، فسقطتُ في وادي جهنم فحاولت الخلاص ولكن دون جدوىٰ فقد كانت النار تجرّني إلى الأسفل، ولما يئست من النجاة خطر في قلبي أنني كلما سقطتُ في الماضي استغثت بعلي عليه السلام فقلت: **«أغثني يا مولاي يا أمير المؤمنين»** فأُلهمت أن أنظر إلى الأعلى فرأيت سيّداً يقف إلى جانب الصراط فمدّ يده إليّ وجذبني إلى الأعلى فقلت: سيّدي لقد احترقتُ فأنقذني فمسح بيده المباركة من الركبة إلى أعلى الفخذ، فاستيقظت من النوم فرأيت أن الموضع الذي مسح عليه الإمام صحيح سليم لكن بقية أجزاء بدني تحرقني بشدّة. وبقي هذا الرجل في فراشه ثلاثة أشهر يعاني من شدّة الألم ويختلف إليه الأطباء ويعالجوه بأنواع

الأدوية والأدهان حتى تحسّنت صحته وثبت على جسده لحم جديد[١].

ونستنتج من هذا البحث بأنّك ياأخي القارئ ـ إن سلكتَ في حياتك هنا طريق الله المتمثّل في تعاليم الإسلام والقرآن والرسول وأئمّة أهل البيت فقد سلكت طريق الجنّة ، وعلى العكس يكون العكس أيضاً إلّا إذا عفىٰ الله عنك لأسباب هي في حيازته واختصاصه الربوبي .

ثمّ والمستفاد من الآية ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[٢]. أنّ المؤمنين أيضاً واردون النار من فوق جسر الصراط المنصوب عليها إلى الجنّة ، فَمَن كان منهم في هذه الدنيا سالكاً تلك العقائد الحقّة يستطيع العبور إلى الجنّة سالماً وهو يرىٰ أهل النار كيف يسقطون الىٰ قعرها ويحترقون ويتعذّبون.

وكما قلنا أنّه حسب المستفاد من الروايات أيضاً إنّ سرعة الحركة على هذا الجسر (الصراط) ترتبط بمقدار القوّة الإيمانية ومستوى الإلتزام العملي للإنسان بالدين في حياته الدنيا . فالنجاة تكون لهؤلاء، في حين أنّ السقوط إلى النار يكون للظالمين وأهل الفسق والفجور.

ويؤيّد هذا الرأي قوله تعالى : ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ

---

(١) نقلاً عن كتاب المحاضرات النادرة / ص ٨٠ تأليف الشيخ البصري .

(٢) سورة مريم / ٧١ ـ ٧٢.

**فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾**(١). فالزحزحة تعني القرب من النار وضيق الطريق الىٰ الجنّة. وإنّما النجاة السهلة هي لمن لم يغتر بالدنيا حتىٰ يخرج منها سالماً في دينه وتقواه.

● **أعمال صالحة تنفعك**

إنّ ما يعينك لاجتياز هذا الصراط الصعب حتّى تدخل الجنّة سالماً مبتهجاً هو ما يلي:

١ ـ الارتباط الوثيق مع القرآن الكريم . يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه : « **اللهمّ وثبّت به** (أي بالقرآن) **عند اضطراب جسر جهنّم يوم المجاز عليها زلل أقدامنا** » .

٢ ـ صلاة الليلة الأُولى من شهر رجب بعد فريضة المغرب ، وهي عشرون ركعة (عشر صلوات ذات ركعتين) في كل ركعة بعد «الحمد» تقرأ سورة « الإخلاص » مرّة واحدة . فقد قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ من صلّاها : « **حُفِظ في نفسه وأهله وماله وولده وأُجير من عذاب القبر ، وجاز على الصراط كالبرق الخاطف من غير حساب** »(٢).

٣ ـ صوم ستّة أيّام من شهر رجب .

٤ ـ حبّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، فقد قال : « **أثبتكم على الصراط أشدّكم حبّاً لأهل بيتي** » .

٥ ـ زيارة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام المدفون في مقبرة البقيع . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**مَن زاره في بقيعه ثَبُتت قدمه على الصراط يوم تزلّ الأقدام** » .

---

(١) سورة آل عمران / ١٨٥.
(٢) إقبال الأعمال / ج ٣ ص ١٧٨.

٦ ـ صِلة الأرحام .
٧ ـ حفظ الأمانة وأدائها .
٨ ـ خدمة المستضعفين والدفاع عنهم عند السلطان ، فقد قال النبي ﷺ : « **أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته ، فمن أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته ثبّت الله قدميه على الصراط يوم القيامة** » .

وفي الحديث أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام : « **مَن مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوّفه ، كان له مثل أجر الثقلين ، الجنّ والإنس ومثل أعمالهم** »[1].

وذلك مشروط بأن لا تزلّ قدماه عند السلطان فيخسر نفسه ويخسر أجر «**أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر** » . فالقضية تبقىٰ صعبة وإنّما يخرج منها سالماً كلّ من امتحن الله قلبه بالتقوى وزهدٍ في الدنيا.

(١) وسائل الشيعة : ج١١ ص٤٠٦ .

## المحطّة الحادية عشر :
## عن وصف الجنّة وأهلها

ما نفهمه من الآيات والروايات وهما المصدران الموثّقان للأخبار الغيبية ، هو أنّ النعيم درجات صعودية في الجنّة ، كما أنّ العذاب دركات نزولية إلى النار . وأمّا الذين ليسوا مؤمنين وليسوا كفّاراً فقد خصّ الله أمرهم بنفسه ، حيث قال : ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]. فلا يحقّ لنا أن نقدّم تحليلاً وتفسيراً فيما لا يعنينا أمره وننصب أنفسنا قسماء الجنّة والنار .

ولعلّ ما تشير الأحاديث إلى وجود منطقة وسطىٰ بين الجنّة والنار إنّما هو اختصاصاً لمثل هؤلاء، وللذين لم يتوفّقوا في الدنيا إلى الإيمان والعمل الصالح لأسبابٍ مثل التخلّف العقلي والبلاهة والإعاقة البدنية والقصور غير العمد والاستضعاف الاضطراري وكذلك أطفال الأُسَر الكافرة ، ولربما أولاد الزنا أيضاً حيث لايعاقبهم الله بذنب أبوَيْهِم إن أحسنوا في ايمانهم وعملوا صالحاً وهو يقتضي العدل كما عدم وضع هؤلاء في درجة متساوية مع المؤمنين الذين تحمّلوا مسؤولياتهم الإيمانية في الحياة الدنيا وأُوذوا في سبيل الله . (هذا والله العالم).

وبعد هذا التمهيد وبيان هذا الاستثناء نطالع معاً الآيات المتضمّنة

---

(١) سورة التوبة / ١٠٦.

لأوصاف الجنّة وأحوال أهلها ، جعلنا الله وإيّاكم من أهل الجنّة بجاه محمّد وآله الاطهار البررة.

وهنا مسألتان وإجابتان:

المسألة الأُولى : هل الجنّة والنار مخلوقتان الآن أم سوف تُخلَقان بعد وقوع القيامة؟

نعتقد بوجودهما الفعلي ، وذلك بدليل رؤية النبي ﷺ لهما في معراجه ، حيث قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾**(١).

وبدليل الآية : **﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**(٢) و **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾**(٣). وكذلك قوله تعالى : **﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**(٤). وقوله تعالى : **﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**(٥). فإنّ كلمة (أعدّ) و (أعدّت) تفيد معنى الإنجاز والتحقيق والفعلية.

المسألة الثانية : هل الحالة التي يدخل بها الإنسان الجنّة أو النار حالة جسمانية مادّية أم هي حالة روحانية مثالية ؟ وهكذا بالنسبة للذّات الجنّة أو عذاب النار هل هما مادّيان محسوسان أم روحيان معنويان ؟

كذلك حسب الأدلّة القرآنية والروائية نعتقد بأنّها حالات

---

(١) سورة النجم / ١٣ ـ ١٥.

(٢) سورة التوبة / ١٠٠.

(٣) سورة الحديد / ٢١.

(٤) سورة البقرة / ٢٤.

(٥) سورة آل عمران / ١٣١.

جسمانية ملموسة ، والإنسان هو نفسه يتلذّذ من نعيم الجنّة إذا كان من أهلها ، وهو نفسه يتعذّب من جحيم النار إذا كان من أهلها .

﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيّ يُمْنىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثىٰ أَلَيْسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ عَلىٰ أنَ يُحْيِيَ الْمَوْتىٰ﴾[1]

فمن الثابت بآيات القرآن الحكيم واحاديث النبي محمد ﷺ وأهل بيته المنتجبين عليهم السلام أن الحشر في يوم القيامة يتم بأجسامنا التي نحن فيها اليوم، فيدخُل الصالحون الجنة بأجسامهم كما يُدخَل الفاسدون النار بأجسامهم، الا أن أهل الجنة حيث لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم فإن الله يحوّلهم الى هيئة الشباب الأصحّاء في أجمل صورة ولكن بنفس الإحساس والشعور الذي نحن فيه مع التكامل ضمن درجات الجنة والتي تتبع درجات صلاحنا وسعينا في العمل الصالح هنا .

ومن الثابت في عقيدتنا أن اللذّات في الجنة ـ كما العذاب في النار ـ على نوعين :

١ ـ نوع روحي ونفسي .

٢ ـ نوع جسمي وحسّي .

فالروحي والنفسي لأهل الجنة، من مثل النظر الى رحمة الله ورضوانه ولطفه وفضله وعظمته وعطائه. والسرور المترتب على رؤية ومرافقة النبي الاكرم ﷺ وائمة أهل البيت عليهم السلام وسائر الانبياء والاوصياء والشهداء والصالحين والصدّيقين من العباد .

---

(١) سورة القيامة /.

قال الله تعالى: ﴿حَسُنَ أولئِكَ رَفِيقاً﴾[١].

واما اللذات الجسمية والحسّية، فالأكل والشرب والجنس والقصور والمناظر الخلّابة وأنواع اللعب والمرح والطقس الربيعي اللطيف والهواء العطر مضافاً إلىٰ طعم الحريّة والحصول علىٰ جميع المشتهيات والشهوات الصحيحة.

وبالنسبة للعذاب يكون نفس الشيء، حيث يعيش المشركون والمذنبون الحسرة والفشل والكآبة وتأنيب الضمير والأسف والندامة، وعلى المستوى الجسدي يلاقون الضرب والحرق والألم الشديد .

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِم نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[٢] ولن يجد المستحقون للعذاب مفرّاً، لأن أعضاء بدنهم تنطق عليهم بالاعتراف حتى اذا قرّروا الصمت !

يقول الله الخالق القادر على كل شيء: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِم وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

وهكذا نجد الامام عليٍّ عليه السلام يعظنا: «يا عباد الله إنّ أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم بما لا طاقة لكم به ولا صبرٌ لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله واتركوا ما كره الله»[٤]

(١) سورة النساء / ٦٩ يراجع.
(٢) سورة النساء / ٥٦.
(٣) سورة يس / ٦٥.
(٤) بحار الانوار/ج٦ ص٢١٩.

**● لذّات أهل الجنّة**

وأمّا عن لذّات أهل الجنّة فقد قال الله تعالى : **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**(١) فهي المفاجئة الإلهية والجائزة التي يعجز التصوّر البشري عن وصفها وإدراكها . وكما قال النبي ﷺ : « **فيها ما لا عين رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر** » .

وتلك اللذّات قياساً لما يتقلّب فيه أهل الدنيا لا يمكن المقارنة بينهما، فقد قال خالقها وخبيرها وكريمها عز وجل **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**(٢).

والآية التالية أيضاً ترشدنا إلى ما نقوله: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾**(٣).

وتبيّن الآيات التالية المزيد من أبعاد هذه العقيدة، حيث يقول الله سبحانه: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**(٤) **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾**(٥) **﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ**

---

(١) سورة السجدة / ١٧.
(٢) سورة العنكبوت / ٦٤.
(٣) سورة الرعد / ٣٥.
(٤) سورة الزخرف / ٧١ ـ ٧٢.
(٥) سورة الواقعة / ١٧ ـ ٢١.

**وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾**(١) **﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً﴾**(٢).

وأمّا خدم الجنّة فغلمان لا يكبرون ولا يشيبون ، يقدّمون لأهل الجنّة من كؤوس الخمر الذي لا يصدِّع ولا ينزف عن شاربه عقله ويسلبه وعيه. وفي الجنّة أنهارٌ من ماءٍ لم يتغيّر، وأنهار من لبن لا يحمض ، وأنهار من خمر لذيذ لا يُسكِر، وأنهار من عَسَلٍ خالص، وكلّ أنواع الثمار والفواكه . إنّه يوم فوزٍ للمتّقين ، عندما يدخلون بساتين الجنّة وتحيطهم فتيات كواعب الثدي ناهدات، وفي سنٍّ واحد وجمال ساحر، يقدّمن إلىٰ أهل الجنة كؤوساً فيها من الشراب الطيّب والإبتسامة الترحيبيّة النرجسيّة الأخّاذة، وهم لا يسمعون فيها اللغو والهراع والكذب والإفتراء وأنواع الدجل والإتّهام.

وتصف الآية التالية ملابس أهل الجنّة قائلة : **﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾**(٣) **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾**(٤).

وكما نعرف، أنّ اللون الأخضر من أبهىٰ الألوان ، والسندس أي الثوب الرقيق ، والإستبرق هو الغليظ منه ، يلبسنها الحور العين لأهل الجنّة حسب رغبتهم ويتكئون على سرير الحُجلة المزيّنة للعرّيس على هيئة الملوك ومهابة الأُمراء .

---

(١) سورة محمّد / ١٥.
(٢) سورة النبأ / ٣١ـ٣٤.
(٣) سورة الكهف / ٣١.
(٤) سورة فاطر / ٣٣.

وتصف الآية التالية فراشهم : ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(١).

يعني بطانة الفراش غليظةٌ ، وثمار الجنّة متدانية الىٰ داخل القصر ومتقاربة منهم، تتناولها اليد بلا تعب.

وتصف الآية التالية أثاث قصورهم : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(٢).

يعني عند الأسرّة المرفوعة ترىٰ الأكواب الموضوعة والنمارق أي المساند مصفوفة بشكل رائع ، والزرابيّ هي البساط الفاخر كما قاله بعض المفسّرين .

والآية التالية تصف هندسة مساكنهم : ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(٣).

والآية التالية تصف زوجاتهم : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾(٤).

أي إنّهنّ فتيات باكرات جاهزات لم يلمسهنّ أحد قبل ذلك. فليست كبعض بنات عصرنا يتزوجن بعد تجربة المحرمات والتي تصل بعضها إلىٰ فضّ البكارات وتخييطها لليلة الزواج الأخير والخداع الماكر!

يالها من خزي وضياع ، أعاذنا الله من ذلك وصان أعراضنا وشرف فتياتنا المؤمنات من فواحش المجتمعات الكافرة التي بدأت تغزو مجتمعاتنا.

---

(١) سورة الرحمٰن / ٥٤.
(٢) سورة الغاشية / ١٣ـ١٦.
(٣) سورة الزمر / ٢٠.
(٤) سورة الرحمٰن / ٥٦ـ٥٨.

ويصف القرآن الكريم المغريات الجنسية المحلّلة عند أهل الجنّة قائلاً:

**﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾**(١) **﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾**(٢).

ولعل من يثير سؤالاً هنا: هل اللذّات في الجنة خاصة للمؤمنين الرجال، إذن لماذا لم يذكر الله تعالى في آياته عن اللذّات التي أعدّها للمؤمنات؟

ونقول في الجواب: إن الله عفيفٌ ويحبّ العفاف حتىٰ في الكلام، ويريد الله أن يعلّمنا الحياء كذلك، فليس من العفاف والحياء أن يتطرّق سبحانه بلذّات المؤمنات ومالهنّ منها في الجنّة. ولكن العدل الإلهي قد دلّنا الىٰ ما للمؤمنات مثل ما للمؤمنين. فما كل ما يُعلَم يُقال!! وهذا ما ألمَحَتْه الآيات التالية ولم تصرِّح لجهة السبب المذكور:

**﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**(٣).

ولا يسمعون من بعضهم إلّا الكلام الطيّب ، فلا لغو ولا كذب ولا خلافات ولا حسد ولا بغضاء . **﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾**(٤). **﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً﴾**(٥).

وكما ترى ياأخي القاريء وأختي القارئة في الآية **﴿أنتم**

---

(١) سورة الرحمن / ٧٠ ـ ٧٤.
(٢) سورة الواقعة / ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) سورة الزخرف / ٦٩ ـ ٧١.
(٤) سورة الحجّ / ٢٤.
(٥) سورة النبأ / ٣٥.

وأزواجكم﴾ فانه ليست نِعَم الجنّة واللذّات فيها خاصّة للرجال المؤمنين فقط بل هي حتّى للنساء المؤمنات بلا تفاوت، ولربّما بالنسبة للعازبات في الدنيا من أهل الجنّة يكون لهنّ أزواج من شبّان في أروع صور الجمال وهم ما أسمتهم الآيات بـ ﴿ولدان مخلّدون﴾ مقابل ﴿حور العين﴾ التي هي للرجال وإن كانت كلمة (حورُ العين) ليست خاصّةٌ بالإناث كما يتصوّرها بعض الناس، بل تُطلَق علىٰ الذكور أيضاً. وقد تفيد الآية﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أنّ المؤمنين وزوجاتهم المؤمنات يمكنهم الاستمرار في علاقاتهم الزوجية كما يشتهون ويقررون بأنفسهم، وهم في أجمل شكلٍ وصورةٍ تفوق جمال حورُ العين. ولعلّ المؤمن والمؤمنة أيضاً حينما يدخلان الجنّة يتحوّلان إلىٰ النفس الواحدة التي خلقا منها أوّل مرّة وبعدها تتزوّج (هذه النفس) الحورَ العين. (والله العالم)

وآيات تصف لقاءات أهل الجنة وتسامرهم وضحكهم على أهل النار الذين كانوا في الدنيا يضحكون علىٰ المؤمنين. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وإِذَا مَرّوا بِهِمْ يَتَغَامزُونَ * وإذا انْقَلَبُوا إلىٰ أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِين * وإذا رَأوْهُمْ قَالُوا إنَّ هؤلاء لَضَالّون * ومَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِم حَافِظِين * فاليَوْم الَّذِين ءامَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُون * عَلىٰ الأَرائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الكُفّارُ مَاكَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] فهؤلاء في النار داخلون إذن ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا

---

(١) سورة المطفّفين / ٢٩ـ٣٦.

**نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ**[١]. هكذا يبيّن أهل النار أسباب دخولهم فيها ، إنّها:

١ ـ ترك الصلاة.

٢ ـ نبذ المساكين .

٣ ـ اتّباع الشائعات .

٤ ـ إنكار يوم القيامة .

أجل.. فقد انتهى زمن الحزن والخوف والقمع والاضطهاد والمطاردة . هنا دار الجنّة وإنّما كان الحزن في دار الدنيا دار الظَلَمة والمترفين.

وترى الآية التالية تصف تحيّتهم : **﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[٢].

إذن فاللذّات كلّها مادّية وملموسة في الجنّة ولا يتنعّم بها إلّا أهلها وبأجسامهم التي تكون شابّة ولن تهرم ولن تشيب ولن تسقم ولن تموت ، **﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾**[٣]

ومع ذلك كلّه ، ترىٰ لا مانع لدى الله الكريم إذا أرادوا المزيد من مشتهيات وشهوات أن يعطيهم، وهو القائل : **﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾**[٤].

وأخيراً إنّ أهل الجنّة لما يروا هذا الفضل العظيم وهذه اللذّات

---

(١) سورة المدثر / ٣٩ـ٤٦.

(٢) سورة يونس / ١٠.

(٣) سورة الدخان / ٥٦.

(٤) سورة ق / ٣٥.

العجيبة يرفعون أصواتهم بالحمد والشكر إلى الله تعالى:

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾(١).

أخي .. أُختي : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٢).

وكيف يكون التنافس الى ذلك؟

إنما بالايمان الصادق وبالعمل الصالح والسعي وبذل الجهد الكبير، وهذا ما يفهمه جيداً الرياضيون والمتسابقون في التجارة والدراسة. أما الكسالىٰ النائمون والمتفرّجون فليس نصيبهم الا الفشل. ولذا قال ربنا للراغبين الى الجنة ودرجاتها ﴿لِمِثْلِ هَذا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُون﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر / ٣٤ـ٣٥.

(٢) سورة المطفّفين / ٢٦.

(٣) سورة الصافات / ٦١.

## المحطّة الثانية عشر :

# عن أوصاف النار وأحوال أهلها

في البدء نستعيذ بالله من النار ومن الذنوب التي تكبّنا في النار على وجوهنا ، ونستجير به عزّوجلّ من سوء العاقبة وممّا يستدرجنا الشيطان به إلى النار الحارقة.

**«فأسألك اللهمّ بالمخزون من أسمائك وبما وارته الحُجُب من بهائك، إلاّ رَحِمْتَ هذه النفس الجزوعة ، وهذه الرمَّةِ الهلوعة التي لا تستطيع حرّ شمسك فكيف تستطيع حرّ نارك »**[١] .

ثمّ ياأخي العزيز :

لا تمرّ على الآيات التالية في وصف النار من غير تدبّر في معانيها ، ومراجعة النفس وحالاتها ومعرفة الواجبات على ضوئها ، ثمّ العمل .. إنّما العمل .. العمل مع الإخلاص ، والإخلاص لأجل الخلاص .

فخذ هذا التحذير من الله الى الذين آمنوا (مثلي ومثلك): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[٢].

---

(١) من دعاء لمولانا الامام زين العابدين عليه السلام .

(٢) سورة التحريم /٦.

ولقد عرفتَ من المعلومات السابقة أنّ الدنيا ساحة لسباق المؤمنين إلى الجنّة ، وقد رسم لنا طريقها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : **«ينبغي للعاقل أن يعمل للمعاد ويستكثر الزاد قبل زهوق نفسه وحلول رمسه»** وقال : **« إشتغالك بإصلاح معادك ينجيك من عذاب النار »** .

إذن.. لم تُخلَق أنت للنار إلا اذا أوقعتَ نفسك فيها، وأنّىٰ لك أن تصبر عليها وتتحمّل حرقها وأنت لا تستطيع على حرق نارٍ في الدنيا لرأس إصبعك؟!

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله الحريص على نجاتنا والرؤوف بنا وبهنائنا يقول : **« أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه »**[١].

فهل يتحمّل الواحد منّا هذه النار؟!

● **عذاب أهل النار**

فلنتدبّر في الآيات التالية التي تبيّن أنواع وصنوف العذاب علّها تقوّي فينا جدار المناعة وتبعدنا عن المعاصي وما يسخط الله الذي قال: **﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾**[٢] أعاذنا الله وإيّاكم منه، إنما ذلك للأثيم الذي صرّح له ربنا تعالى **﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً * وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾**[٣].

ليس في القضية هزل، فالذين لعبوا في الدنيا بكل ما استطاعوا

---

(١) نهج الفصاحة ج٢ ص٧٨٧.
(٢) سورة الدخان / ٤٣ـ٤٦.
(٣) سورة المزمّل / ١٢ـ١٣.

اليه من سبيل لو أعطوا مجالاً أطول للبقاء لطلبوه بل طلبوا الخلود ليزدادوا ظلم العباد ونشر الفساد ، إنهم بالفعل يستحقّون البقاء والخلود ، ولكن ليس في الدنيا بل في قبورهم وبئس المصير ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾(١).

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾(٢) أليس هكذا كانوا يفعلون بالمؤمنين والأبرياء ويعذّبونهم حتىٰ الموت ولكن الله كان لهم بالمرصاد حيث يقول: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾(٣) وأما أسيادهم ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾(٤) وأمّا الحقراء فيؤتىٰ بهم أذلّاء ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾(٥) وإذا بالخطاب الإلهي يصعقهم : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾(٦) ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾(٧) انهم كانوا في الدنيا يستهزؤن بالدين والتقوىٰ ويتكبّرون علىٰ النصيحة والموعظة ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً

---

(١) سورة إبراهيم / ١٦ ـ ١٧.
(٢) سورة محمّد / ١٥.
(٣) سورة الكهف / ٢٩.
(٤) سورة الحج / ١٩ ـ ٢١.
(٥) سورة إبراهيم / ٤٩ ـ ٥٠.
(٦) الحاقّة / ٣٠ ـ ٣٢.
(٧) سورة الملك / ٧ ـ ٨.

وَزَفِيراً * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾[١] ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[٢] حيث لا شيء يعطونهم الا من هذه الشجرة التي تمزّق أحشائهم ولا يموتون ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[٣] ويستغيثون معتذرين ويأتي الجواب ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[٤] ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾[٥] فما هو ذلك اليوم ؟ إنّه ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٦] وتبدأ اعترافاتهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٧] وبذات الأسلوب يتعامل الجلادون مع الأبرياء في الدنيا فليذوقوا الأشدّ منه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٨].

والله يستهزىء بذلّتهم وخزيهم في النار حينما يقول في كتابه: ﴿وَلَو تَرىٰ إِذ الظَّالِمُونَ في غَمَراتِ المَوْت وَالملائِكَةُ باسِطُوا أيديهِم أَخْرِجوا أَنفُسَكُم اليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ بِما كُنتُم تَقُولُونَ عَلىٰ اللهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنتُم عَنْ ءَايٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعآءَكُمُ الَّذينَ زَعَمْتُم أَنَّهُم فيكُم شُرَكاء

---

(١) سورة الفرقان / ١١ ـ ١٣.
(٢) سورة الصافات / ٦٢ ـ ٦٦.
(٣) سورة ق / ٣٠.
(٤) سورة الجاثية / ٣٤.
(٥) سورة البقرة / ١٦٧.
(٦) سورة الفرقان / ٢٧.
(٧) سورة المؤمنون / ١٠٦ ـ ١٠٨.
(٨) سورة المن / ٥٢.

لَقَد تَقَطَّعَ بَينَكُم وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُم تَزعُمُونَ (١)﴾.

وتبيّن الآيات التالية أنّ أهل النار صنفان ، صنف هم الحثالات التي كانت تنفّذ الأوامر ، وصنف هم الشخصيات الكبيرة صانعة القرارات، ففي يوم القيامة يتشاجر الأسياد والعبيد في محضر الله عزّوجلّ ﴿وَبَرَزُوا للهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾(٢).

وأمّا قائدهم المؤسّس فماذا عن موقفه وماذا يقول؟

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

أجارنا الله وإيّاكم ياأهل الدين والغيرة من هذه العاقبة السوداء، ولنعلم أنّ أهل النار هؤلاء لا يموتون بهذا العذاب كله بل يتعذّبون ويتألمون وهم أحياء دون أن يخفّف الله عليهم العذاب ، هكذا جاء في كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾(٤) وهم يحاولون مَن يتوسط لهم، ولا أحدٌ يتوسّط. هكذا قال الله الواحد الأحد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ

(١) سورة الانعام: الآية ٩٣ـ٩٤.

(٢) سورة إبراهيم / ٢١.

(٣) سورة إبراهيم / ٢٢.

(٤) سورة فاطر / ٣٦.

رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾(١).

هذه هي الصورة الحقيقية على مسرح النار هناك ، وقد جاء القرآن على لسان النبي محمّد ﷺ ليوقظنا في الدنيا حتى لا نصل الى تلك الصورة فنكون جزءاً من وقود النار، لذلك أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيّه محمّداً ﷺ ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَىٰ * الَّذِي يَصْلَىٰ النَّارَ الْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾(٢) فلنكن قبل الموت ممن يستنصحون بالذكرىٰ ويخشون النار الكبرىٰ ويأبون أن يكونوا من ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾(٣).

● **لماذا الخلود الدائم في النار**

أخي أيّها القاريء الكريم: ولعلّك تحكي لي سؤال الذين يقولون : كيف يخلّد الله المذنبين في النار وهو أرحم الراحمين؟

وخُذ إليهم جوابي: إنّه ليس من شك في أنّ الطغاة والمشركين الذين ارتكبوا في حقّ البشرية أفتك الجرائم الإنسانية سوف يخلّدون في النار ولن يخرجهم الله منها أبداً ، وفي المقابل كذلك الأمر يكون بالنسبة للصلحاء الذين ارتقوا إلى أعلى درجات الإيمان والجهاد والتضحية وصبروا على كل أنواع الأذى ، فإنّ خلودهم في الجنّة لا شكّ فيه . وهو ما يقتضيه عدل الله ورحمته وفضله ، وله الحجّة البالغة.

---

(١) سورة غافر / ٤٩ ـ ٥٠. (٢) سورة الأعلى / ٩ ـ ١٣.

(٣) سورة البقرة / ٨٦.

وتدلّ على هذه العقيدة آيات كثيرة وصريحة في هذا المعنى، منها قوله تعالى رداً علىٰ المستهزئين : **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**(١).

فليس الأمر على وفق مرادهم، أيام معدودات ثم ينتهي العذاب عليهم . انّما الأمر بيد الله العالم بما في قلوبهم من حبّهم في الخلود على فسقهم وفسادهم والاستمرار علىٰ ظلمهم في العباد لو لم يموتوا.

أما ترىٰ لو أنّهم ردّوا إلى حالهم في الدنيا لعادوا إلى إجرامهم مرّة أُخرى عناداً فوق عناد ، وتمنّوا لو أنّهم لم يموتوا حتّى يستمرّوا في الظلم والإجرام ويخلدوا في دنياهم ، وكم من فرص التوبة والإصلاح قد أتتهم ولكنّهم تجاوزوها وراء ظهورهم، مُضيّاً على الظلم والفساد وإصراراً على المزيد منه؟

وهذا ما تفيده الآية : **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**(٢).

ويدلك علىٰ هذا أنهم في الدنيا اذا نجوا من الموت في حادث والمفترض أن يتوبوا ويصلحوا أنفسهم بعده ولا يفسدون في الأرض ثانية ولكنّهم يواصلون ذات النهج من غير عبرة وعظة وتراجع.

وكذلك اذا أصدروا حكماً على المؤمنين بالسجن المؤبّد أو

---

(١) سورة البقرة / ٨٠ ـ ٨١.　　(٢) سورة الأنعام / ٢٧ ـ ٢٨.

أحدثوا في صحته تلفاً يعاني منه الىٰ آخر عمره. فمن المسؤول عن خلود المؤمنين في عذاب الدنيا غير الذين يستحقون الخلود في عذاب الآخرة.

يكفيك أن تتفكّر في حبّات اللؤلؤ بأيدي المترفين منهم، إنها تشبه دموع اليتامىٰ الساكبة على خدودهم!

من أين لهم الثروات الهائلة، أليست من نهبهم من حقوق الفقراء؟ فكم يعاني المستضعفون من كبريائهم وطغيانهم وتدبيرهم قتل المصلحين في ظُلَم الليل؟!

يقول الله تعالىٰ في فسادهم الإقتصادي: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

فكيف وقد اجتمعت مفاسد أُخرىٰ مع هذا الفساد الاقتصادي الكبير الذي دمّر المجتمعات البشرية وأقعدها على قاع الفقر والحرمان وسبّب به المفاسد الأخلاقية والحروب والصراعات والأمراض وغيرها.

فما عليه الظالمون من تكابر على الدين وإصرار في الغيّ والفساد دليل على استحقاقهم عقاباً أليماً ومستمرّاً بلا انقطاع.

إنّهم يعرفون وعيد الله وما أعدّه لهم من نار موقدة تطّلع على تفاصيل ما في الأفئدة، ومع ذلك لا يرتدعون ولا يتوبون. فهل

---

(١) سورة التوبة: (الآية ٣٤ـ٣٥).

يتساوىٰ هؤلاء المجرمون مع الرجال الصادقين الذين لم يجرموا بحقّ أحد ، وهم من معصية الله وجلون ومن عقاب النار خائفون ومن سطوة المجرمين في الدنيا وبطشهم متألّمون؟

كلّا .. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾(١) بلا نقاش . وهذه عدالة الله التي بها يفرح المظلومون وعلى أملها يصبرون في هذه الدنيا على كلّ الصعوبات وألوان الأذى .

أين الظالمون من سيرة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يضرب السلطة والسياسة والزعامة كلّها عرض الحائط إذا ما اقترنتْ بمعصية في نملةٍ يسلبها جُلْب شعيرة وليس في إنسانٍ يهضمه حقّه ويطحن بدنه ويفرم جسمه(٢) يقول إمامُ المتّقين علي عليه السلام: « **والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلتُ**».

وهذا إبنه الحسين الشهيد المظلوم عليه السلام يقول في عقائدية نهضته الثورية : «**اللهمّ إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا إلتماساً من فضول الحطام ، ولكن لنُرِيَ المعالم من دينك ، ونُظهر الإصلاح في بلادك ، ويأمن المظلومون من عبادك ، ويُعمَل بفرائضك وسننك وأحكامك**».

ثم يستنصر ذوي الهمم الايمانية في المجتمع وينادي فيهم: «**فإن لم تنصرونا وتنصفونا قَوِيَ الظَلَمَة عليكم وعمِلوا في إطفاء نور نبيّكم .**

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٤.

(٢) إشارة إلى الفرّامات التي عُثِرَ عليها في سجون صدّام وكان يرمي فيها السجناء وخاصّةً من الشيعة وعلمائهم ويخرجهم لحوماً متهشّمة لأسماك نهر دجلة!

**وحسبنا الله، عليه توكّلنا وإليه أنبنا وإليه المصير».**

وهذا حفيده الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه : **« اللهمّ ارزقنا خوف عقاب الوعيد ، وشوق ثواب الموعود ، حتّى نجد لذّة ما ندعوك به وكآبة ما نستجيرك منه » « إلهي خذ بيدي من ورطة الهالكين » « ومنازلتي إيّاك في فكاك رقبتي من نارك ، وإجارتي ممّا فيه أهلها من عذابك ».**

تأمّل أيّها المنصف هل من العدل أن يعذّب الله قتلة هؤلاء الطيّبين والمظلومين من شيعتهم فترةً وجيزة، ثمّ ينقلهم إلى الجنّة ليتنعّموا مع الصالحين والشهداء والمقتولين ؟!

كلّا .. إنّ الله لا يُخدَع في جنّته ولن يظلم عباده الموعودين قدر أنملة.

وأخيراً.. فاسْعَ سعيك أيّها الراغب في الجنّة، فقد قال الله تعالى: **﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**(١).

وهؤلاء تستقبلهم الملائكة وترحّب بهم من اللحظات الأُولى عند خروجهم من القبور : **﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾**(٢) **﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾**(٣) **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾**(٤).

وعلى عكسهم يكون أهل النار حيث تقول الآيات بعدها: **﴿وَسِيقَ**

---

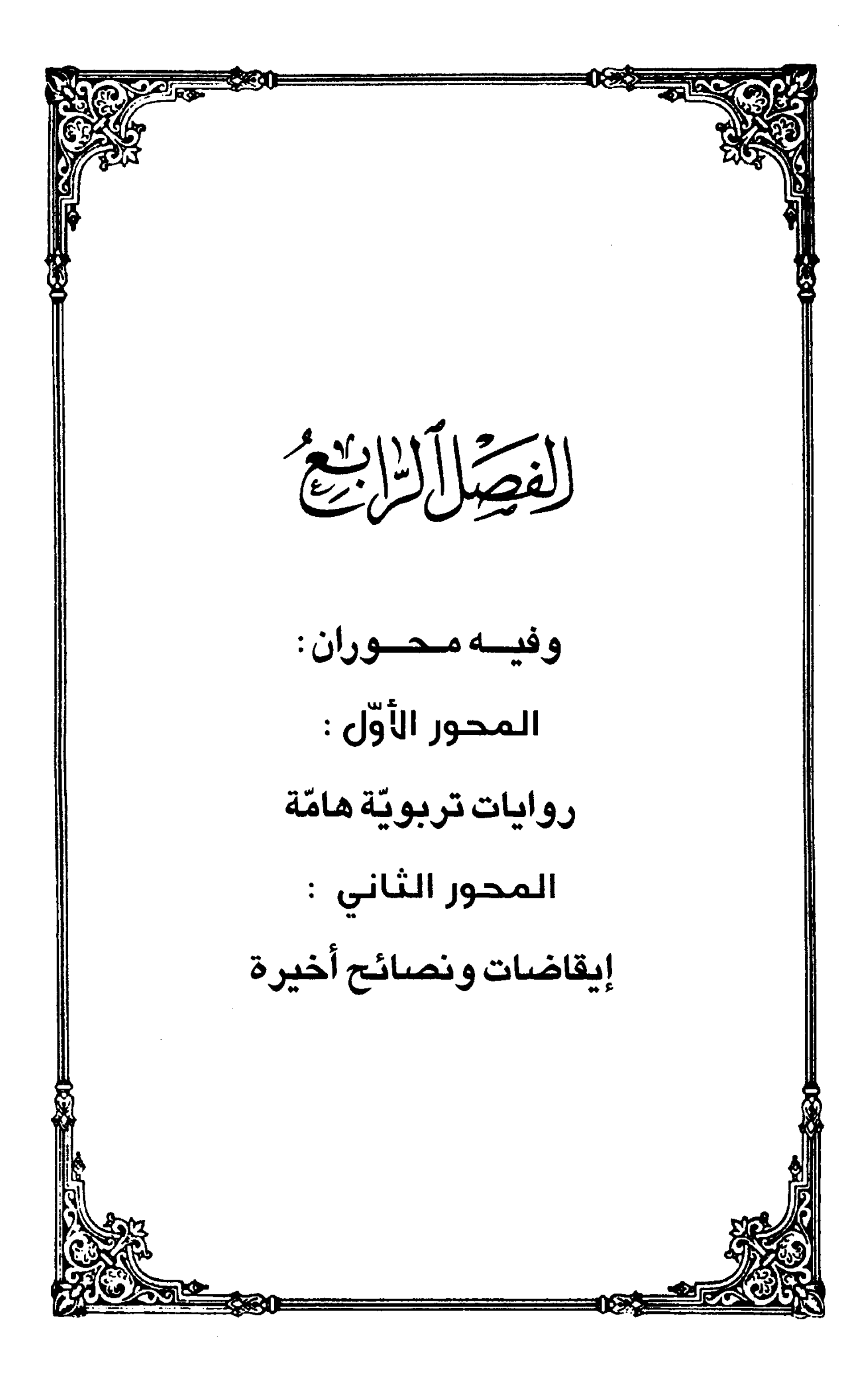
(١) سورة الزمر / ٦١.
(٢) سورة الأنبياء / ١٠٣.
(٣) سورة الإنسان / ١٠.
(٤) سورة الزمر / ٧٣.

**الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**[١].

ما أروع هذه المقارنة في بيان الحق والباطل والاستحقاقات الطبيعية لهؤلاء وهؤلاء.

---

(١) سورة الزمر / ٧١.



# الفصل الرابع

وفيه محوران:

## المحور الأوّل:

## روايات تربويّة هامّة

## المحور الثاني:

## إيقاضات ونصائح أخيرة



# المحور الأوّل: روايات تربويّة هامّة

اشتملت هذه الروايات علىٰ معلومات مفيدة حول سفر الآخرة، جمعناها لك من كتاب (معالم الزلفىٰ) تأليف العالم الربّاني السيّد هاشم التوبلاني البحراني‍ وقسّمناها تحت العناوين التالية:

● **أثر القرآن في الآخرة:**

قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان عليك بقراءة القرآن، فإن قراءته كفّارة للذنوب، وستر من النار، وأمان من العذاب، ويُكتَب لمن يقرأه بكلّ آية ثواب مائة شهيد، ويُعطىٰ بكل سورة ثواب نبي، وتنزل على صاحبها الرحمة، وتستغفر له الملائكة، وتشتاق إليه الجنة، ورَضِيَ عنه المولى. وإنّ المؤمن إذا قرأ القرآن نظر الله إليه بالرحمة، وأعطاه الله بكلّ آية[1] حوراء، وأعطاه الله بكلّ حرف نوراً على الصراط. فإذا ختم القرآن أعطاه الله تعالى ثواب ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً بلّغوا رسالات ربهم، وكأنّما قرأ كلّ كتاب أنزله الله تعالى على أنبيائه، وحرّم الله جسده على النار، ولا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه.

---

١. في المصدر زيادة: الف.

يا سلمان، المؤمن إذا قرأ القرآن فتح الله عليه أبواب الرحمة، وخلق الله بكلّ حرف يخرج من فيه ملكاً يسبّح له إلى يوم القيامة، فإنه ليس شيء بعد تعلّم العلم أحبّ إلى الله تعالى من قراءة القرآن، وإنّ أكرم العباد إلى الله بعد الأنبياء العلماء، ثمّ حملة القرآن يخرجون من الدنيا كما يخرج الأنبياء، ويحشرون من القبور مع الأنبياء، ويمرون على الصراط مع الأنبياء، ويأخذون ثواب الأنبياء. فطوبى لطالب العلم، وحامل القرآن، مالهم عند الله تعالى من الكرامة والشرف».

وقال الامام أبو عبد الله عليه السلام: «إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحسرة، والظل يوم الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن فإنّه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، ورجحان في الميزان».

وقال عليه السلام: «ليكن جلّ كلامكم ذكر الله وقراءة القرآن، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئِل أيّ الأعمال أفضل عند الله، قال: قراءة القرآن، وأن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى».

**● شيء من وصف الجنّة وحور العين**

عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جُعِلتُ فداك يا ابن رسول الله شوّقني، فقال: **«يا أبا محمد ، ...**

**وإن أيسر أهل الجنة منزلاً يدخل فيرفع له ثلاث حدائق، فإذا دخل أدناهن رأى من الأزواج والخدم والأنهار والثمار ممّا شاء الله ممّا يملأ عينه قرّة، وقلبه مسرّة، فإذا شكر الله وحمده قيل له: ارفع رأسك إلى**

الحديقة الثانية ففيها ماليس في الأُخرى، فيقول: يارب أعطني هـذه، فيقول الله تعالى إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: رب هذه هذه، فإذا هو دخلها شكر الله وحمده. قال: فيقال: افتحوا له باباً إلى الجنة، ويقال له: ارفع رأسك، فإذا قد فُتِح له باب من الخُلد، ويرى أضعاف ما كان فيما قبل، فيقول عند مضاعفة مسراته: ربّ لك الحمد الّذي لا يـحصىٰ إذ مننت علي بالجنان وأنجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت، وقلت له: جُعِلت فداك زدني.

قال: يا أبا محمد إنّ في الجنة نهراً في حافتيه جوار نابتات، إذا مرّ المؤمن بجارية أعجبته قلعها وأنبت الله مكانها أُخرىٰ.

قلت: جعلت فداك زدني.

قال: المؤمن يزوّج ثمانمائة عذراء، وأربعة آلاف ثيب، وزوجتين من الحور العين .

قلت: جعلت فداك ثمانمائة عذراء؟! قال: نعم، ما يفترش منهن شيئاً إلّا وجدها كذلك.

قلت: جُعِلت فداك من أي شيء خلقتِ الحور العين ؟

قال: من تربة الجنة النورانية، ويُرىٰ مخّ ساقها مـن وراء سـبعين حُلّة، كبدها مرآته وكبده مرآتها.

قلت: جعلت فداك ألهنّ كلام يكلّمن به أهل الجنة؟

قال: نعم، كلام يتكلّمنّ به لم يسمع الخلائق بمثله أعذب منه

قلت: ماهو؟

قال: يقلن بأصوات رخيمة: نـحن الخـالدات فـلا نـموت، ونـحن الناعمات فلا نبؤس، نحن المقيمات فلا نظعن، ونـحن الراضـيات فـلا

نسخط. طوبى لمن خُلِق لنا، وطوبى لمن خُلِقنا له. ونحن اللواتي لو أنّ قَرَنَ إحدانا عُلِّق في جو السماء لأغشىٰ نوره الأبصار».

وجاء عن علي بن الحسينعليه السلام، قال: «إذا صار أهل الجنة في الجنة، ودخل ولي الله إلى جنانه ومساكنه، واتّكأ كلّ مؤمن على أريكته، حفّته خدامه، وتهدلت عليه الأثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار، وبسطت له الزرابيّ، وصفّت له النمارق، وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك».

قال: «وتخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ماشاء الله.

ثمّ إنّ الجبار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي، ألا هل أنبّؤكم بخير ممّا أنتم فيه؟ فيقولون: ربّنا نعم، فأتنا بخير ممّا نحن فيه. فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبّتي لكم خير وأعظم ممّا أنتم فيه. قال: فيقولون: نعم، يا ربّنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا».

ثمّ قرأ علي بن الحسين عليه السلام هذه الآية: ﴿وعَدَ اللهُ المؤمنينَ والمؤمناتِ جَنّاتٍ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ومساكِنَ طيّبةً في جنّات عدْنٍ ورِضوانٌ مِن اللهِ أكبر ذلك هو الفوزُ العَظيمُ﴾[1] .

● إيّاكم وإيّاكم

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في كلام له ـ : إيّاكم

١. التوبة، آيه ٧٢.

**وعقوق الوالدين، فإنّ ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارّ إزاره خيلاء إنّما الكبرياء لله ربّ العالمين».**

**● باب المجاهدين:**

قال الامام الصادق عليه السلام : **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للجنّة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون سيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم. فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلًّا في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه. إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أمّتي بسنابك خيلها، ومراكز رماحها»**[١].

**● نساء الجنّة:**

الزمخشري في ربيع الأبرار، عن سعيد بن عامر بن حاتم، عن النبي صلى الله عليه وآله: **«لو أنّ امرأة من نساء الجنة أشرفت إلى الأرض، لملأت الأرض بريح المسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر».**

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا أباذر لو أنّ امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت بها أفضل ممّا تضيء بالقمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض. لو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم».**

---

١ ـ أمالي الصدوق: ٤٦٢ / ٨.

● **الإغراء الإلٰهي!**

عن الامام الصادق ﷺ في حديث يذكر فيه أهل الجنّة ـ و قد تقدم ـ قال ﷺ: «**وإنّه لَتُشرِف على وليّ الله المرأةُ ليست من سنائه من السجف، فتملأ قصوره ومنازله ضوءً ونوراً، فيظن وليّ الله أن ربّه أشرف عليه، أو ملك من الملائكة، فيرفع رأسه، فإذا هو بزوجة قد كاد تذهب نورها نور عينيه.**

قال: «**فتناديه: قد آن لنا أن تكون لنا منك دولة**». قال: «**فيقول لها: ومن أنت؟**» قال: «**فتقول: أنا ممّن ذكر الله في القرآن: ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾**[١]**. فيجامعها في قوة مائة شاب، ويعانقها سبعين سنة من أعمار الأولين، وما يدري أينظر الى وجهها أم إلى خلفها أم إلى ساقها، فما من شيء ينظر إليه منها إلّا يرى وجهه من ذلك المكان من شدّة نورها وصفائها.**

**ثمّ تشرف عليه أخرى أحسن وجهاً وأطيب ريحاً من الأولى، فتناديه فتقول: قد آن لنا أن تكون لنا منك دولة». قال: «فيقول لها: ومن أنت؟ فتقول: أنا ممّن ذكر الله في القرآن: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قُرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون**[٢]**﴾».**

وعن الحلبي، قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿فيهنّ خيرات حسان﴾** قال: «**هنّ صوالح المؤمنات العارفات**».

قال: قلت: **﴿حورٌ مقصورات في الخيام﴾**[٣] قال: «**الحور هنّ البيض**

---

١. (٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

٣. الرحمن، ٧٢.

المصونات المخدرات في خيام الدُرّ والياقوت والمرجان، لكلّ خيمة أربعة أبواب، على كلّ باب سبعون كاعباً حجاباً لهنّ، ويأتيهنّ في كلّ يوم كرامة من الله عزّ ذكره يبشّر الله بهنّ المؤمن».

● **درجات في الجنّة:**

قال رسول الله ﷺ: «يا أباذر، إنّ الله عزّ وجلّ ثناؤه يدخل قوماً الجنة، فيعطيهم حتى تنتهي أمانيهم، وفوقهم قومهم في الدرجات العلى. فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون: ربّنا إخواننا كنّا معهم في الدنيا، فبم فضّلتهم علينا؟

فيقال: هيهات، انّهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمؤون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون».

● **التشريفات في ضيافة الله:**

روي: «أنّ يوم القيامة يجلس النبيّون على منابر النور، والصدّيقون على سرر النور، والشهداء على كراسي النور، وتجلس سائر الناس على كثبان المسك الأبيض الأذفر.

ثمّ يناديهم الربّ جلّ جلاله: مرحباً بعبادي وجيراني ووفدي، يا ملائكتي، انهضوا إلى عبادي فاطعموهم».

قال: فتقرّب إليهم الملائكة لحم الطير كأنّها البخت لا ريش لها ولا عظم، فيأكلون. ثمّ يناديهم الربّ تبارك وتعالى: مرحباً بعبادي وجيراني ووفدي، اسقوهم يا ملائكتي.

قال: «فينهض لهم غلمان كأنّهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب

والفضة بأشربة مختلفة، يجدون لذة آخرها كلذة أولها: ﴿لا يُصدّعون عنها ولا يُنزِفون﴾.(١)

قال: «ثمّ يناديهم الربّ تبارك وتعالى: مرحباً بعبادي وجيراني ووفدي، ياملائكتي فكّهوهم. فتقرب إليهم الطباق مكلّلة بالياقوت من الرطب الجني الذي أنشأه الله عزّ وجلّ أشد بياضاً من اللبن، وأطيب من عذوبة الشهد. ثمّ يناديهم الربّ تبارك وتعالى: مرحباً بعبادي وجيراني ووفدي، يا ملائكتي اكسوهم»

قال: «فتفتح لهم أبواب الجنة بحلل مصقولة بالنور، فيلبسونها. ثمّ ينادي الربّ جلّ جلاله: مرحباً بعبادي وجيراني ووفدي، يا ملائكتي طيّبوهم».

قال: «فتهيج عليهم ريح من تحت العرش، يقال لها: المثيرة بالند(٢) والمسك الأبيض الأذفر، فتصحب على وجوههم من غير غبار ولا قتار.

ثمّ يقول الربّ جلّ جلاله: السلام عليكم يا عبادي قد رضيت عنكم».

قال: «فيخرّ القوم سجداً، فيناديهم الربّ جلّ جلاله: عبادي ارفعوا رؤوسكم، فإنّها ليست بدار عمل، ولا بدار نصب، إنّما هي دار جزاء ودار ثواب، وعزّتي وجلالي ما خلقتها إلاّ لأجلكم، وما من ساعة ذكرتموني بها في دار الدنيا إلاّ ذكرتكم».

---

١. بستان الواعظين: مخطوط.

٢. الند: الطيب، أو العنبر «القاموس ـ ند ـ ١: ٣٤١».

● **هذه هي الجنّة وهؤلاء أهلها:**

عن أبي جعفر ﷺ قال: «**أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فإنّهن جنة عدن، وجنة الفردوس، وجنة نعيم، وجنة المأوىٰ**».

قال: «**وإنّ لله عزّ وجلّ جنان محفوفة بهذه الجنان، وإنّ المؤمن ليكون له من الجنان ما أحبّ واشتهى، يتنعّم فيهنّ كيف يشاء، وإذا أراد المؤمن شيئاً أو اشتهىٰ إنّما دعواه فيها إذا أراد أن يقول: سبحانك اللّهم، فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿دعواهم فيها سُبحانَك اللّهمّ وتحيتُهم فيها سلام﴾ يعني: الخدام**».

قال: **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين﴾[1] يعني بذلك عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم. وأما قوله: ﴿أُولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون﴾[2] قال: يعلمه الخدام، فيأتون به إلى أولياء الله قبل أن يسألوهم إيّاه. وأمّا قوله: ﴿فواكه وهم مكرمون﴾ قال: فإنّهم لا يشتهون شيئاً في الجنّة إلّا أكرموا به**».

وعن ابن عباس، أنّه قال: **﴿دار السلام﴾** الجنة وأهلها، لهم السلامة من جميع الآفات والعاهات والأمراض والأسقام، ولهم السلامة من الهرم والموت وتغيّر الأحوال عليهم فهم المكرمون الّذين لا يهانون أبداً، وهم الأعزاء الّذين لا يُذَلّون أبداً، وهم الأغنياء الّذين لا يفتقرون أبداً، وهم السعداء الّذين لا يشقون أبداً، وهم الفرحون المسرورون

---

١. تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٢٨٨.
٢. الصافات ٣٧: ٤١، ٤٢.

الّذين لا يغتمّون ولا يهتمّون أبداً، وهم الأحياء الّذين لا يموتون أبداً، فهم في قصور الدرّ والمرجان، أبوابها مشرعة إلى عرش الرحمن: **﴿والملائكةُ يدخلون عليهم من كلّ باب * سلام عليكم با صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.[١]

**● الانقسام يبدأ من هنا:**

عن عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مُرشداً﴾** فقال: **«إنّ الله عزّ وجلّ يضلّ الظالمين يوم القيامة عن دار كرامته، ويهدي أهل الإيمان والعمل الصالح إلى جنّته، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[٢] وقال عزّ وجلّ: ﴿انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾»**[٣].

**● وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان!**

قال الامام الحسن بن عليّ عليه السلام: **«يا رسول الله ما لمن زارنا؟ فقال: من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك حياً أو ميتاً، أو زار أخاك حياً أو ميتاً، أو زارك حياً أو ميتاً، كان حقاً عليَّ أن أستنقذه يوم القيامة».**

---

١. معاني الأخبار: ٢/١٧٦.
٢. ابراهيم ١٤: ٢٧.
٣. يونس ١٠: ٩.

- **لدخول الجنة والنّار أبواب وشروط :**

قال رسول الله ﷺ: «**لما أُسري بي إلى السماء، قال جبرئيل ؑ: قد أُمرتُ بعرض الجنّة والنار عليك.**

**قال: «فرأيت الجنة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما وعد فيها من أليم العذاب. والجنة لها ثمانية أبواب، على كلّ باب منها أربع كلمات، كلّ كلمة منها خير من الدنيا وما فيها لمن يعرفها ويعمل بها.**

**قال: قال لي جبرئيل: إقرأ يا محمد ما على الأبواب. قال: «قلت له: قرأت ذلك، أما أبواب الجنة، فعلى الأول منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، عليّ وليّ الله. لكلّ شيء حيلة، وحيلة العيش أربع خصال: القناعة، ونبذ الحقد، وترك الحسد، ومجالسة أهل الخير.**

**وعلى الباب الثاني مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، عليّ وليّ الله. لكلّ شيء حيلة، وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: المسح على رؤوس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، والسعي في حوائج المسلمين، وتفقّد الفقراء والمساكين.**

**وعلى الباب الثالث مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله. لكلّ شيء حيلة، وحيلة الصحة في الدنيا أربع خصال: قلّة الكلام، وقلّة المنام، وقلّة المشي، وقلّة الطعام.**

**وعلى الباب الرابع مكتوب أربع كلمات: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم والديه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت.**

**وعلى الباب الخامس مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، علي**

وليّ الله. من أراد أن لا يُشتَم لا يَشتِم، ومن أراد أن لا يُذَل لا يُذِل، ومن أراد أن لا يُظلَم لا يَظلِم، ومن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى في الدنيا فليقل: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله.

وعلى الباب السادس مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، علـيّ وليّ الله. من أحب أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فليبنِ المساجد، ومـن أحب أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، ومن أحبّ أن يبقىٰ طرياً مطرىً لا يبلىٰ فليكسوا المساجد بـالبسط، ومـن أحب أن يرىٰ موضعه من الجنّة فليكنس المساجد.

وعلى الباب السابع مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله. بياض القلب في أربع خصال: عيادة المرضى، واتباع الجنائز، وشراء الأكفان، وردّ القرض.

وعلى الباب الثامن مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله. من أراد الدخول في هذه الأبواب الثمانية فليتمسّك بأربع خصال: بالصدقة، والسخاء، وحُسن الخُلق، والكف عن عباد الله.

ثمّ قرأت ما على أبواب جهنم، فإذا على الأول مكتوب ثلاث كلمات: من رجا الله سَعُد، ومن خاف الله أَمِن، والهالك المغرور مَن رجا غير الله وخاف سواه.

وعلى الباب الثاني مكتوب ثلاث كلمات: من أراد أن لا يكون عرياناً في القيامة فليكس الجلود العارية في الدنيا، ومن أراد أن لا يكون عطشاناً في القيامة فليسق العطاش في الدنيا، ومن أراد أن لا يكون جائعاً فليطعم البطون الجائعة في الدنيا.

وعلى الباب الثالث مكتوب ثلاث كلمات: لعن الله الكاذبين، لعـن الله

الباخلين، لعن الله الظالمين.

وعلى الرابع مكتوب ثلاث كلمات: أذل الله من أهان الاسلام، أذل الله من أهان أهل بيت النبي، أذلّ الله من أعان الظالمين على ظلم المخلوقين.

وعلى الباب الخامس مكتوب ثلاث كلمات: لا تتبع الهوى فتجانب الإيمان، ولا يكن منطقك فيما لا يعنيك فتسقط من رحمة الله، ولا تكن عوناً للظالمين.

وعلى الباب السادس مكتوب: أنا حرام على المجتهدين، أنا حرام على المتصدّقين، أنا حرام على الصائمين.

وعلى السابع مكتوب ثلاث كلمات: حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، ووبِّخوا أنفسكم قبل أن توبَّخوا، وادعوا الله عزّ وجلّ قبل أن تَرِدوا عليه ولا تقدروا على ذلك».

- **أثر الغِيبَة في يوم القيامة :**

قال النبيّ ﷺ: «يأتي الرجل يوم القيامة وقد عمل الحسنات، فلا يرىٰ في صحيفته شيئاً من حسناته، فيقول: أين حسناتي الّتي كنت عملتها في دار الدنيا؟ فيقال: ذهبتْ باغتيابك الناس، فهي لهم عوض اغتيابهم».

وأوحى الله إلى موسى عليه السلام: «مَن مات تائباً عن الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرّاً عليها فهو أوّل من يدخل النار».

● **أثر الحلم والعفو في يوم القيامة:**

قال ﷺ: «**مَن كَظَمَ غيظه وهو يقدر على إمضائه، خيّره الله من أي الحور العين شاء أخذ منهن**».

● **مقام المرأة الصالحة في يوم القيامة:**

قال النبيّ محمّد ﷺ: «**أيما امرأة كتمت سرّ زوجها، فلم تطلع عليه أحداً، فهي في درجات الحور العين. فإن كان في غير طاعة الله، فلا يحلّ لها أن تكتم**».

وقال النبيّ ﷺ: «**المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح، وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت**».

وعنه ﷺ: «**ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء، إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وبنى الله بكلّ شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة، وغفر لها ستين خطيئة**».

وقال الامام عليه السلام: «**ثلاث من النساء يرفع الله عنهنّ عذاب القبر، ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمّد ﷺ: امرأة صبرت على غيرة زوجها، وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها، وامرأة وهبت صداقها لزوجها. يُعطي الله لكلّ واحدة منهن ثواب ألف شهيد، ويكتب لكلّ واحدة منهن عبادة سنة**».

● **أثر الصدقة علىٰ روح الميّت :**

وقال ﷺ: «**إذا تصدّق الرجل بنيّة الميت أمر الله تعالى جبرائيل أن يحمل إلى قبره سبعين ألف ملك، في يد كلّ ملك طبق من نور. فيحملون إلى قبره، ويقولون: السلام عليك يا وليّ الله، هذه هدية فلان بن فلان إليك منه، فيتلألأ قبره، وأعطاه الله تعالى ألف مدينة في الجنة، وزوجه ألف حوراء، وألبسه ألف حُلّة، وقضىٰ له ألف حاجة**».

● **بُشرىٰ للعلماء المؤلفين :**

قال ﷺ: «من مات وميراثه الدفاتر والمحابر وجبت له الجنّة».

● **من أسباب السَّبْقِ إلىٰ الجنّة :**

قال أبو عبدالله ﷺ: «**قال رسول الله ﷺ: أيما مسلمين تهاجرا، فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان، إلّا كانا خارجين من الاسلام، ولم يكن بينهما ولاية. وأيّهما سبق كلام صاحبه، كان أسبق إلى الجنة يوم الحساب**».

● **النَّدم علىٰ الذنب توبة :**

عن أبي عبدالله ﷺ: «**إنّ العبد ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة**»!

قلت: يابن رسول الله، يدخلهم الله الجنة بالذنب؟

قال: «**نعم، إنّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه، حتى يرحمه الله فيدخله الجنة**».

● **البُلهاء من أهل الجنّة :**

عن أبي عبدالله عليه السلام في معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: **«دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها البُلْه»** قال: قلت: ما الأبله؟ قال: **«العاقل في الخير، الغافل عن الشر، الذي يصوم في كلّ شهر ثلاثة أيّام»**.

● **الشهداء في ساعات الشهادة :**

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت؟ فقال: **« إنّهم كُشِفَ لهم الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة »**.

● **ثلاثة .. إيّاك منهم !**

عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: **«جاءني جبرئيل متغيّر اللون، فقلت: يا جبرئيل مالي أراك متغيّر اللون؟**

**قال: اطلعت في النار فرأيت وادياً في جهنّم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا؟ فقال لثلاثة نفر: للمتكبرين، والمدمنين على شرب الخمر، والقوّادين»**.

● **أهل الزنا في يوم القيامة .**

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **«إنّ لأهل النار صرخة عظيمة مِن نَتن فروج الزناة، فإيّاكم والزنا فإنّ فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة. فأمّا الّتى فى الدنيا: فإنّه يُذهِب ببهاء الوجه، ويورث الفقر، وينقص**

العمر. وأمّا في الآخرة: يوجب سخط الله، وسوء الحساب، وعظيم العذاب. وإنّ الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل فروجهم ناراً يُعرَفون بنتن فروجهم».

● **وكيف حال أهل النّار؟!**

ابن بابويه، بإسناده عن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر ﷺ، قال: «**إنّ أهل النار يتعاوون فيها كما تتعاوىٰ الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم العذاب، فما ظنّك ـ يا عمرو ـ بقوم لا يُقضىٰ عليهم فيموتوا، ولا يُخفَّف عنهم من عذابها، عطاشى، جياع، كليلة أبصارهم، صُمّ بُكْمٌ عُمْي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم فلا يُرحَمون، ومن العذاب فلا يُخفَّف عنهم، وفي النار يُسجَرون، ومن الحميم يُشرَبون، ومن الزقوم يأكلون، وبكلاليب النارُ يحطّمون، وبالمقامع يُضرَبون، والملائكة الغلاظ لا يرحمون. فهم في النار يُسحَبون على وجوههم، ومع الشياطين يُقرَنون، وفي الأنكال والأغلال يُصفَّدون، إن دعُوا لم يستجب لهم، وإن سألوا حاجة لم تُقْضَ لهم، هذه حال من دخل النار**».

● **لكيلا تكون من قساة القلوب:**

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ، قال: قلت له: يابن رسول الله، خوّفني فإن قلبي قد قسا. فقال: «يا أبا محمد، استعد للحياة الطويلة، فإن جبرئيل جاء إلى رسول الله ﷺ وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسّم، فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل جئتني اليوم

قاطِباً؟ فقال: يا محمّد، إنّ الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة. لو أنّ قطرة من الضريع قَطَرتْ في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من سلسلة الّتي طولها سبعون ذراعاً وُضعتْ على الدنيا لذابتْ مِن حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار عُلّق بين السماء والأرض لَمات أهل الأرض من ريحه ووهجه.

قال: فبكىٰ رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنّ ربكما يُقرئكما السلام ويقول: قد آمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه. فقال أبو عبدالله عليه السلام: «**فما رأى رسول الله٦ جبرئيل متبسّماً بعد ذلك**».

ثمّ قال ... وإنّ أهل جهنّم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع من حديد وأعيدوا في دركها، هذه حالهم، هو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍّ أعيدوا فيها و ذُوقوا عذاب الحريق**﴾ ثمّ تبدّل جلودهم غير الجلود الّتي كانت عليهم».

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «**حسبك يا أبا محمد؟**». قلت: حسبي حسبي.

- **بهؤلاء نفخر!**

قيل للصادق عليه السلام: إنّ عمّار الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي: قُم يا عمّار، فقد عرفناك لا تُقبَل شهادتك لأنّك رافضي. فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه واستفرغه البكاء، فقال له ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم والحديث إن كان يسؤك أن يقال لك رافضي فتبرّأ من الرفض، فأنت

من إخواننا. فقال له عمّار: يا هذا ما ذهبت ـ والله ـ حيث ذهبت، ولكني بكيت عليك وعليّ.

أما بكائي على نفسي، فنسبتني إلىٰ رتبة شريفة لستُ من أهلها، زعمتَ أني رافضي، ويحك لقد حدّثني الصادق عليه السلام: أنّ أوّل من سمّي الرافضة السحرة الّذين لمّا شاهدوا آية موسى عليه السلام في عصاه آمنوا ورضوا به واتبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسمّاهم فرعون الرافضة لما رفضوا دينه. فالرافضي من رفض كلّ ما كرهه الله تعالى، وفعل كلّ ما أمره الله تعالى به، فأين في الزمان مثل هذا؟ فإنّما بكيت على نفسي خشية أن يطلع الله تعالى علىٰ قلبي وقد تلقّبتُ هذا الاسم الشريف فيعاتبني[1] ربي عزّ وجلّ ويقول: يا عمار، كنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك تقصيراً في الدرجات إن سامحني ربي، وموجباً لشديد العقاب عليّ إن ناقشني، إلّا أن يتداركني موالي بشفاعتهم.

وأما بكائي عليك، فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله أن صرفت أشرف الأسماء إليّ وأن جعلته من أرذلها، كيف يصبر بدنك على عذاب كلمتك هذه؟

فقال الصادق عليه السلام: لو أنّ على عمار من الذنوب ما هو أعظم من السماوات والأرضين، لَمُحيتْ عنه بهذه الكلمات، وإنّها لتزيد في حسناته عند ربّه عزّ وجلّ حتّى يجعل كلّ خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرّة.

---

١. في الأصل والمصدر: ويعاقبني، وما أثبتناه من بحار الانوار ٦٨: ١٥٧.

## المحور الثاني: إيقاضات ونصائح أخيرة

- **فرصتك بين يديك .. فانتهزها**

إعلم أن الله تعالىٰ جاء بك الىٰ هذه الحياة ومنحك فرصة العمر لتصرفها من أجل حياتك الابديّة السعيدة في الجنّة. يقول الامام عليٌّ عليه السلام: **«إنّ الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها... ودار غنىً لمن تزوّد منها، ودار موعظةٍ لمن اتعظ بها، مسجد أحبّاء الله، ومصلّىٰ ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله»** [1]

ولذلك جاء في الحديث القدسي ، أنّ الله تعالى يرسل ملكاً ينزل الى الأرض في كل ليلة فينادي : **« ياأبناء العشرين جِدّوا واجتهدوا ، وياأبناء الثلاثين لا تغرنّكم الحياة الدنيا ، وياأبناء الأربعين ما أعددتم للقاء ربّكم ، وياأبناء الخمسين أتاكم النذير ، وياأبناء الستّين زرع آن حصاده، وياأبناء السبعين نودي لكم فأجيبوا ، وياأبناء الثمانين أتتكم الساعة وأنتم غافلون »**[2].

وعلىٰ ضوئه فإنّ عليك الوعي لفرصتك قبل نفادها، إنتهزها لإنقاذ نفسك قبل أن تنتهي بانتهاء أنفاسك ، إنّك وبالتأكيد لا تعلم متى تنقطع هذه الأنفاس وتنتهي الفرصة ومتىٰ تُختَم على وجودك بحجر اللّحد من تحت التراب بل من تحت أقدام الأحياء فوقك، وهم على موعد

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار ـ ١٣١. (٢) كلمة الله : ص ٣٥٠.

معك حتى إشعار آخر وإن كان أكثرهم غافلين. أليس الذين ماتوا وخاصّة في الحوادث المفجعة قد فوجئوا بوقوعهم في قبضة الموت من دون سابق إنذار وإخبار؟!

فهذا مصيرٌ متلبّد لي ولك ولكل شخص.

لذا يجب على كل مسلم قد مضت أيّامه بالغفلة أن يتفكّر في أمره بـ « التوبة » و «العمل الصالح» بعدها وباستمرار واستقامة. وأنت إذا عزمتَ على هاتين الخطوتين ستنجح في دنياك وتفلح في آخرتك ولن تندم.

وكلّما وسوس إليك الشيطان وأنساك موتك وقبرك وآخرتك تذكّر أنّ الذين ماتوا من قبلك كانوا مثلك ، يأكلون ويلبسون وينامون وينكحون ويبنون ويضحكون ويسافرون ، وكانوا يعملون في التجارة والسياسة والدراسة وإدارة الأعمال ولكنّهم فجأة ماتوا فتركوا ما بأيدهم للآخرين وهم ممتحنون كأولئك.

إذن إجمع قواك الفكرية والنفسية والبدنية وركّز على هدفك ، أن لا تخسر نفسك أبداً.

وما يعينك في عزمك ويقوّي إرادتك على هذا الطريق هو خصلتان:

**الخصلة الأولى**: خشية الله والخوف من عقابه. وهذه تكتسبها عبر خمسة أمور:

١ ـ العلم بأحكام الدين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1].

---

(١) سورة فاطر / ٢٨.

والمقصود من العلم هو الوعي والمعرفة والتفكّر واليقظة الروحية ، ويتمّ تحصيل هذا الأمر بالمطالعة والدراسة وحضور مجالس العلماء الصالحين ، ومتابعة الثقافيات الإسلامية وعدم الانقطاع عن قراءة الكتب المفيدة.

٢ ـ ذكر الله والصلاة والدعاء **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾**(١).

٣ ـ مجاهدة النفس والهوىٰ **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾**(٢).

فما تشتهيه نفسك خالفه وتحرّك على العكس لترى العجائب من الجنّة المعنوية في داخلك ثمّ المحسوسة معها في آخرتك.

٤ ـ الخوف من آثار المعصية **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾**(٣).

٥ ـ الخوف من الموت بسوء العاقبة **﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**(٤).

٦ ـ البكاء في الخلوات العبادية وخاصّة في أوقات الأسحار **﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾**(٥) **﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾**(٦). ويترتّب على هذه الخصلة ـ أعني الخشية من الله ـ إحجام الإنسان من التقدّم نحو المعصية والتجرّي على دين الله وإتّباع خطوات الشيطان.

---

(١) سورة الأنفال / ٢.
(٢) سورة النازعات / ٤٠ ـ ٤١.
(٣) سورة الروم / ١٠.
(٤) سورة الزخرف / ٢٥.
(٥) سورة الإسراء / ١٠٩.
(٦) سورة الذاريات / ١٨.

**وأمّا الخصلة الثانية**: فهي الرجاء من الله الذي وسعت رحمته كل شيء. ويتحقّق الرجاء في السالك إلى الله تعالى عبر ثلاثة أُمور:

١ ـ الإيمان برحمة الله ونفي القنوط منها وعدم اليأس من قبول التوبة ممّا يؤدّي إلى الإرتماء في مراتع الشيطان. فقد قال ربّنا تعالى بأرقّ ألفاظ الرحمة وكلمات الحنان والاستعطاف والدعوة **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾**(١).

وقال معتبراً اليأس من روْح الله ورحمته صفةً من صفات الكافرين: **﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾**(٢).

٢ ـ الاستمرار على الإيمان والعقيدة، وتحمّل مسؤولية الهجرة والجهاد. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾**(٣).

٣ ـ العمل الصالح بلا رياء وتفاخر ومباهاة ذلك هو العبادة الخالصة لوجه الله. **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾**(٤).

ويترتّب على هذه الخصلة ـ أعني الرجاء من الله ـ أن يتطهّر المذنب ويقوم إلى التوبة بين يدي الله ويقرّر نهائياً ترك المعاصي

---

(١) سورة الزمر / ٥٣ ـ ٥٤.
(٢) سورة يوسف / ٨٧.
(٣) سورة البقرة / ٢١٨.
(٤) سورة الكهف / ١١٠.

ويحاول تجنّب الذنوب قدر الإمكان ويستغفر الله فور الوقوع فيها وعلى لسانه قول ربّه تعالى :

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾(١).

فيا أيّها الأخ الكريم .. إذا أردت أن تكون من السالكين إلى الله والراغبين في الفوز بالجنّة إجعل مسيرة حياتك بين الخوف بذاك المعنى والرجاء بهذا المعنى فانهما الخصلتان المنقذتان.

● **ماذا تعني الشفاعة ؟**

قال سبحانه : ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾(٢).

إنّ هذا الاستثناء المشروط لا ينطبق إلّا علىٰ النبي وآله وعلى كل مَن سار على دربهم بإخلاص.

واعلم أنّ شفاعتهم عليهم السلام لن تنال إلّا مَن:

١ ـ كان معتقداً بأساس الدين .

٢ ـ غير متعمّد في ترك الصلاة والحج والزكاة .

٣ ـ يحبّ الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

٤ ـ قد صدر عنه بعض العمل الصالح.

هذا هو المستفاد من الأحاديث الشريفة ، وبذلك يحكم العقل السليم أيضاً، لأنّ الله الذي هو أرحم الراحمين يعفو عن العبد الضعيف حينما تصرعه المعاصي والذنوب من غير أن يتقصد الجرأة علىٰ الله،

---

(١) سورة آل عمران / ١٤٧. (٢) سورة طه / ١٠٩.

ويتأكّد العفو من الله سبحانه لهذا الانسان إذا توسّط له الرسـول ﷺ وأهل بيته الذين طهّرهم الله من كل رجس . ولا نتصوّر بعد العفو أن يُعطىٰ درجةً في الجنّة تتساوىٰ بينه وبين المـؤمنين العـاملين . إنّـما العفو هنا يتوجّهه لإنقاذه من العذاب أو الاستمرار فيه طويلاً . فشفاعة النبي وأهل بيته تكون بمثابة النافذة المفتوحة على رحمة الله الواسعة وبمقدار العدالة ومقتضى الإنصاف.

عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيّـها النـاس ألزِمـوا مودّتنا أهل البيت فإنّه مَن لقىٰ الله بودّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، فوالذي نفس محمّد بيده لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفتنا وولايتنا**»(١).

ولذلك قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام : « **ليس من شيعتنا من أنكر أربعة أشياء ، المعراج ، والمساءلة في القـبر ، وخـلق الجـنّة والنـار ، والشفاعة** »(٢).

وتأسيساً عليه قال العالم الجليل الشيخ الصدوق رحمه الله : « اعتقادنا في الوعد والوعيد أنّ من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه ، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ، فإن عذّبه فبعدله ، وإن عفا عنه فبفضله ، وما ربّك بظلّام للعبيد . ومن رحمته تعالى : بعث الشفيع يوم القيامة ليشفعوا عنده للمذنبين ، فالله تعالى هـو المـبدأ الوحـيد للرحمة والمغفرة ، وهو الباعث للشفاعة ، والشفاعة منه وإليه ﴿**قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**﴾ »(٣).

---

(١) بحار الأنوار / ج٢٧ ص١٩٣ .

(٢) بحار الأنوار / ج٨ ص١٩٧ ، وكتاب صفات الشيعة / ص٩٢ .

(٣) براهين أُصول المعارف الإلٰهية : ص٥٧٤ .

وقال الشيخ الصدوق أيضاً : « **إعتقادنا في الشفاعة أنّها لمن ارتضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر ، فأمّا التائبون فغير محتاجين إلى الشفاعة»** .

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «**ما من أحد من الاولين والآخرين الا وهو محتاج الى شفاعة محمّد يوم القيامة**» [١].

ولا نقول لمنكري الشفاعة الا ما قاله النبي صلى الله عليه وآله : « **من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي**».

وعلى المنكرين أن يعرفوا بأنّ الشفاعة نوع من الكرامة والاحترام والتقدير الذي يقدّمه الله عز وجل لأنبيائه وأوصيائه والمؤمنين والملائكة المقرّبين، حتى ورد الحديث أن في المؤمنين مَن يشفع في مثل ربيعة ومضر من حيث الكثرة، وأقلّ المؤمنين شفاعةً مَن يشفع ثلاثين إنساناً ، وذلك تابع لدرجة المؤمنين وقربهم عند الله .

ثم ان الشفاعة لا تكون لأهل الشكّ والشرك ، ولا لأهل الكفر والجحود ، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد ولكي لا يسيطر اليأس عليهم ويرتموا بكاملهم في أحضان الشياطين .

وفي شرح صحيح مسلم : قال القاضي عيّاض : مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً ، بصريح الآيات ، وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل

---

(١) بحار الانوار/ج٨ ص٤٢.

السنّة عليها [١]. ففي الحديث ـ كما في كنز العمال ـ عن النبي محمد ﷺ: **«الشفعاء خمسة: القرآن والرحم والامانة ونبيُّكم وأهل بيت نبيّكم»**[٢].

وجاء في القرآن الكريم أنّ أهل النار يتوسّلون إلى صديق حميم من أهل الجنّة لعلّه يشفع لهم ، ولكن هيهات أن يكون لهم مثل هذا الصديق : **﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**[٣].ج

ومن فلسفة الشفاعة وفائدة الاعتقاد بها أن المسلم المذنب يعيش الأمل في النجاة ولا يوقعه يأسه في المزيد من الذنوب والغرق في المعاصي. ولذا نقرء في الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: **«اذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدي الله عزّوجلّ قيل للعابد إنطلق إلى الجنّة. وقيل للعالم قف تشفع للنّاس بحُسن تأديبك لهم»**[٤].

وجاء في الدعاء: **«اللهمّ اغفر لي الكثير من معاصيك واقبل منّي اليسير من طاعتك، يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير اقبل منّي اليسير واعفُ عنّي الكثير إنّك أنت العفوّ الغفور. اللهمّ ارحمني فإنّك رحيم»**.[٥]

## ● العتاب الإلهي والنصيحة المقدّسة

جاء في الحديث القدسي أنّه قال النبي ﷺ : **« ما من يوم يمرّ إلاّ**

---

(١) براهين أُصول المعارف الإلٰهية : ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦ .

(٢) كنز العمال/ ١٤ ـ ٣٩٠ ـ الحديث رقم ٣٩٠٤١.

(٣) سورة الشعراء / ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٤) بحار الانوار/ ج٨ ص٥٦.

(٥) المحجّة البيضاء/ ج٨ ص٢٦٥. و بحار الانوار/ ج٦ ص١٩٥.

والباري عزّوجلّ ينادي : عبدي ! ما أنصفتَني ، أذكرك وتنسى ذكري، وأدعوك إلى عبادتي وتذهب إلى غيري ، وأرزقك من خزائني ، وآمرك لتتصدّق لوجهي ، فلا تطيعني ، وأفتح عليك أبواب الرزق ، وأستقرضك من مالي فتجْبَهُني ، وأُذْهِبُ عنك البلاء ، وأنت معتكف على فعل الخطايا.

يابن آدم ! ما يكون جوابك لي غداً إذا أجبتَني .

يابن آدم ! ما تنصفني ، أتحبّب إليك بالنعم وتتمقّت إليّ بالمعاصي . خيري إليك مُنْزَل ، وشرّك إليّ صاعد . ولا يزال مَلَكٌ كريم يأتيني عنك ـ كلّ يوم وليلة ـ بعمل غير صالح .

يابن آدم ! لو سمعتَ وصفك ـ وأنت لا تدري مَن الموصوف ـ لسارعتَ إلى مقته .

ابن آدم ! تطوّلتُ عليك بثلاث : سترتُ عليك ما لو يعلم به أهلُك ما واروك ، وأوسعتُ عليك فاستقرضتُ منك فلم تقدّم خيراً ، وجعلتُ لك نَظِرَة عند موتك في ثلثك ، فلم تقدّم خيراً»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث قدسي عن الله تعالى :

« يابن آدم أكثِرْ من الزاد إلى طريقٍ بعيد ، وخفِّفِ الحمل فالصراط دقيق ، وأخلِصِ العمل فإنّ الناقد بصير ، وأخِّرْ نومك إلى القبور ، وفخرك إلى الميزان ولذّاتك إلى الجنّة ، وكُن لي أكُن لك ، وتقرّبْ إليّ بالاستهانة بالدنيا تُبْعَد عن النار ...

يابن آدم الموت يكشف أسرارك ، والقيامة تبلو أخبارك ، والكتاب

---

(١) كلمة الله : ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ تأليف الشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي.

يهتك أستارك ، فإذا أذنبتَ ذنباً صغيراً فلا تنظُر إلى صغره ، ولكن انظُر إلى مَن عصيتَه ، وإذا رُزِقتَ رزقاً قليلاً فلا تنظر إلى قلّته ، ولكن انظُر إلى مَن رزقك ...

يابن آدم لا تأمَن مِن مكري فإنّ مكري أخفىٰ مِن دبيب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء .

يابن آدم هل أدّيتم فرائضي كما أمرتُكم ، وهل واسيتُم المساكين بأموالكم وأنفسكم ، وهل أحسنتم إلى مَن أساء إليكم ، وهل عفوتُم عمّن ظلمكم ، وهل وصلتم مَن قطعكم ، وهل أنصفتم مَن خانكم ، وهل كلّمتم مَن هاجركم ، وهل أدّبتم أولادكم ، وهل سألتم العلماء مِن أمر دينكم ودنياكم ، فإنّي لا أنظر إلى صوركم ولا إلى محاسنكم ولكن أنظر إلى قلوبكم وأعمالكم وأرضىٰ منكم بهذه الخصال ...

يابن آدم انظُر إلى نفسك وإلى جميع خلقي فإنْ وجدتَ أحداً أعزّ إليك من نفسك فاصرِفْ كرامتك إليه ، وإلّا فأكرِمْ نفسك بالتوبة والعمل الصالح إن كانت عليك عزيزة ، ياأيّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم واتّقوا الله قبل يوم القيامة ويوم الواقعة ويوم التغابن ويوم الحاقّة ، ويوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ويوم لا ينطقون ولا يُؤذَن لهم فيعتذرون ، ويوم الطامّة ويوم الصاخّة ويوم عبوس قمطرير ، ويوم لا تملك نفسٌ لنفس شيئاً ، ويوم الدمدمة ويوم الزلزلة ويوم القارعة ، فاتّقوا الله ... ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وعصينا » .

تلك موعظة لي ولك أيها القارئ العزيز، وما أمسّ حاجتنا اليها ونحن في دار الدنيا التي أحاطتنا فتنها من كلّ صوب ، فالحياة المعنوية والحديث الروحي وكلمة الأخلاق أصبحت مفردات يتيمة

وأُصولاً مهجورة بل وحتّى عند مَن يدّعيها ويتحدّث بها تجدها في أحيان كثيرة مبتورة.

هكذا بات السؤال التالي يراود أذهاننا: ما هـي الصـورة الإلهـية الفُضلىٰ لعيشنا في هذه الدنيا المتلاطمة بأهلها؟

وجاء الجواب في الحديث القدسي خطاباً من الله تعالى إلى النبي محمّدﷺ في ليلة المعراج : « **ياأحمد : هل تدري أي عيش أهنأ ؟ وأي حياة أبقىٰ؟**

**قال : اللهمّ ! لا.**

**قال : أمّا العيش الهنيء ، فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكري، ولا ينسى نعمتي ، ولا يجهل حقّي . يطلب رضاي في ليله ونهاره . وأمّـا الحياة الباقية ، فهي التي يعمل صاحبها لنفسه ، حتّى تهون عليه الدنيا وتصغر في عينه ، وتعظم الآخرة عنده ، ويُؤْثِر هـواي عـلى هـواه ، ويبتغي مرضاتي ، ويعظّم حقّ عظمتي ، ويذكر علمي به ، ويراقـبني بالليل والنهار عند كلّ سيّئة أو معصية ، وينقّي قلبه عن كلّ ما أكره ، ويبغض الشيطان ووسواسه ، ولا يجعل لإبليس عـلى قـلبه سـلطاناً وسبيلاً . فإذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبّاً ، حتّى أجعل قلبه لي ، وفراغه واشتغاله ، وهمّه وحديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبّتي من خلقي . وأفتح عين قلبه وسمعه، حتّى يسمع بقلبه ، وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي . وأُضيّق عليه الدنيا ، وأُبغّض إليه ما فـيها مـن اللذّات وأُحذّره من الدنيا وما فيها كما يحذّر الراعي غنمه عن مـراتـه الهلكة فإذا كان هكذا يفرّ من الناس فراراً ، وينقل من دار الفناء إلى دار البقاء ، ومن دار الشيطان إلى دار الرحمان .**

**ياأحمد ؟ ولأزيّننّه بالهيبة والعظمة .**

**فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية وهذا مقام الراضين»[١].**

● **هل التاريخ يتكرّر ؟**

الجواب: نعم وللتأكيد إقرء ما يلي وكأنك تقرأ الناس في هذا الزمان !

مرّ النبي عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال : أما إنّهم لم يموتوا إلّا بسخطة ، ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا .

فقال الحواريون : ياروح الله وكلمته، أُدعُ اللهَ أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها .

فدعى عيسى عليه السلام ربّه فنودي من الجوّ أنْ نادهم ، فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال : ياأهل هذه القرية .

فأجابه منهم مجيب: لبّيك ياروح الله وكلمته .

فقال : ويحكم ما كانت أعمالكم ؟

قال : عبادة الطاغوت وحبّ الدنيا ، مع خوف قليل ، وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب .

فقال : كيف كان حبّكم للدنيا ؟

قال : كحبّ الصبي لأُمّه، إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا ، وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنا .

قال : كيف كانت عبادتكم للطاغوت ؟

---

(١) كلمة الله : ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ للشهيد السيد حسن الشيرازي.

قال : الطاعة لأهل المعاصي .
قال : كيف كانت عاقبة أمركم ؟
قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية .
فقال : وما الهاوية ؟
فقال : سجّين .
قال : وما سجّين ؟
قال : جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة .
قال : فما قلتم وما قيل لكم ؟
قال : قلنا ردّنا إلى الدنيا فنزهد فيها . قيل لنا : كذبتم .
فقال ـ له النبي عيسى ﷺ ـ : ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم ؟

قال : ياروح الله إنّهم ملجمون بلجام من نار ، بأيدي ملائكة غلاظ شداد ، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم ، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم ، لا أدري أُكبكَب فيها أم أنجو منها .

فالتفت عيسى ﷺ إلى الحواريّين فقال : ياأولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش ، والنوم على المزابل ، خير كثير مع عافية الدنيا » .

أقول : وصدق الله تعالى حيث قال : ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ

**أَحَدٌ* وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَـدٌ﴾[١].**

● **إنّ للجنّة ثمناً، تدفعه في الدنيا**

إنّ لكل سعادة وراحة ولذّة وهناء ثمناً تقدّمه مسبقاً، هكـذا هـو القانون في الحياة الطبيعية وحتى غير الطبيعية كأن تكون إبن مَلِك أو ابن ثري قد ورثتَ منه أسباب السعادة من دون عناء ، فالثمن مهما يكن فإنّك تدفعه هنا بطريقة وأخرى!

فهل يُعقَل وأنت تطلب أعـظم سـعادة وأدوم راحـة وأحـلىٰ لذّة وأجمل هناء من غير ثمن؟

تقول : آمنّا، فما هو الثمن المطلوب؟!

أقول : يجب الاستعداد للموت قبل نزوله ، ولكن هذا الاستعداد كيف يكون؟

هذا السؤال طُرِحَ عـلى مـولانا الإمـام عـلي عليه السلام فـقال : « **أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والإشتمال على المكارم ، ثمّ لا يبالي أوقع على الموت ، أم وقع الموت عليه** »[٢]. ولا أظن أحداً يقدر على هـذا العمل إلّا إذا أخرج من قلبه حبّ الدنيا المتمثّلة في أبنيته وقـصوره وتوابعها من المال والأولاد والشهوات وحُبّ الزعامات ، وأراح فكره من الحسد والتآمر على الآخرين.

وهنا نتوقّف إصغاءً لما جاء في وصايا النبي عيسى (على نـبيّنا

---

(١) سورة الفجر / ٢١ ـ ٢٧.

(٢) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٥٤.

وعليه السلام)[١]: « ويلكم علماء السوء ! الأُجرة تأخذون والعمل لا تصنعون ، يوشك ربّ العمل أن يطلب عمله ، ويوشك أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ؟ وما يضرّه أشهى إليه ممّا ينفعه ». « من ذا الذي يبني على موج البحر داراً ؟ تلكم الدنيا فلا تتّخذوها قراراً » . « لا تتّخذوا الدنيا ربّاً فتتّخذكم عبيداً ، إكنزوا كنزكم عند من لا يضيّعه ، فإنّ صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة».

« يامعشر الحواريين إنّي قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي ، فإنّ مِن خُبث الدنيا أن عُصِيَ الله فيها ، وإنّ مِن خُبث الدنيا أنّ الآخرة لا تُنال ولا تُدرَك إلّا بتركها ، فاعبروا الدنيا ولاتعمروها، واعلموا أنّ أصل كلّ خطيئة حبّ الدنيا ، ورُبَّ شهوةٍ أورثتْ أهلها حزناً طويلاً » .

« ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ، ويأمنها وتغرّه ، ويثق بها وتخذله ، ويل للمغترّين كيف رهقهم ما يكرهون ؟ وفارقهم ما يحبّون ؟ وجاءهم ما يوعدون ؟ وويل لمن الدنيا همّه ، والخطايا أمله ، كيف يفتضح غداً عند الله ؟ » .

وقالوا له ﷺ : علّمنا عملاً واحداً يحبّبنا الله عليه .

فقال : « أبغضوا الدنيا يُحْبِبْكُم الله ».

---

(١) الوصايا الآتية نقلناها من كتاب كلمة الأنبياء والحكماء : ص٣٠٢ ـ ٣٠٦ . تأليف الشهيد آية الله السيّد حسن الشيرازي .

وروي أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء ، عليها من كلّ زينة ، فقال لها : كم تزوّجتِ ؟

فقالت : لا أُحصيهم.

قال : وكلّهم ماتوا أو كلّهم طلّقوك ؟

قالت : بل كلّهم قتلتُ.

فقال عيسى عليه السلام : « **بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ، كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر** »[1] .

وقيل للإمام زين العابدين عليه السلام : ما خير ما يموت عليه العبد ؟ قال: « **أن يكون قد فرغ من أبنيته ودوره وقصوره** » .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : « **أن يكون من ذنوبه تائباً ، وعلى الخيرات مقيماً ، يَرِدُ على الله حبيباً كريماً** »[2].

تلاحظ في هذه الأحاديث والمواعظ أنّ المقصود من حبّ الدنيا هو عدم التعلّق النفسي والقلبي لهذه الأُمور بحيث يرتكب الإنسان لأجلها خروقات شرعية ولا يبالي ماذا حلّ بدينه وأخلاقه . ومن الواضح أنّ هذا الإنسان عند ساعة الإحتضار وخروج الروح ستصعب عليه مفارقة ما أحبّه وتعلّق به قلبه وداس كلّ القيم من أجله، لذا يغدو لقمةً سهلة للشيطان حين سكرات الموت وآلام الرحيل، خاصةً اذا أغراه بأن يكفر لقاء راحته من آلام النزع ، فحيث لم يتعوّد الألم في حياة الترف سيكفر علىٰ أمل النجاة، ولكن الشيطان

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ميزان الحكمة : ج٩ ص٢٥٤.

لن يفي له بوعده، لأنه لن يقدر علىٰ نجاته من الموت، وهكذا يضحك عليه الشيطان حتىٰ في آخر رمق حياته فيقع فريسة سوء العاقبة.

ولعلّ إحدىٰ أهم فلسفة الإنفاق المالي ، والحكـمة مـن إعـطاء الخمس والزكاة ، وأهميّة الزهد والتواضع في الإسـلام هـي تـعويد الإنسان على قطع علائقه مع الأموال والتمرين على نبذ حبّه لمظاهر الدنيا كي تسهل عليه مفارقتها حين تجب المفارقة في ساعة الموت .

فما هو الأفضل أيّها القارىء أن تفارق أموالك وبيتك وسيارتك وأهلك مفارقة السعداء الذين ينتقلون إلى أحسن من ذلك في الجنّة، أم مفارقة الأشقياء الذين ينتقلون إلى أتعس حال، و لن يـنفعهم مـا تعلّقتْ به قلوبهم، فسيتركونه مُرغَمين ولا حول لهم ولا قوّة؟

نزل جبرئيل ذات يوم إلى رسول الله ﷺ يبلّغه مـوعظةً مـن الله عزّوجلّ ، وهي رسالة إلينا في الدرجة الأُولى والأخيرة .. قال له ﷺ إنّ الله يقول لك : « **يامحمّد عِشْ ما شئتَ فإنّك ميّت ، وأحبِبْ مَن شئتَ فإنّك مفارقه ، واعمل ما شئتَ فإنّك مجزيّ به ، واعلم أنّ شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزّه إستغناؤه عن الناس** »[١].

ومن هذا المنطلق أيّها القارئ الكريم فقد نصحنا رسـول الله ﷺ قائلاً : « **قدِّمْ مالك أمامك يسرّك اللحاق به** »[٢].

ومن هذا المنطلق أيضاً أرشدنا أمير المؤمنين ؏ قائلاً: «**شوّقوا أنفسكم إلى نعيم الجنّة تحبّوا الموت وتمقتوا الحياة** »[٣].

فإذا التزمتَ بدفع هذا الثمن أوّلاً بأوّل ، ثِقْ بأنّ الموت يكون لك راحة لم تتذوّقها من قبل ، بل لم تخطر بذهنك أبداً . وهنالك سوف لن

---

(١) كلمة الله : ص ٣٥٠.    (٢) بحار الأنوار : ج٧٧ ص١٨٦.

(٣) ميزان الحكمة : ج٧ ص ٢٦٠.

تخاف الموت والقبر والقيامة ، وستعيش في الدنيا سعيداً وفي الآخرة رغيداً.

ذلك هو قول الله تعالى : **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾**(١).

بل أقول لك سرّاً من أسرار النجاح في الدنيا !!

تعال معي لنقلب ميزان النظرة إلى هذه الدنيا خلافاً لنظرة المتشبّثين بها !!

تقول : كيف ؟ أَوَ هل يمكن ذلك ؟

أقول : خُذْ جوابك من كلمة الصادق الأمين محمّد بن عبدالله رسول ربّ العالمين ﷺ : **« مَن كانت الآخرة همّه جَمَعَ الله له أمره وجَعَل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغبة »** .

نعم .. بهذا الشرط ستأتيك الدنيا راغبةً فيك ، أنت تكون سيّدها وليست هي سيّدتك وقاتلتك ودافنتك ، ثم لا تكون في الآخرة إلّا صفراً على الشمال!

والآن فما رأيك أن تعمل صالحاً ما دمت حيّاً وأنت تنتظر ساعة النداء الذي حيثما أتاك أجبته بملىء الشوق : لبّيك ، فيقول لك الله بملىء الحبّ والسعة : **﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾**(٢).

---

(١) سورة يونس / ٦٢ـ٦٤.

(٢) سورة الفجر / ٢٧ـ٣٠.

● **وأخيراً .. الثبات على الثوابت**

جاء في القرآن الكريم ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾[1] فكيف يكون ثباتنا على ثوابت الايمان بالله والرسول والولاية والميعاد؟

يقول النبي ﷺ : « **أيعجز احدُكم أنْ يتّخذ كلَّ صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا : وكيف ؟ قال : يقول احدُكم :**

**﴿ اللهمّ فاطرَ السمٰواتِ والارض ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ ، الرّحْمٰنَ الرحيمَ ، إني أعْهَدُ إليكَ أنّي أشْهَدُ أنْ لا الٰهَ الّا انتَ وحدَك لا شَريكَ لك ، وأنَّ محمّداً عبدُك ورسولُك ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها ، وأنّك تَبْعَثُ مَن في القُبورِ ، وأنّ الحِسابَ حقٌ ، وأنّ الجنةَ حقٌ ، وما وُعِدَ فيها مِن النَّعيمِ والمأْكَلِ والمَشْرَبِ والنّكاحِ حقٌ ، وأنّ النارَ حقٌ ، وأنّ الايمانَ حقٌ ، وأنّ الدينَ كما وَصَفْتَ ، وأنّ الإسلامَ كما شَرَعْتَ ، وأنّ القولَ كما قُلتَ ، وأنّ القرآنَ كما اَنْزَلْتَ، وأنّكَ انتَ اللهُ الحقُ المبينُ ، وأنّي أعْهَدُ إليكَ في دارِ الدنيا، أنّي رضيتُ بكَ ربّاً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمّدٍ (صلىٰ الله عليه وآله) نبيّاً ورسولاً ، وبعليٍّ وليّاً ، وبالقرآنِ كتاباً ، وأنَّ أهلَ بيتِ نَبيِّكَ (عليه وعليْهِم السّلام) اَئِمَتّي، اللهُمّ انتَ ثِقَتي عند شِدَتي ، ورجائي عندَ كُربَتي ، وعُدَّتي عند الأمورِ التي تَنزِلُ بي، وانتَ وليّي في نِعمَتي ، والٰهي والٰهُ آبائي، صلِّ علىٰ محمّدٍ وآلِه ، ولا تَكِلْني الىٰ نفسي أبداً ، وآنِسْ في قبري وَحْشَتي ، واجْعَلْ لي عندَكَ عهداً يومَ ألقاكَ منشوراً﴾ . فاذا قال ذلك طُبِعَ عليه بطابعٍ ووُضِعَ تحت العرش ، فاذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ».**

---

(١) سورة ابراهيم / ٢٧.

بهذه الثوابت فقد بشّرنا الله تعالى في قوله الكريم: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(١).

فياأيّها أيّها المسلمون أينما تكونوا وفي أي زمان بعد هذا إجعلوا شعاركم : نعم لحسن العاقبة ولا للخزي أبداً. ذلك هو النداء الذي جاءنا من الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

## ● وفي الخاتمة

لقد صوّر الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته المعروفة بدعاء أبي حمزة الثمالي ، حالة الإنسان في ساعة الموت والمراحل التالية له تصويراً رائعاً ومثيراً للحزن والبكاء فلنتأمّل فقرات هذا الدعاء العظيم.

«سَيِّدِي اَخْرِجْ حُبَّ اَلدُّنياٰ مِنْ قَلبي ، وَاَجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ اَلْمُصْطَفىٰ وَاٰلِهِ خِيرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَخاٰتَمِ اَلنَّبِيّينَ مَحَمَّدٍ (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهِ) وَاَنْقُلْني اِلىٰ دَرَجَةِ اَلتَّوْبَةِ اِلَيْكَ ، وَاَعِنِّي بالْبُكاٰءِ عَلىٰ نَفْسِي ، فَقَدْ اَفْنَيْتُ

(١) سورة يونس / ٢.

(٢) سورة آل عمران / ١٠٢ـ١٠٥.

بالتَّسْويفِ وَالآمالِ عُمْري ، وَقَدْ نَزَلْتُ مَنْزِلَةَ الآيِسِينَ مِنْ خَيْري، فَمَنْ يَكُونُ اَسْوَءَ حالاً مِنِّي إنْ اَنَا نُقِلْتُ عَلىٰ مِثْلِ حالي اِلىٰ قَبْري ، لَمْ اُمَهِّدْهُ لِرَقْدَتي ، وَلَمْ اَفْرُشْهُ بِالعَمَلِ الصّالِحِ لِضَجْعَتي ، وَمالي لا اَبْكي ، وَلا اَدْري اِلىٰ ما يَكُونُ مَصِيري ، وَاَرىٰ نَفْسِي تُخادِعُني ، وَاَيّامِي تُخاتِلُني ، وَقَدْ خَفَقَتْ عِنْدَ رَأْسي اَجْنِحَةُ الْمَوْتِ ، فَمالي لا اَبْكي ، ( اَبْكي لخروجِ نفسي) اَبْكي لِحلولِ رَمْسِي ، اَبْكي لِظُلْمَةِ قَبْري ، اَبْكي لِضِيقِ لَحْدِي ، اَبْكي لِسُؤالِ مُنْكَرٍ وَنَكيرٍ اِيّايَ ، اَبْكي لِخُرُوجي مِنْ قَبْري عُرْياناً ذَليلاً ، حامِلاً ثِقْلي عَلىٰ ظَهْري ، اَنْظُرُ مَرَّةً عَنْ يَميني وَأُخْرىٰ عَنْ شِمالي ، اِذِ الخَلائِقُ في شَأْنٍ غَيْرِ شَأْني ، لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغنِيهِ ، وُجُوهٌ يُوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ، ضاحِكةٌ مُسْتَبْشِرةٌ ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ ، تَرْهَقُها قَتَرَةٌ وذلّة ... ياسَيِّدِي لا تُكَذِّبْ ظَنِّي بِإحْسانِكَ وَمَعْرُوفِكَ فَإنَّكَ ثِقَتي ، وَلا تَحْرِمْني ثَوابَكَ فَإِنَّكَ الْعارِفُ بِفَقْري ، اِلهي اِنْ كانَ قَدْ دَنا اَجَلي وَلَمْ يُقَرِّبْني مِنكَ عَمَلي ، فَقَدْ جَعَلْتُ الاعْتِرافَ اِلَيْكَ بِذَنْبي وَسائِلَ عِلَلي ، اِلهي اِنْ عَفَوْتَ فَمَنْ اَوْلىٰ مِنْكَ بالعَفْوِ ، وَاِنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ اَعْدَلُ مِنْكَ في الْحُكْمِ ، اِرْحَمْ في هٰذِهِ الدُّنْيا غُرْبَتي، وَعِنْدَ الْمَوْتِ كُرْبَتي ، وَفي الْقَبْرِ وَحْدَتي، وَفي اللَّحْدِ وَحْشَتي ، وَاِذا نُشِرْتُ لِلْحِسابِ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلَّ مَوْقِفي ، فَاغْفِرْ لي ما خَفِيَ عَلَىٰ الآدَمِيِّينَ مِنْ عَمَلي ، وَاَدِمْ لي ما بِهِ سَتَرْتَني ، وَارْحَمْني صَريعاً عَلَىٰ الْفِراشِ تُقَلِّبُني اَيْدِي اَحِبَّتي ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ مَمْدُوداً عَلَىٰ الْمُغْتَسَلِ يُقَلِّبُني صالِحُ جيرَتي ، وَتَحَنَّنْ عَلَيَّ مَحْمُولاً قَدْ تَناوَلَ الأَقْرِباءُ اَطْرافَ جَنازَتي ، وَجُدْ عَلَيَّ مَنْقُولاً قَدْ نَزَلْتُ بِكَ وَحيداً في حُفْرَتي ، وَارْحَمْ في ذٰلِكَ الْبَيْتِ الْجَديدِ غُرْبَتي ، حَتّىٰ لا اَسْتَأْنِسَ بِغَيْرِكَ ، ياسَيِّدِي فإنّك اِنْ وَكَلْتَني اِلىٰ نَفْسِي هَلَكْتُ ، سَيِّدي فَبِمَنْ

اَسْتَغيثُ اِنْ لَمْ تُقِلْني عَثْرَتي ، والِىٰ مَنْ اَفْـزَعُ اِنْ فَـقَدْتُ عِـنايَتَكَ فـي ضَجْعَتي ، وَاِلىٰ مَنْ اَلْتَجِيءُ اِنْ لَمْ تُنَفِّسْ كُرْبَتي ، سَيِّدِي مَنْ لي وَمَـنْ يَرْحَمُني اِنْ لَمْ تَرْحَمني ، وَفَضْلَ مَنْ اُؤَمِّلُ اِنْ عَدِمْتُ فَضْلَكَ يَوْمَ فاقَتي ، وَاِلىٰ مَنِ اَلْفِرارُ مِنَ اَلذّنُوبِ اِذَا اَنْقَضىٰ اَجَلي ، سَيِّدِي لاٰ تُـعَذِّبْني وَاَنَـا اَرْجُوكَ ، اِلٰهي حَقِّقْ رَجائِي وَاٰمِنْ خَوْفي ، فَاِنَّ كَثْرَةَ ذُنُوبي لاٰ اَرْجُو فِيهاٰ اِلاّ عَفْوَكَ ، سَيِّدِي اَنَا اَسْاَلُكَ ما لاٰ اَسْتَحِقُّ ، وَاَنْتَ اَهْلُ اَلتَّـقْوىٰ وَاَهْـلُ اَلْمَغْفِرَةِ ، فَاغْفِرْ لي وَاَلْبِسْني مِنْ نَظَرِكَ ثَـوْباً يُـغَطّي عَـلَيَّ اَلتَّـبعاٰتِ، وَتَغْفِرُهاٰ لي وَلاٰ اُطاٰلَبُ بِهاٰ ، اِنَّكَ ذُو مَنٍّ قَديمٍ وَصَفْحٍ عَظِيمٍ وَتَجاٰوُزٍ كَرِيمٍ ... اَللّهمَّ اَعْطِني بَصِيرةً في دِينِكَ ، وَفَهْماً في حُكْمِكَ، وَفِقْهاً في عِلْمِكَ ، وَكِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَوَرَعاً يَحْجُزُني عَنْ مَعاٰصِيكَ ، وَبَـيِّضْ وَجْـهي بِنُورِكَ ، وَاَجْعَلْ رَغْبَتي فِيماٰ عِنْدَكَ ، وَتَوَفَّني في سَـبيلِكَ وَعَـلىٰ مِـلَّةِ رَسُولِكَ ، صَلّىٰ الله عَلَيْهِ وَاٰلِهِ ، اَللّهمَّ اِنّي اَعُوذُ بِكَ مِنَ اَلْكَسَلِ وَاَلْفَشَلِ ، وَاَلْحُزْنِ وَاَلْجُبْنِ وَاَلْبُخْلِ ، وَاَلْغَفْلَةِ وَاَلْقَسْوَة والذلّة وَاَلْمَسْكَنَةِ ، وَاَلْفَقْرِ وَاَلْفاٰقَةِ وَكُلِّ بَلِيَّةٍ ، وَاَلْفَواٰحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهاٰ وَماٰ بَطَنَ ، وَاَعُوذُ بِكَ مِـنْ نَفسٍ لاٰ تَقْنَعُ ، وَبَطْنٍ لاٰ يَشْبَعُ ، وَقَلبٍ لاٰ يَخْشَعُ ، وَدُعاٰءٍ لاٰ يُسْمَعُ، وَعَمَلٍ لاٰ يَنْفَعُ ، وصلاةٍ لا تُرْفَع ، وَاَعُوذُ بِكَ ياٰرَبِّ عَلىٰ نَفْسِي ووُلْدي وَدِيـني وَماٰلي وَعَلىٰ جَميعِ ماٰ رَزَقْتَني ، مِنَ اَلشَّيْطاٰنِ اَلرَّجيمِ ، اِنَّكَ اَنْتَ اَلسَّميعُ اَلْعَليمُ» (١).

وصاغ الشاعر الولائي السيّد رضـا الهـندي ﵀ هـذه المـفاهيم العقائدية والتربوية العظيمة في قصيدة شعرية جميلة ، نقرؤها متأمّلين

(١) من دعاء للامام زين العابدين (عليه السلام) علّمه صاحبه أبا حمزة الثمالي .

متفكّرين :

أرىٰ عـمري مُـؤْذِناً بـالذهابِ تَـمُرُّ ليـاليه مَـرَّ السـحابِ
وتُـفْجِأني بـيضُ أيّـامِه فَـتَسْلَخُ منّي سوادَ الشبابِ
فَمَن لي إذا حان منّي الحِمام ولم أستطعْ منه دَفْعاً لِما بي
ومَن لي إذا صِرتُ فوقَ السرير وشيلَ سريري فوقَ الرقابِ
وَمَـن لي إذا قَـلَّبَتْني الأكُـفُّ وجَرَّدني غاسلي عن ثيابي
ومَن لي إذا ما هَجرتُ الديار وعُوِّضتُ عنها بدارِ الخرابِ
ومَـن لي إذا آبَ أهـلُ الوِداد عنّي وقد يئسوا مِن إيابي
ومَن لي إذا ما غَشاني الظلام وأمسيتُ في وحشةٍ واغترابِ
ومَن لي إذا (مُنْكِرٌ) جدَّ في سؤالي وأذهلني عن جوابي
ومَـن لي إذا دَرَسَتْ رُمَّتي وأبـلىٰ عظامي عَفْرُ الترابِ
ومَن لي إذا قام يومُ النشور وقمتُ بلا حُجّةٍ للحسابِ
ومن لي إذا ناولوني الكتاب ولم أدرِ ماذا أرىٰ في كتابي
ومن لي إذا امتازتِ الفِرقتان فأهـلُ النعيمِ وأهـلُ العذابِ
وكـيف يـعامِلُني ذو الجلال فأعرفُ كيف يكونُ انقلابي
أباللّطفِ وهو (الغفورُ الرحيم) أم العدلِ وهو (شديدُ العقابِ)
ويـاليت شِـعري إذا سامني بـذنبي وآخَذَني باكتسابي
فهل تُحرِقُ النارُ عيْناً بَكَتْ لِرُزْءِ القتيلِ بسيفِ (الضبابي)
وهل تُحرِقُ النارُ رِجْلاً مَشَتْ إلىٰ حَرَمٍ منه سامي القُبابِ
وهل تُحرِقُ النارُ قلباً أُذيبَ بِحِرقِةِ نيرانِ ذاك المُصابِ[1]

(١) ديوان شعراء الحسين / ج١ ص ٧٠.

اللهمّ تقبّل منّي هذا اليسير وارفعه إلى صحيفة عملي ماحياً منها كل تقصير ، وأنت القائل وقولك الحقّ : **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**(١).

اللهمّ وضاعِفْ أجري ليوم فقري وأنت القائل : **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾**(٢).

اللهمّ وأحيني حياةَ محمّدٍ وآل محمّد ، وأمتْني مماتَ محمّدٍ وآل محمّد ، واجعلْني عندهم وجيهاً بحقّهم في جنّات نعيم ياخير الغافرين وياأكرم الأكرمين ، وياأرحم الراحمين .

**ملتمس دعوات المؤمنين والمؤمنات، الفقير إلى الله الغني**

**عبدالعظيم المهتدي البحراني**

تمّ الفراغ الأخير من هذا الكتاب في مدينة قم المقدّسة بتاريخ (عشرين من جمادىٰ الثانية/ سنة ١٤٢٥) يوم ميلاد فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين.

---

(١) سورة فاطر / ١٠.

(٢) سورة النساء / ٤٠.

# المحتويات